



الطب الوقائي في الإسلام

د. أحمد شوقي الفنجري



الطب الوقائي في الإسلام

تعاليم الإسلام الطبية
في ضوء العلم الحديث

د. أحمد شوقي الفنجري



الهيئة التشريعية الإسلامية للكتاب

١٩٩١

الطبعة الثالثة ١٩٩١

مقدمة الكتاب

لسعادة الدكتور عبد الرحمن العوضي

وزير الصحة العامة (الكويت)

ورئيس منظمة الطب الاسلامي

.. تعزز الأمم عادة بما قدمته وتقدمه للحضارة البشرية من
مآثر في مجالات الفكر والمعرفة ، وتحاول في هذا الصدد أن تدل
على ما أسهم به أبنائها في الأزمان الغابرة وتاريخها العتيق من أجل
بناء صرح الحضارة الانسانية .. ويشهد التاريخ لأمتنا الاسلامية
أنها احتضنت حضارة عريقة خلال حقبة من الزمن هي عشرة قرون
أو يزيد وغذتها بالكثير من العلوم والنظريات والفلسفات فرسمت
بذلك للعالم أجمع مخططا كبيرا للعلم والمعرفة في شتى المجالات في
وقت كان فيه الغرب يرزح في دياجير الظلام والجهالة ، ولما قدر له
أن يستيقظ من سباته العميق ظهر أمامه بصيص من نور العلم
والمعرفة في الحضارة الاسلامية فعمل على أن ينهل من هذه الحضارة
بشتى الوسائل ولجأ في ذلك الى شن الحروب واستعمار الشعوب
الاسلامية واستنزاف اقتصادها في محاولة للقضاء على الحضارة
الاسلامية الراسخة .

ولقد أمكن للاستعمار الغربى - الى حد ما - أن يبعد بعض الشعوب الاسلامية عن حقيقة ما أسهمت به الحضارة الاسلامية وعن الجوهر الاصيل الذى تميز به الفكر الاسلامى وذلك نتيجة لما قام به الغرب من هدم للتراث الاسلامى وافساد للعقول واقامة حاجز مظلم بين ماضى هذه الأمة وحاضرها . . لكنه غاب عن أعداء الاسلام أن الدين الاسلامى هو شريعة الله وهو القانون الالهى الأبدى الذى جاء به رسوله الكريم مبشرا ونذيرا وليكون هدى للناس أجمعين ودستورا جامعا لأموهم ومعاملاتهم فى كل مكان وزمان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولابد أن نشير هنا الى ما جبيل عليه البشر من تناقضات غريبة فهم يبتغون ما يضرهم ويبتعدون عما ينفعهم ويقربهم الى بارئهم . . وسبحان الله أحكم الحاكمين الذى ألهم النفس البشرية فجورها وتقواها ، وانطلاقا من هذا الصراع بين النقيضين فى النفس البشرية تتباين الحضارات وتتفاعل . . ويستمر الصراع ويسود الفجور وتنحدر الشعوب تارة أخرى .

ولقد مرت على الأمة الاسلامية حقبة من الزمن تغلب فيها الفجور على التقوى فى نفس الانسان المسلم فنسى ما لحضارته الاسلامية من مكانة عريقة بين سائر الحضارات فى ظل تعاليم الاسلام الحنيف . . وهكذا نسينا الله فأنسانا الله أنفسنا وكان مصيرنا الضياع فى دياجير الظلام والجهل . فلا بد اذن من عودة الى التمسك بأداب ديننا خاصة وأن الاسلام دين الحق الأبدى تحافظ عليه العناية الالهية قال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، ويجب أن تكون العودة بصورة حضارية شاملة لاطهار ما للاسلام من اعجاز ومآثر فى هذه الحضارة العظيمة التى لو تعرفت عليها شعوب العالم لكان الانسان بعيدا عن الهاوية التى أصبح منها قوب قوسين أو أدنى ، ولهذه العودة عدة صور وأبعاد . واعتقد أن

أحياء التراث العلمي في الحضارة الإسلامية من أهم هذه الصور ، وما المحاولة التي يقوم بها الدكتور أحمد شوقي الفنجري في كتابه الجديد في نوعه « الطب الوقائي في الإسلام » الا خطوة رائدة على هذا الدرب الطويل فقد احتوى هذا الكتاب على الكثير من المعلومات الجديدة القيمة عن الطب الوقائي في الإسلام الأمر الذي لم يتطرق إليه كتابنا في هذا العصر . . ولا شك أن محاولة الدكتور الفنجري تعتبر جديدة من نوعها لأن غالبية من كتبوا عن التراث الإسلامي لم تتعد كتاباتهم مجرد سرد للتاريخ الإسلامي . وقد تعمق مؤلف هذا الكتاب باستنباط الأحكام الطبية من تعاليم الإسلام الحنيف وأثبت أن ما جاءت به النظريات العلمية الحديثة ليست شيئا جديدا حيث تضمنتها تعاليم الإسلام وزادت عليها بكل ما يوفر للانسان من أسباب الوقاية من الأمراض .

وأرجو أن تكون محاولة الدكتور الفنجري نموذجا طيبا نسير على هديه لبين للعالم ما قدمته الحضارة الإسلامية للعلوم الطبية وآمل أن يأتي اليوم الذي تدرس فيه مادة الطب الإسلامي في كليات الطب وتظهر العديد من المؤلفات عن النظريات التي استنبطها العلماء المسلمون في مجال الطب لتستفيد منها شعوب العالم أجمع .

وفي الختام أشكر الدكتور أحمد شوقي الفنجري على جهوده المخلصة التي بذلها في إعداد هذا الكتاب القيم وأرجو له ولكل من يسير على درب العلم والمعرفة التوفيق والسداد لحير أمتنا الإسلامية والانسانية جميعا .

الدكتور عبد الرحمن العوضي

وزير الصحة العامة

مقدمة

« الطب الاسلامي » علم جديد
يجب تدريسه في جامعاتنا ومدارسنا
والاستفادة منه في الوقاية من المرض

لقد اكتشف الكثير من الشعوب العريقة أن في حضارتها القديمة وفي تراثها من الحقائق العلمية ما يمكنها لو طورتها على أسس العلم الحديثة لخرجت الى الدنيا بعلم جديد تفيد به الانسانية جمعاء وقد يكون أنفع للناس من العلم الأوروبي الحديث نفسه .

وخير مثل على ذلك ما حدث في الصين .. فقد كونت حكومتها عشرات من اللجان لدراسة تراثهم ، العلمي وخاصة نظام الأبر الصينية ، ونظام التداوى (بالأعشاب الصينية) وقاموا بهذه الدراسة على ضوء من التكنولوجيا الغربية الحديثة ثم خرجوا الى العالم بعلم جديد .. بل بثورة علمية هزت أركان الدنيا وجعلت أطباء العالم الغربي يتوافدون عليهم وكانهم تلاميذ لكى يدرسوا اكتشافاتهم في العلاج والطب ..

فهل لدينا نحن أمة العرب والاسلام مثل هذا التراث .. وهل نستطيع أن نخرج على الدنيا بعلم اسلامى وطب اسلامى نرفع به الانسانية كلها .. ولماذا لا يظهر هذا العلم حتى اليوم .. ومن المسئول عن اظهاره وابرازه ؟؟

هناك الكثير من الكتب التى وضعها المستشرقون الأجانب والباحثون العرب عن فضل أطباء المسلمين والعرب وعلمهم على الطب الأوروبى .. ولكننا لا نجد بين هذه المراجع بحثا واحدا وافيا عن فضل الاسلام كدين وما جاءت به تعاليم القرآن والرسول وأثر ذلك على الطب وأهم من ذلك فوائده الطبية .

ولقد آن لنا أن يكون لدينا (طب اسلامى) يدرس فى كلياتنا العلمية الى جانب ما تدرسه من الطب الغربى . كما يدرس فى كلياتنا الدينية والنظرية الى جانب علوم الفقه والشريعة .

ويقوم هذا العلم الجديد على استخلاص ما فى الاسلام كدين وتشريع من تعاليم طبية ووضعها فى الأسلوب والتنسيق العلمى الحديث ..

— وليس القصد من هذا العلم مجرد الفخر بأمجاد الاسلام الغابرة ..

— أو التحدث عن حقائق جاء بها الاسلام ثم أثبت العلم الحديث صحتها ..

— ان الهدف منه أعظم من ذلك بكثير ..

— انه أسلوب علمى جديد فى الطب والوقاية ..

— بتعاليم الاسلام وحدها .. وفى عصرنا هذا نستطيع أن نخلق المجتمع الصحى المثالى الذى يتمتع ببيئة صحية نظيفة خالية من

القذارة والذباب والحشرات .. ويمكننا أن نقضى على الأمراض المتوطنة في عالمنا العربى والاسلامى وأهمها البلهارسيا والانكلستوما والتيفود والتهاب الكبد المعدى وشلل الأطفال .. وأن نمنع الأمراض الوافدة كالكوليرا والجذرى .. وأن نتخلص من كل الآفات الاجتماعية والصحية كالمخدرات والسكر وحوادث السيارات .. وأن نخلق المواطن الصحيح الجسم السليم العقل .. الهادئ الأعصاب .. ولا تقتصر فائدة هذا العلم على المرضى والمرضى فحسب ..

بل هو طريق لابد منه لخلق الطبيب الانسان المثالى المتقن لعمله فسوف نرى فى هذا البحث أن الاسلام قد جاء بتعاليم فى آداب المهنة الطبية وفى تنظيمها وفى علاقة الأطباء بالمرضى وعلاقتهم ببعضهم وجعل هذه التعاليم جزءا لا يتجزأ من العبادات ..

فالى أطباء العالم الاسلامى والعربى .. والى رجال الدين والمهتمين بشئونه .. لكم نتمنى أن يدرس هذا الكتاب فى الكليات العلمية والدينية معا ..

فمشكلتنا الكبرى ..

١ - أن اهل العلم منفصلون عن العلوم الانسانية والأخلاقية التى جاءت بها الأديان ..

٢ - وأن اهل الدين بعيدون عن الجوانب العلمية والطبية التى حواها الدين .. وما أشد حاجتنا أن يجمع كلاهما بين الجانبين .. الدين والعلم معا ..

دكتور

احمد شوقى الفنجري

ما هو الطب الوقائي

اتفقت الهيئات الصحية العالمية على تعريف علمي حديث لكلمة (الصحة) بأنها تحسين حالة الانسان جسديا ونفسيا وعقليا ومعيشيا وليست مجرد غياب المرض ..

و « الطب الوقائي » هو علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية . ويقوم الطب الوقائي لتحقيق هذا الهدف على مجموعة من التعاليم والارشادات والاجراءات لوقاية الانسان من الأمراض السارية والوافدة قبل وقوعها ومنع انتشار العدوى اذا وقعت . ولاطالة عمر الانسان بتحسين ظروف معيشتة ومنع الحوادث وأسباب التوتر العصبي .

العلاقة بين الطب والدين :

والاسلام يختلف عن كل ما سبقه من الأديان في أنه قد جاء للدين والدنيا معا .. فلم يقتصر على الجانب الروحاني والتعبدى وحده .. وعلى الصلة بين العبد وربّه .. ولكنه الدين الوحيد الذي أقام على ظهر هذه الأرض دولة وحكومة .. هي دولة رسول الله في المدينة ..

ثم أنزل من السماء مباشرة كافة التعاليم لإدارة هذه الدولة .. وجعل هذه التعاليم بمثابة دستورها الدائم .. وقد شملت بنود هذا الدستور نظاما كاملا للسياسة والحكم . وشملت بنودا للنظام العسكري والدفاعي وشملت النظام الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي .

وبطبيعة الحال فقد شملت أيضا (النظام الصحي للدولة) .

وبهذا يمكن أن نقول إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى جاء بما يشبه الدستور الدائم أو البروتوكول الذى ينظم مهنة الطب والعلاج وصحة المجتمع وهو ما يسمى فى عصرنا الحاضر (بالطب الوقائى) . وهذه هى الأبواب الرئيسية التى شملتها تشريعات الاسلام الطبية :

أولا - أوامر فى صحة البيئة الإسلامية ونظافتها : Sanitation and Personal Hygiene

ومن ذلك نظافة البدن والأيدى والأسنان والأظافر والشعر .
ونظافة الملابس ونظافة الطعام والشراب . كما نص على نظافة الشوارع والبيوت والمدن وعلى نظافة موارد المياه كالأنهار والآبار ونظافة شواطئها .

ثانيا - أوامر لمنع الأمراض المعدية : Epidimiology

وتشمل الحجر الصحى وعزل المريض وعدم الدخول على الوباء وعدم الفرار منه وغسيل الأيدى قبل الدخول على المريض وبعد الخروج من زيارته والاستعانة بالطب والدواء وكل وسائل العلاج الحديث فى الوقاية والعلاج .

ثالثا - أوامر فى مكافحة القوارض والحشرات والحيوانات الناقلة للمرضى الى الانسان :

فمن ذلك أمره بآبادة الفئران والعقرب والثعالب . . وقتل الحشرات الضارة كالبرغوث والقمل والذباب . . وكراهية تربية الكلاب فى البيوت للزينة واعتبار فمها ولعابها نجسا وأمره بقتل الكلاب الضالة والكلب العقور واعتبار الخنزير كله نجس الممس .

رابعاً - أواخر فى التغذية : Nutrition

وهذه الأوامر ثلاثة أقسام :

الأول : تشجيع الغذاء المفيد للجسم كتحريم المذاهب النباتية وتشجيع المسلم على الغذاء المفيد مثل لحم البر ولحم البحر وكل مشتقات اللحوم والعسل والتمر واللبن وكل ما له قيمة غذائية .

والقسم الثانى : ينظم للمسلم نظام طعامه فمنع الإسراف فى الطعام والأكل بدون جوع والأكل حتى التخممة .. وابتدع نظام الحماية عند المرض ووضع نظاما لراحة المعدة والأمعاء بالصوم الذى لا إسراف فيه ولا مبالغة ..

والقسم الثالث : يتناول المحرمات بسبب ضررها بالصحة كالميتة والدم ولحم الخنزير .

خامساً - الصحة الجنسية : Sex Hygene

وهو يتناول تثقيف المسلم بأمور الجنس وغوامضه وتكوين الجنين ونموه ثم تعليمه كيف يختار زوجته بل وتعليمه طرق المعاشرة الجنسية السليمة . ثم أوامر للنظافة الجنسية كالاستحمام بعد الجماع والاستنجاء بعد البول والغائط وعدم إثيان النساء فى الحيض .. الى جانب تحريم الزنا واللواط والشذوذ ثم تحليل الطلاق وتعدد الزوجات فى الظروف الطبية والانسانية القاهرة .

سادساً - الصحة النفسية والعقلية Mental and Psychic Hygene

وهى تعاليم لمنع أسباب التوتر العصبى والذهنى .. وذلك بالأمر بالإيمان بالله وقدره والصبر عند الشدة والمحنة والمصيبة والمرض وتحريم اليأس .. والانتحار والعنف والظلم والغدر . والأمر

بتعاون الناس وتراحيمهم لتخفيف أعباء الحياة • ثم منع كل يؤر التوتر فى المجتمع كالمقامرة والربا والمضاربة واللهو غير البرى والضجة ومنع كل مغيبة للعقل أو مفترية للشعور كالخمر والمخدرات وكراهية التدخين •

سابعا - تشجيع اللياقة البدنية : Body Built

• بالحث على الجهاد والعمل اليدوى وتشجيع الألعاب الرياضية الجماعية كركوب الخيل والسباحة والرمى والمبارزة والمصارعة والتسابق بكل أنواعه وكراهية السمنة والكرش والخمول •

ثامنا - الصحة المهنية : Occupational Medicine

وهى أوامر لحماية الأجير كالعامل والفلاح والخول أى الخدم ووقاية الأجير من أخطار المهنة وتعويضه عن إصابة العمل وتوفير العلاج والدواء والمسكن الصحى له ولأسرته وتحديد ساعات عمله وتعويضه عن الزيادة وإعطائه حقه قبل أن يجف عرقه •

تاسعا - رعاية المسنين : Geriatrics

وهو فرع من فروع الطب الحديث أول من ابتدعه أطباء المسلمين • واستمدوه من آيات القرآن وتعاليم الرسول التى تأمر برعاية الآباء والأمهات • والجدود ومن فى سنهم من المعمرين واحترام ضعفهم والصبر عليهم اذا مرضوا أو خرفوا وأفراد مرافقين لهم عند العجز وأول من كتب عن هذا الباب هو ابن سينا فى كتابه القانون تحت عنوان : « طب المسنين والشيوخ » •

عاشرا - رعاية الأمومة والطفولة : Maternal and child Health

وهى أوامر لرعاية الأمهات عامة والحامل والمرضع خاصة ••

وعدم تحميل المرأة بالواجبات الشاقة مثل الرجال الى حد اعفائها عن صلاة الجماعة في المسجد ومن واجب الجهاد في ميادين القتال واعتبار رضاعة الطفل مكافئة لجهاد الرجل ٠٠ والموت أثناء الولادة مكافئا للشهادة في الحرب ٠ وشجع على الرضاعة الطبيعية وجعلها جولين أو عامين لصحة الطفل وللإقلال من فرص الحمل المتوالى ٠

حادى عشر - وضع التشريعات لتنظيم مهنة الطب العلاجي والرخص الطبية :

فلاسلام أول من أمر ألا يزاول مهنة الطب الا من يعترف بعلمه (ومن داوى بغير علم فهو ضامن) أى مسئول جنائيا ٠٠ وحث على التخصص وعلى احترام العلم والطب والأطباء وعدم الاقتصار على الدعاء والصلاة عند المرض ٠٠

ثانى عشر - الأسلوب العقائدى لخلق المجتمع الصحى :

وهو أسلوب ابتدعه الاسلام وكان أول من طبقه ٠٠ ثم نقلته الصين الشعبية فى العصر الحاضر وحاولت نسبته اليها ٠٠ ونجحت بفضلها فى أن تصبح الدولة الأولى فى النظافة والتقدم الصحى فى العالم ٠٠ وهو أسلوب يقوم على ربط التعاليم الصحية بعقيدة الأمة ٠ والاستفادة من تأثير العقيدة وطاعة الناس لها وتضحياتهم فى سبيل نصرتها فى الزامهم باتباع الأوامر الصحية ٠٠

هذه هى تعاليم الاسلام الطبية ٠٠ أو البروتوكول أو الدستور الاسلامى للصحة ٠٠ وسوف نتعرض لكل واحدة من هذه التعاليم بالشرح المفصل ٠٠ مستندين فى ذلك بما جاء عنها فى القرآن الكريم أو فى أحاديث الرسول أو فى الفقه الاسلامى ٠

اولا ٠٠

صحة البيئة في الاسلام

صحة البيئة هي العنصر الاساسى فى الطب الوقائى ٠٠

والمقصود بها خلق بيئة صحية لا تنفذ اليها الامراض
ولا تستوطن فيها وذلك بفضل النظافة التامة ٠٠

والمقصود بالنظافة هنا نظافة الناس فى اجسامهم وملابسهم
وعاداتهم ونظافة الشوارع والبيوت ونظافة الطعام والشراب ونظافة
موارد المياه ٠٠

ولم يحدث فى تاريخ الانسانية كلها ان اهتم اى دين سماوى
او حتى نظام او مبدأ ارضى بخلق البيئة الصحية المثالية وجعلها جزءا
من تعاليمه الرئيسية كما اهتم الاسلام بذلك ٠

والتأمل فى آيات القرآن يجد أن أول سورة نزلت كانت تنادى
بالعلم وثانى سورة نزلت تنادى بالنظافة فقد جاء فى السورة الأولى
قوله : « اقرأ » وجاء فى السورة الثانية قوله تعالى : « وثيابك
فطهر » سورة المدثر ٠

والاسلام أول مبدأ عقائدى بل وأول نظام علمى عرفته
الانسانية يأمر بالتعقيم ويحارب التلوث : فقد أطلق الاسلام على
كلمة التعقيم اصطلاح الطهارة ٠٠ والمقصود بها خلو الشئ من

الميكروبات أو المواد الحاملة للميكروبات وأطلق على الشيء الملوث أو الحامل للميكروبات كلمة النجاسة .

وزيادة في الدقة العلمية فقد حدد الاسلام ١٣ مادة (وفي بعض المذاهب ١٤) اذا أصابت احداها أى شيء : مثل ثوب الانسان أو جسمه أو طعامه أو شرابه أو اناء الطعام أو أرض الغرفة أو أرض الشارع أو أصابت الماء الدائم المستعمل للشرب أو الفسيل أو الوضوء ولو كان ماء بئر أو نهر فانها تنجس هذا الشيء (أو العين) كما يسميه فقهاء الاسلام ، ولا يتطهر الا بإزالة هذه النجاسة بغسلها بالماء الجارى أو غليها على النار .

ويشترط الاسلام لازالة هذه النجاسة ازالة الميكروب ولكى نضمن ازالته فهو يشترط عليك أن تزيل لون النجاسة ورائحتها وطعمها أيضا وبذلك يكون الاسلام أول من نبه الى أن تغير اللون والرائحة والطعم دليل على وجوب ميكروب حى يتفاعل .

أما المواد النجسة التى أشار اليها الاسلام والتى قد تحمل الميكروبات فمنها : القيح - والبراز - والدم والبول والمني والقيء والخمر ولعاب الكلب وجسم الخنزير وكل شيء عفن كبقايا الحيوان الميت أو الحى .

والاسلام أول مبدء فى الدنيا يتحدث عن الميكروبات **والطفيليات** : وهى يكنى عنها بكلمة الخبث أو الخطايا أو الشيطان .. ومن أمثلة ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم « قلم أظافرك فان الشيطان يقعد على ما طال تحتها » وفى ذلك إشارة واضحة لا تحتاج الى مزيد من التفسير الى الميكروبات التى تعيش تحت الأظافر كالتيفود والدوسنتاريا أو الى بيض الديدان (كالأكسورس) ويقول الرسول أيضا :

« اذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه .. فاذا

استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أطراف يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أطراف رجليه ثم كان مشيه على المسجد والصلاة ناقلة » .

وكثيرا ما يشير القرآن الى النجاسة والميكروب بكلمة الرجس والشيطان فيقول تعالى : « الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس » الأنعام ١٤٥ . ويشير الى الطهارة أى التخلص من الميكروبات بالغسل بالماء الجارى فيقول تعالى : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان » الأنفال ١١ . ٠٠ ومعروف فى عصرنا الحاضر أن مجرد الغسيل جيدا بالماء الجارى حتى ولو كان ليد الجراح الذى سيجرى عملية جراحية فى غرفة العمليات فإنه يكفى لتطهيرها وتعقيمها من الميكروبات .

والآن قد يتساءل البعض لماذا اختار الاسلام هذه التعبيرات والاصطلاحات بالذات لكى يكفى بها عن التعقيم والميكروب . . . والواقع أن لهذه التعبيرات الاسلامية حكمة عظيمة وغاية أبعد من مجرد التعبير العلمى :

— فالاسلام يريد أن يجعل النظافة عقيدة وسلوكا ملزما للمسلم وليس مجرد الخوف من المرض . . . فهو بهذا جعل النظافة جزءا لا يتجزأ من تعاليم العبادة والصلاة بل انه جعلها من الايمان بل نصف الايمان كله فقال صلى الله عليه وسلم : « النظافة شطر الايمان » ومعروف فى الدين أن الايمان درجة أعلى من مجرد الاسلام . . . وبهذا فلا يجوز للمسلم أن يقابل الله فى صلاته قبل

أن يتخلص من الميكروبات أى النجاسة التى تكون على جسمه أو
ملابسه ٠٠

١٤ - الحكمة الثانية لهذه التعبيرات أن الاسلام قد جاء منذ ١٤
قربا من الزمان فى وقت كان الانسان لا يعرف فيه شيئا عن
الميكروب أو الطفيليات ولذلك فقد كان يستعمل هذه الأسماء لكى
يبسط لهم الأمور ويخاطبهم على قدر عقولهم وفهمهم ولو صرح
الاسلام للناس فى ذلك العصر بأن الشيطان الذى يكمن تحت
الأظافر فى المواد النجسة عبارة عن كائن حى دقيق مادى وملموس
لأصيب أهل تلك العصور بالجنون والهوس ٠

— هذا الى جانب أن هناك اختلافا حتميا وطبيعيا فى لغة
العصر ٠٠ بل هناك اختلاف فى لغة التعبير عن الشيء الواحد من بلد
الى بلد ولو كانوا فى عصر واحد ٠٠ وهذا الاختلاف اللفظى لا يمنع
أبدا الحقائق الساطعة وهى أن الاسلام قد تحدث عن التعقيم وسماه
الطهارة ٠٠ وعن الميكروب والطفيليات وسماها الخبث أو الرجس أو
الشيطان ٠

وهذا هو تفصيل ما جاء به الاسلام من تعاليم فى كل مجالات
النظافة

أولا - نظافة الجسم : Personal Hygiene

١ - لا يكتفى الاسلام بالوضوء قبل الصلاة كوسيلة للنظافة
بل يأمر بالغسل أى الاستحمام فى كل مناسبة حتى لقد أحصى
علماء الفقه الأسباب الداعية للاستحمام فى الاسلام بانها سبعة
موجبة و ١٦ مستحبة أى أنها ثلاثة وعشرون سببا ٠٠ ويكفى أن
نذكر هنا أن أول خطوة ٠٠ للدخول فى الاسلام هى الغسل أى
الاستحمام حتى قبل شهادة أن لا اله الا الله ٠

ويلتزم المسلمون بالاجتماع والالتقاء معا مرة كل اسبوع في صلاة الجمعة . وحتى يكون المسلم في هذا اللقاء نظيفاً خالياً من الروائح الكريهة والعرق فانه يستحب له الغسل لقول الرسول :

« غسل يوم الجمعة واجب والسواك وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه » . . . وقوله : « اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » .

ولا يجوز للمسلم أن يمضي عليه أكثر من اسبوع دون استحمام وذلك لقول الرسول : « حق على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده » .

٢ - والاحتلام للرجل والمحيض للمرأة من موجبات الغسل في الاسلام لما يسببانه من قذارة البدن وزيادة العرق .

وتؤثر المرأة المسلمة بعد المحيض أن تغسل مجرى الدم بقطنة نظيفة وبالماء حتى لا تكون بقايا الدم بؤرة للميكروبات والالتهابات . . . وفي ذلك يقول رسول الله : يرشد النساء :

« تأخذ احداكن ماءها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى يبلغ شئون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها » فقالت احدها : وكيف تطهر بها يا رسول الله . . . قال : سبحان الله !! تطهرى بها فقالت عائشة شارحة : « تتبعى أثر الدم » . الى هذا الحد كان الاسلام صريحا في مسائل نظافة الجسم دقيقا في تعاليمه .

٣ - ولا يكتفى الاسلام بالاستحمام كسبيل لنظافة الجسم . . . بل انه يأمر المسلم بازالة كل ما يمكن أن تتجمع تحته القذارة والميكروبات في جسمه . . . فمن ذلك أمره بالاستحداد . أى حلق شعر العانة ونفث الابط ، والختان للذكور أى ازالة القلفة وقص الشارب حتى لا يعلق فيه الطعام والأوساخ وفي هذه يقول الرسول :

« خمس من الفطرة : الاستحداد والختان وقص، الشارب وتنف
الابط وتقليم الأظافر » ويستحب أن يزيل المسلم هذا الشعر الزائد
مرة كل أسبوع ولا يجوز تركه فوق أربعين يوما وذلك لحديث انس
رضي الله عنه قال :

« وقت لنا النبي صلى الله عليه وسلم في قص الشارب وتقليم
الأظافر وتنف الإبط وحلق العانة ألا يترك أكثر من أربعين ليلة » .

والأيدي : من أهم الأعضاء تعرضا لنقل المرض .. فقد تنقل
المرض عند السلام على المريض أو عند نقل طعام ملوث أو زبالة أو
بعد الذهاب الى الغائط عندما يكون الشخص نفسه مريضا ..
وبعض الديدان تنتقل من نفس الشخص المصاب عند التبرز الى فمه
عندما يأكل اذا نم يغسل يديه جيدا .. وأهمها الاكسورس وهي
دودة صغيرة تعيش حول الشرج وتنقل البويضات تحت أظافر
اليد .

ومن الأمراض التي تنقلها اليد أيضا التيفود والدوسنتاريا
والنزلات المعوية وهذه الأسباب فقد دقق الاسلام بشدة على نظافة
الأيدي فأمر بقص الأظافر وتنظيفها لقول الرسول :

« قلم أظافرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها » وبديهي
أن المقصود بالشيطان هنا هو الميكروب .

— ويأمر الاسلام بغسل الأيدي في الوضوء ثلاث مرات في
المرة الواحدة بحيث يصل الماء الى المرفقين .

— ويهتم الاسلام بغسل الأيدي قبل الطعام وبعده فيقول
الرسول في ذلك : « اغسل يديك قبل الأكل وبعده » وقوله :
« بركة الطعام الوضوء قبله وبعده » ومن أقوال الرسول أيضا :
« ان الشيطان احساس لحاس فخافوه على أنفسكم .. من بات وفي

يده غمر فلا يلومن الا نفسه » . والغمر هو بقايا الطعام الدسم
واللحم .

ويحث الاسلام على غسيل الأيدي قبل النوم وفي ذلك يقول
الرسول : « اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة » ومن السنة
غسل الأيدي بعد النوم أيضا لقول الرسول : « اذا قام أحدكم من
نومه فليغسل يديه فأن لا تدري أين كانت يداك » وذلك لأن
الإنسان أثناء النوم قد يحك بيديه قدمه أو أنفه أو بين فخذه .

ومن تعاليم الاسلام أيضا غسل الأيدي قبل الدخول على
المريض وبعد الخروج من عنده .

وغلة ذلك أن المريض أو الناقه من المرض يكون ضعيف المناعة
وأكثر قابلية للمرض الجديد من الشخص السليم . وقد يكون بين
زواره حامل للميكروب وهكذا يكون غسل الأيدي واقيا للمريض من
عدوى جديدة . وفي هذا يقول الرسول : « من توضأ فأحسن
الوضوء ، عاد أخاه بوعده من النار » .

ونظافة الأقدام : يسرى عليها ما يسرى على اليدين . ومن
السنة أن يخلل الإنسان ما بين أصابع القدمين في الغسيل وأن
لا يدوس بقدمه على شيء غير طاهر وفي التخلل يقول الرسول :
« اذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك » .

نظافة الفم والأسنان :

كان رسول الله إذا أأخذ مضجعه وإذا قام من الليل
وإذا خرج الى الصلاة وكان الصحابة يحملون سراكلهم معهم أينما
ذهبوا ويربطونها في ذوائب سيوفهم وكان نساء الصحابة يحملن
السواك في خمرهن .

ومعروف ان الشرع لا يجيز للمسلم أن يصلي وفي فمه بقايا طعام حتى يغسل فمه ويتمضمض ثلاث مرات وعليه أن يخلل أسنانه ويخرج من بينها بقايا الطعام ولا يتلعلها بل يرميها ٠٠ وحكمة ذلك ان بقايا الطعام اذا تركت في الفم فانها تنتنه واذا دخلت بين الأسنان حملت معها الالتهابات وفسدت فلا يجوز بلعها ٠٠ واذا تركت تسبب الروائح الكريهة وتسوس الأسنان ويبين لنا رسول الله حكمة استعمال السواك فيقول صلى الله عليه وسلم: « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وكان يقول : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .

وقد رأى الرسول بعض أصحابه يهمل في نظافة أسنانه حتى اصفر لونها فقال لهم : « ما لي أراكم تدخلون على قلعها ٠٠ استاكوا رحمكم الله » .

نظافة الأنف :

من السنة الاستنشاق بالماء ثلاث مرات عند كل وضوء مع غسل الفم ٠٠ وهذه ظاهرة ذات مغزى طبي خطير ٠٠ فمعظم الميكروبات التي تنتقل الى الانسان بالرداذ مثل الأنفلونزا وشلل الأطفال والدفتريا وكثير غيرها يصل الميكروب الى الأنف والحلق أولا ومن هناك تنتقل الى داخل الجسم وتصيبه بالمرض ٠٠ وهذا الغسيل المتكرر يجرف معه تلك الميكروبات الى الخارج ويقي الانسان من المرض .

نظافة شعر الرأس :

لا يكتفى الاسلام بالغسل المتكرر في نظافة الرأس بل يأمر أيضا بتهذيب الشعر وحسن مظهره فالرسول يقول (من كان له

شعر فليكرمه) • وعن عطاء بن يسار أن رجلا ثائر الرأس واللحية دخل على رسول الله فأشار إليه الرسول وأمره بغسل شعره واصلاحه ففعل ثم رجع الى مجلس الرسول فقال صلى الله عليه وسلم : أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » ومرة أخرى رأى الرسول رجلا أشعر أشعث فقال : « أما وجد هذا ما يسكن به شعره ؟ » • • وهكذا فإن العناية بالشعر وغسله وتسريحه وتعطيره سنة حسنة في الاسلام • •

وقد انتشرت بين الشباب هذه الأيام اطالة الشعور • وهي عادة لا بأس بها ولا تتعارض مع الدين طالما يحرص الانسان على نظافة شعره وترجيله ولا يعتبر ذلك تشبيها بالنساء لأن التشبيه المنهى عنه في الاسلام هو التشبيه في الأخلاق أى (التخنث) وقد كان الرسول وأصحابه يطيلون شعورهم حتى الكتف •

نظافة الثوب وأناقته :

من روائع الاسلام انه لا يقبل من المسلم صلاة ولا وضوء اذا كان ثوبه قذرا • • والاسلام كما ذكرنا يسمى القذارة نجاسة ويعتبر لبس الثوب الذى يتلوث بأى مادة من المواد النجسة السابق ذكرها محرما الا بعد ازالة النجاسة وازالة رائحتها ولونها ولو بغسل الثوب سبع مرات • • والى جانب هذا فهناك درجات أخرى من القذارة أقل من النجاسة وهي تجعل لبس الثوب مكروها وإن لم يكن محرما •

فقد كان الرسول يستاء اذا رأى مسلما لا ينظف ثوبه ويقول لأصحابه « أما يجد هذا ما يفسل به ثوبه ؟ » •

والثوب الأنيق النظيف لا يعتبر كبرياء أو تعاليا في الاسلام • • قال رسول الله : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » • فقال له رجل : « يا رسول الله • • إن الرجل يحب أن يكون

ثوبه حسنا ونعله حسنا فهل هذا كبير » .. فقال الرسول : « ان الله تعالى جميل يحب الجمال » . وأخذ يذكرهم بقول الله تعالى : « يا بنى آدم خلوا زينتكم عند كل مسجد » وليس القصد بالزينة هنا الملابس الأنيقة فحسب بل النظيفة أولا . .

نظافة الطعام :

لقد بلغت تعاليم الاسلام فى نظافة الطعام والشراب القمة فى الدقة العلمية فرغم أن هذه التعاليم ترجع الى ١٤ قرنا من الزمان الا أنها تشتمل على الكثير من الحقائق العلمية والطبية التى لم تكتشف الا فى عصرنا الحديث .. فمن ذلك :

(أ) أمره كل مسلم أن يغطى اثناء الطعام وأن يسد وعاء الماء ولا يتركه مكشوفاً للأتربة والذباب والميكروبات . وفى هذا يقول رسول الله : « أوكثوا قربكم واذكروا اسم الله . وغطوا أنيتكم واذكروا اسم الله » (البخارى ومسلم) .

ويقول أيضا :

« غطوا الاتاء وأوكثوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء » (رواه مسلم) .

ويقول أيضا :

« اتقوا الذر فان فيه النسمة » والذر هو الغبار والنسمة هى المرض . ولنا ازاء هذه الأحاديث الثلاثة وقفة تأمل .. فمن الحقائق العلمية التى لم تكن معروفة الا بعد اكتشاف الميكروسكوب والميكروب وطرق انتقال العدوى .. ان بعض الأمراض المعدية تنتقل بالرهاذ عن طريق الجو المحمول بالغبار (أى الذر) وان الميكروب

يتعلق بذرات الفبار عندما تحملها الريح وتصل بذلك من المريض الى السليم عن طريق فمه وأنفه أو آنية طعامه وشرابه . ومن هذه الحقائق أيضا أن الأمراض المعدية تسرى في مواسم معينة من السنة بل أن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليله حتى الآن : من أمثلة ذلك أن الحصبة وشلل الأطفال تكثر في سبتمبر وأكتوبر والتيفود يكثر في الصيف أما الكوليرا فانها تأخذ دورة كل سبع سنوات . . والجدرى كل ثلاث سنين وهذا يفسر لنا قول الرسول : ان في السنة ليلة ينزل فيها وباء ، أى انها أوبئة موسمية ولها أوقات معينة .

وكم نتمنى أن يلزم الباعة المتجولون ومحلات البقالة والخضر والفاكهة وجميع المطاعم بأن يكتبوا هذه الأحاديث في لوحة كبيرة تعلق داخل متاجرهم لكى تذكرهم بتفطية الأطعمة والأشربة من الذباب أو وضعها داخل عارضات زجاجية مغلقة غلقا جيدا وأن يعتبروا ذلك من أوامر الدين قبل أن يكون من أوامر وزارة الصحة وقسم الطب الوقائي . . ولو نفذنا أوامر ديننا وحدها لكفانا ذلك نقد الأوروبيين الذين أصبحوا يعتقدون أن الزبالة والذباب فى شوارعنا ومحال الطعام هما جزء من ديننا .

(ب) ويحرص الاسلام على نظافة اثناء الطعام أو الشراب سواء قبل وضع الطعام فيه أو بعد استعماله . .

وقد ذكرنا عددا من المواد التى يعتبرها الاسلام نجاسة . . ومن هذه المواد الدم ولعاب الكلب ولازالة النجاسة يجب غسل الاء سبع مرات أولاها بالتراب لقول الرسول : « طهور اثناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاها بالتراب : وحكمة الغسل بالتراب ان العرب لم يعرفوا الصابون فى ذلك الوقت وكان التراب الوسيلة الوحيدة لازالة بقايا الطعام من دهن وظفر وهى التى

يختبئ فيها الميكروب وبذلك يكون الصابون والماء مجزيا في عصرنا
هذا عن التراب .

(ج) نظافة الشراب :

يهتم الاسلام بنظافة الماء والحليب وأنواع الشراب ويضع
شروطا دقيقة لطهارته . . ومن هذه الشروط أن لا يتغير طعمه
ولا لونه ولا رائحته وإذا تخمر الشراب أصبح نجسا لا يجوز
شربه . . وقد نهى الاسلام أن يتبادل الجماعة الشرب من اناء
واحد . . أو أن يضعوا أفواههم على مصدر الشراب . . بل أن يشرب
كل منهم في كأس خاص وفي ذلك تقول السيدة عائشة . . « نهى
رسول الله أن يشرب في السقاء لأن ذلك يئنه » « وعن أبي سعد
أن رسول الله نهى عن اجتثاث الأسقية أن يشرب من أفواها » .

فمن المعروف أن الكثير من الأمراض ينتقل بهذه الوسيلة الى
السليم من المريض عن طريق اللعاب والشفثين وأهم هذه الأمراض
الانفلونزا والدفتريا والتيفود والسيلان والزهرى وغيرها كثير . .

وقد كان لرسول الله كأس خاص من الخشب يشرب فيه في
البيت هو والسيدة عائشة . .

ومن الملاحظ أن الرسول دقق على ألا يتنفس الشارب داخل
الاناء وهو يشرب منه لأن بعض الميكروبات قد تنتقل مع النفس
وتعيش في السوائل أكثر مما تعيش في الهواء الخانق .

بعد أن تحدثنا عن النظافة الشخصية للإنسان نتحدث عن
نظافة البيئة المحيطة به كمصادر المياه والشوارع والبيوت وهو
ما يسمى في الطب Sanitation .

نظافة مصادر المياه :

والمقصود بمصادر المياه هنا هي ماء الترع والأنهار والآبار .

يضاف الى ذلك مياه البحر المالحة والتي قد تستعمل للغسيل
لا الشرب .

وقد دقق الاسلام بشدة على عدم تلويث مصادر المياه فمنع
القاء الزبالة أو النجاسة فيها وحرم التبول أو التبرز فيها واعتبر
ذلك مجلبة لعنة الله تعالى . وفي ذلك يقول الرسول : اتقوا
الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وفي الظل وفي طرق الناس «
ويقول أيضا : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ فيه فان
عامة الوسواس منه » وعن ابن ماجة (ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى أن يبال في الماء الجارى) .

ومعروف أن الكثير من الأوبئة مثل الكوليرا والتيفود وشلل
الأطفال والتهاب الكبد المعدي قد تنتقل بالماء وتعيش فيه . وأن
البلهارسيا تنتقل الى الماء عند التبول فيه وبعد أن تتطور في الماء
تنتقل الى من يستحم أو يشرب منه . أما الانكستوما فانها تخرج
مع البراز وتعيش في الطين قرب الشاطئ الى أن تصل الى جسم
السليم .

ولهذه الأسباب يعتبر فقهاء الاسلام ان الماء الذي يصيبه البول
نجسا ولا يجوز الوضوء منه أو الاستحمام فيه أو الشرب منه .

ومن الملاحظ هنا ان أحاديث رسول الله تركز وتؤكد دائما على
الماء الراكد أو الدائم مثل مياه الترع الصغيرة والآبار . وقد ثبت
علميا ان معظم الميكروبات وبيض الديدان كالبلهارسيا لا تستطيع
الحياة طويلا أو التكاثر في المياه الجارية كماء النيل أما الترع
الصغيرة والآبار ذات الماء الراكد فانها تشكل خير بيئة لتكاثرها .

نظافة المساكن والشوارع :

يهتم الاسلام بنظافة المدينة . فيمنع افعال الزبالة أو تجميعها

أو القاءها في البيوت والشوارع ٠٠ ويأمر المسلم إذا وجد أي شيء ملقى في الطريق أن يبعده حتى لا يؤذي أحداً أو يشوه منظر الطريق ويحرم الاسلام نجاسة الطريق العام بالقاء القذارة فيه أو بالتفوط أو التبول ٠٠ ويعتبر من يفعل ذلك مستحقاً لعنة الله والملائكة والناس ٠٠ وهذه هي تعاليم الاسلام في كل هذه المجالات ٠

(أ) ففي نظافة البيوت يقول الرسول : « ان الله تعالى طيب يحب الطيب ٠٠ نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم ٠٠ فنظفوا أفنيتمكم ودوركم » ويقول أيضاً : « نظفوا أفنيتمكم ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكباء في دورها » وذلك لأن اليهود كانوا يلقون بالزبالة في الطريق أو في أفنية بيوتهم وكان الرسول يتأذى من الروائح الكريهة التي تخرج من أحيائهم وشوارعهم ٠

(ب) ويحث الرسول المسلمين على نظافة الطريق فيقول : « من سمي الله ورفع حجراً أو شجرة أو عظماً من طريق الناس مشى وقد زحزح نفسه من النار » ويقول : « من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم » وقوله : « أن تميظ الأذى عن طريق الناس لك صدقة » ٠ ومعنى الأذى هنا هو ما قد يضر أو يلوث الطريق أو ينجسها كالزبالة ٠

(ج) ومن آداب الجلوس في الطريق في الاسلام عدم القاء القاذورات لقول الرسول : « اياكم والجلوس في الطرقات » ٠٠ قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجلسنا نتحدث فيها ٠٠ قال : « فإذا أبيتم الا الجلوس فاعطوا الطريق حقه » ٠٠ قالوا وما هو حقه قال : « غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ٠٠ والقصد عن كف الأذى جميع أنواع الأذى ومن بينها القاء الزبالة في الطريق ٠

(د) ويحرم الاسلام التبرز أو التبول في الشوارع العامة

مهما كان السبب فيقول الرسول : « اتقوا الملاعن الثلاث .. البراز
فى الموارد وقارعة الطريق والظل » . وكلمة الظل هنا تعنى فى
عصرنا جدران البيوت وأرصعة الطريق وتحت الشجر .

ويقول الرسول أيضا : « ومن غسل سخيّمته على طريق من
طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

(هـ) ومن روائع الاسلام أنه حرم البصق على الأرض ،
وجعل ذلك خطيئة ومن يفعلها تقلل من حسناته وثوابه .. وذلك
لأن البصاق قد يكون مليئا بالميكروبات المعدية كميكروب السل وهذه
الميكروبات تنقلها الريح الى السليم .. فعن أنس عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال : « البصاق على الأرض فى المسجد خطيئة
وكفارتها ردمها » ورغم ان الحديث ذكر أرض المسجد الا أنه يشمل
عامة طرق المسلمين حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » .. ويقول : « من أذى
المسلمين فى طريقهم وجبت عليه لعنتهم » .

والحكمة العلمية وراء ردم البصاق أن تدفن فى الأرض
فلا ينقلها الريح كما ان الميكروبات لا تعيش طويلا فى التراب
الجاف .

وهكذا لم يترك الاسلام صغيرة ولا كبيرة فى نظافة البيئة
وصحنتها الا طرقها . وأكد عليها . ولو طبقنا قواعد الاسلام لكانت
البيئة الاسلامية أطهر وأنظف بيئة فى الوجود ولأصبح مظهر المسلمين
أنظف وأطهر مظهر بين كافة الأمم . وصدق رسول الله اذ يقول فى
وصف أصحابه : « احسنوا رداءكم .. واصلحوا ركابكم .. حتى
تكونوا شامة فى الناس » وهذه هى علامات البيئة الصحية
الاسلامية . انسان نظيف ومسكن نظيف وطعام نظيف وشراب
نظيف .. فى مدن مرتبة ونظيفة .

الأمراض والإوبئة التي يمكننا منعها والوقاية منها بالنظافة الإسلامية

من أهم أسباب حرص الطب على النظافة هو منع توالد الحشرات الناقلة لميكروبات الأمراض . . وكذلك منع الإنسان من نقل الميكروبات في يديه أو أدوات الطعام من المريض إلى السليم .

وهذه هي بعض الأمراض التي تنقلها الحشرات :

١ - وأخطر هذه الحشرات هو الذباب : وسبب انتشاره الزبال المكشوفة والتغوط في الطرق العامة . وينقل الذباب على جناحيه وأرجله الميكروبات من المريض إلى السليم أو من البراز إلى الطعام والشراب وهذه الأمراض هي :

أمراض ينقلها الذباب إلى الطعام :

- ١ - التيفود والسالمونيلا .
- ٢ - الدوسنتاريا بأنواعها الأميبية والباسيلية .
- ٣ - ميكروب التسمم الغذائي والشيحلا .
- ٤ - الحميات الخطرة مثل - شلل الأطفال - التهاب الكبد المعدي - الكوليرا - والجدرى .

أمراض ينقلها الذباب إلى العين كالتهاب العين والتراكوما عن طريق تلويث الجروح بنقل :

- ١ - الحمى القرمزية .
 - ٢ - تقيح الجروح .
- ذباب الرمل وينقل فرحة حلب (لشمانيا) .

٢ - والصرصار : يعيش على الزباله وينقل إلى الطعام نفس الأمراض التي ينقلها الذباب .

٣ - **والبرغوث** : يعيش على جسم الانسان والحيوانات بسبب القذارة وعدم الاستحمام وينقل الأوبئة مثل الطاعون والتيفوس كما ينقل الطفيليات مثل الهيمونوليس .

٤ - **والقمل** : يعيش فى الرأس والجسم بسبب عدم الاستحمام أيضا وينقل التيفوس والحمى الراجعة وحمى الخنادق .

- **والناموس** : يعيش فى المستنقعات والمياه الراكدة والبيوت السيئة التهوية وينقل الملاريا والفيلاiria والحمى الشوكية والحمى الصفراء وحمى الدنج .

قدارة الأيدى والأمراض التى تنقلها :

فكثير من الميكروبات يعيش تحت الأظافر الطويلة القذرة أو ينتقل بعد التبرز عند عدم غسل اليد ويصل الى الطعام عند اعداده ومن هذه الأمراض جميع الأمراض التى ينقلها الذباب وأهمها التيفود والسالمونيلا والدوسنتاريا والتسمم الغذائى وأيضا بيض الديدان وأهمها الاكسوريس والاسكارس والثنيا بأنواعها .

هذه هى بعض الأمراض التى تنقلها الحشرات التى تنتقل باللمس وسوف نأتى بتفصيل أكثر الى المجموعة الأخرى التى تنتقل بأغذية أو عادات حرمها الاسلام .

ثانيا ٠٠

علم مكافحة الأوبئة Epidimology

تعاليم الاسلام الوقائية عند حدوث المرض المعدى

تختلف تعاليم الاسلام اختلافا جذريا عن غيره من الأديان فى مواجهة المرض ٠ والملاحظ ان تعاليم معظم الديانات السابقة للاسلام تعتمد فى معالجة المرض على الرقى والتمايم والأحجبة وعلى دعوات رجال الدين لطرد الأرواح الشريرة وعلى اضاءة الشموع ودهن جسم المريض بالزيت الى غير ذلك من التعاليم التى أبطلها العلم الحديث ٠٠ وقد كان الخطر من وراء هذه التعاليم أنها لاتعترف بالطب ولا الدواء بل تعتبر أن المريض لابد وأن يشفى بالدعاء وحده ٠ ولا يذكر أى دين من هذه الأديان شيئا عن الوقاية من المرض سواء بالنظافة أو بالعزل أو بالبعد عن مصدر العدوى ٠

وتأتى تعاليم الاسلام الوقائية فى كتب المشرع ٠٠ تحت باب « آداب عيادة المريض » ٠ وتتميز هذه التعاليم بالأسلوب المنطقى والعلمى الذى لا يختلف عن أساليب الدول المتطورة فى القرن العشرين ٠

١ - وأول هذه التعاليم التي ينادى بها الاسلام عند وقوع المرض هي علم السخط أو الانزعاج أو اللعز من المرض والتزام الصبر عند الشدة والرضى بقضاء الله وقدره . وهذه الفلسفة الاسلامية في مواجهة المرض تجعل المسلم يقابل المرض بمعنويات عالية تساعد على سرعة الشفاء . اذ أنه يعتبر ان المرض امتحان من الله للانسان في عزمته وزكاة عن صحته . وغفران لأخطائه وسيئاته وفي هذا يقول الرسول « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » . وينتهي الرسول عن التبرم من المرض أو سبه لأن السخط والسب ليس من خلق المسلم علاوة على أنه لا يساعد على الشفاء وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد » .

٢ - والأمر الثاني من تعاليم الاسلام هو وجوب الاستعانة بالطبيب المختص لمعرفة المرض واعطاء العلاج للمريض من دواء وحسن أو اجراء عملية اذ: لزم الأمر . وقد جاء في السيرة ان رسول الله دخل على مريض يعود فلما رآه طلب من أهله أن يرسلوا الى طبيب فقالوا مستغربين « وأنت تقول ذلك يا رسول الله » فقال الرسول « نعم تداووا عباد الله فان الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل له دواء » ومن أقوال الرسول أيضا : « لكل داء دواء فاذا أصاب دواء الداء برىء بأذن الله عز وجل » . ويقول : « ما من داء الا وله دواء الا داء واحد » قالوا ما هو قال : « الهرم » .

٣ - والاسلام في نفس الوقت لا يهمل الجانب الروحي في علاج المريض ولا يأمر بترك الدعاء له بالشفاء سواء كان هذا الدعاء بآيات من القرآن تتلى له أو بالصلاة أو حتى بالتمنيات الطيبة

ولكنه يختلف عن غيره من الأديان في أنه لا يرضى بإهمال العلاج على حساب الدعاء والصلاة بل يجعل لكل منهما مكانه : ومن دعوات رسول الله لأصحابه عند المرض قوله : « اللهم أذهب عنه ما يجد وأجره فيما ابتليته » .

٤ - ومن تعاليم الاسلام الوقائية عزل المريض بالمرض المعدى في البيت أو المستشفى وعدم اختلاطه بغيره من الأصحاء حتى لا ينتقل اليهم العدوى . . فإذا كان عاملاً في مصنع أو تلميذاً في مدرسة أو حتى من يركب في المواصلات العامة عليه إذا كان مرضه معدياً أن يراعى الله في صحة الناس وأن يعتزل مجالسهم وألا يختلط بهم حتى يشفيه الله وحتى لا يعطل العمل والانتاج . أو يبتلى غيره بالمرض وفي هذا يقول رسول الله . « لا يورد ممرض على مصح » أى لا يدخل المريض على الأصحاء فينقل اليهم العدوى .

٥ - وفي نفس الوقت الذى يأمر فيه الاسلام بعزل المريض المعدى وعدم دخوله على الأصحاء فإنه يأمر الأصحاء بدورهم بالبعد عنه الى أن تزول عنه مظاهر العدوى ويصحب غير ناقل للمرض وفي هذا يقول الرسول : « ان من القرى التلث » (أخرجه أبو داود) والقرى هو مقارفة المريض أى ملاسته والاحتكاك به والتلف هو الهلاك . . أى . . العدوى .

٦ - وقد سن الاسلام مبدأ الحجر الصحى أى عزل المريض الذى لا يرجى شفاؤه عن الناس ورخص للناس فى عدم السلام عليه أو الاختلاط به . . فقد جاء الى الرسول وفد من البادية لكى يبايعوه وبينهم رجل مصاب بالجذام فرفض الرسول أن يدخل المذنوم فى مجلسه أو يبايعه باليد وأرسل اليه من يقول له : « أبلغوه أنا قد بايعناه فليرجع » وهو مثل رائع

في تغليب العقل على العاطفة والمنطق العلمي على المجاملات
ومن أقوال الرسول في هذا : « اجعل بينك وبين المجذوم قدر
رمح أو رمحين » .

٧ - والاسلام يضع قاعدة صحية خطيرة في التعامل مع المرض
الوبائي كالكوليرا والطاعون والجدرى .. وتتلخص هذه
القاعدة في قول الرسول : « اذا سمعتم بالوباء بأرض
فلا تقدموا عليه .. واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا
فرارا منه » .

وهذه القاعدة لا تختلف عن أحدث التعاليم العلمية في عصرنا
الحديث .. فالتباعد في وزارات الصحة انه اذا وقع وباء كالكوليرا
أو الجدرى في أى مدينة يضرب حولها نطاق عازل محكم .. ويمنع
الناس من الدخول اليها تحت أى ظرف من الظروف الا رجال الصحة
ومن يقتضى الأمر دخولهم تحت الاشراف الصحى وفى نفس الوقت
يمنع خروج أى انسان أو حتى سيارة ولو كانت تحمل الصحف
والكتب من داخل المدينة الى خارجها .

وقد حدث أن كان عمر بن الخطاب يريد زيارة الشام مع كبار
الصحابة .. فخرج أبو عبيدة حاكم الشام اليه لى يقابله فى
الطريق وأبلغه أن فى الشام وباء الطاعون .. وأخذ عمر يتشاور
مع الصحابة فمنهم من طالبه بالمضى الى الشام وعدم الهرب من الوباء
أو من قدر الله . ومنهم من طالبه بالعودة وعدم تعريض المسلمين
وكبار الصحابة الى الوباء ويعتبرون ان محاولة الهرب من الوباء
والنجاة منه بمثابة الهرب من قضاء الله الى قضاء الله .. وأخيرا جاء
أحد الصحابة وأخبرهم بالحديث الذى سمعه عن الرسول فحسم
الأمر وعاد الى المدينة وأمر أهل الشام بعدم الخروج الى أن
ينتهى الوباء .

٨ - والاسلام بهذا المفهوم المتفتح يبحث بل يأمر بالتطعيم العام طالما كانت فيه وقاية من المرض ولا يعتبر ذلك هروبا من قضاء الله .. فقد جاء رجل الى الرسول يسأله : « يا رسول الله أرأيت في أدوية نتعاطاها وعلاج نأخذها .. أيمنع هذا من قدر الله .. فقال الرسول : « بل هي من قدر الله » .

٩ - ومن آداب الاسلام في عيادة المرضى غسيل الأيدي قبل الدخول على المريض وبعد الخروج من عنده .. بل ان الاسلام يستحسن أن يكون الغسيل وضوءا كاملا ودقيقا أى غسيل الوجه والأنف والحلق والأرجل مع غسيل اليدين وفي هذا يقول رسول الله :

« من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المريض بوعده من الناس » .

وحكمة هذه التعاليم ان الانسان السليم قد يكون حاملا للميكروب في يديه أو حلقه .. وكثيرا ما يكون المريض أو الناقه من المرض ضعيف البنية وضعيف المقاومة للمرض ودخول أى شخص حامل للميكروب عليه قد يصيبه بمرض جديد : اما عند الخروج من زيارة المريض فحكمة الغسيل أو الوضوء بعدها ألا يحمل الانسان منه أى ميكروب الى نفسه أو غيره من الناس .

١٠ - وأكثر الأمراض المعدية كالذئب والحصبة والسعال الديكي وخصوصا أمراض البرد كالانفلونزا والزكام كلها تنتقل عن طريق الرذاذ أى بالعطس في الجو .. وقد استن رسول الله سنة حميدة للمسلمين في ذلك .. فكان اذا عطس أدار وجهه وغطى أنفه ونمى بكفيه أو بطرف ثوبه وكان الصحابة كلهم يفعلون ذلك .. ومن أقوال رسول الله عن العطس : « شئت

إخاك عند العطس حتى ثلاثة فما زاد فهو زكام ، ومعنى الحديث ان العطس اذا زاد عن المقول فهو زكام ويجب الحذر منه وفي الدول الصناعية المتطورة هذه الأيام يأمرّون العمال وطلبة المدارس اذا أصيب أحدهم بالزكام أن يلبس على وجهه قناعا من القماش ويسير به أينما ذهب حتى لا يملأ جو المصنع أو المدرسة بالعدوى . . . عندما يعطس أو يتنفس فما أبدع حكمة رسول الله وأروع سنته التي جاءت قبل العلم الحديث بأربعة عشر قرنا من الزمان .

١١ - وهناك كثير من ميكروبات الأمراض المعدية يمكنها أن تصل الى الانسان عن طريق ذرات الغبار المعلقة في الهواء . . . مثال ذلك اذا بصق انسان مريض بالسل على الأرض فان الميكروب الموجود في البصاق يعيش مدة طويلة ثم يحملها الهواء مع ذرات الغبار فيصل الى الانسان السليم عندما يستنشق هذا الهواء ونفس الشيء يحدث مع جميع أمراض الرذاذ كالدفتريا والتهاب الحلق المعدي والانفلونزا وقد جاء حديث رسول الله يصف هذه الحقيقة العلمية ويحذر منها فيقول : « اتقوا الذر فان فيه النسمة » والذر هو الهواء المحمل بذرات الغبار والنسمة هي الأمراض التي تنتقل عن طريق التنفس .

١٢ - ومن هنا أيضا تأتي حكمة الرسول في قوله صلى الله عليه وسلم : « البصق على الأرض في المسجد خطيئة وكفارتها ردها » لأن دفن البصاق في التراب يقتل الميكروبات ويمنعها من الحياة . . .

قالنا ..

علم التغذية في الاسلام Nutrition

« ويحل لهم الطيبات .. ويحرم عليهم الغبائث »
قرآن كريم

تتأثر الشعوب في صحتها بل وأيضا في أخلاقها وعاداتها بنوع
الغذاء الذي تأكله وبطريقة تناولها لهذا الطعام ..

وقد اهتم الاسلام بغذاء المسلم اهتماما لم يسبقه اليه اى دين
او تشريع من قبل فلا يخلو كتاب من كتب الفقه والتشريع من باب
عن علم التغذية يسمى باب الأطعمة والأشربة ..

فمن الأطعمة ما حرمه الاسلام لضرره بصحة الانسان أو بأخلاقه
ومن الأطعمة ما حث عليه لأن تركه يضعف المسلم جسديا أو معنويا
ومن عادات الطعام أيضا ما يضر فنهى عنه الدين . ومنها ما ينفع
فنظمه الدين وحث على اتباعه . ومن الملاحظ في هذا المجال
أن الاسلام يختلف في تنظيمه للغذاء عن العلوم الحديثة في أنه
لا يقصر تعاليمه على الجانب المادى وحده ولا ينظر الى بناء الجسم
فحسب .. بل هو يهتم أيضا بكل ما يؤثر على الأخلاق والمعنويات
والسلوك الانسانى .

وتنقسم تعاليم الاسلام الغذائية الى ثلاثة أبواب :

• أولا - الأغذية المحرمة

• ثانيا - الطعام المباح

• ثالثا - تنظيم عادات الغذاء

أولا - الأطعمة المحرمة على المسلم

يقول الله تعالى :

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ لُغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخَلَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَّسِرِدَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ » المائدة ٣ •

فلننظر الى الحكمة العلمية لتحريم كل واحدة من هذه الأطعمة • وقد رأيت أن أفرد في آخر الكتاب بابا مستقلا لموضوع لحم الخنزير وذلك لأهمية هذا البحث وخاصة للشباب المسلم الذين يتلقون العلم في الغرب ويحتاجون الى رد علمي مقنع ومفصل :

أولا - تحريم الميتة :

من المعروف علميا ان الحيوان لا يموت الا لسببين اما الشيخوخة وكبر السن واما المرض • فاذا كان السبب هو المرض فالإنسان قد يتعرض للعدوى بأحد طريقتين • • اما عن طريق انتقال الميكروب مباشرة من اللحم الى الانسان اذا لم يكن اللحم قد طهي جيدا • • واما عن طريق السميات التي يفرزها ميكروب المرض والتي لا يمكن أن يقتلها الطهو وهذه تسبب التسمم الغذائي •

وكثيرا ما يكون موت الحيوان بسبب أكله بعض الأعشاب السامة أو المواد الكيميائية القاتلة وفي هذه الحالة فإن أثرها يبقى في لحمه ويصيب من يأكله .

والآن اذا جئنا الى الشيشوخة وجدنا أن الحيوان الذي يهرم يصاب بتليف في جميع أنسجة جسمه فيفقد قيمته الغذائية ويصبح عسر الهضم في الأمعاء . وغنى عن البيان أن المقصود بالميتة هنا هى الحيوان الذى مات لتوه ولم يصب لحمه بالتعفن . لأن الحيوان المتعفن تعافه النفس البشرية بطبيعتها ولا يحتاج الأمر الى نزول أمر فى القرآن يمنعه .

ونلاحظ هنا أن الاسلام يؤكد على نوعين من الميتة أحلها للمسلمين : هما طعام البحر وصيد البر . فالسمك يموت بمجرد خروجه من البحر ولا يعتبر ذلك مرضا . والصيد أيضا يموت اذا ضرب بالسهم أو بالرصاص ولا يعتبر ذلك مرضا وضرا بأكله وهذا يؤكد لنا أن حكمة الله فى منع الميتة هى منع انتقال المرض والضرر فحسب .

ثانيا - تحريم الدم :

يقوم الدم فى جسم الكائن الحى بوظيفتين :

الاولى أنه ينقل المواد الغذائية التى تمتص من الأمعاء مثل البروتينات والسكريات والدهنيات الى أعضاء الجسم وعضلاته الى جانب حمله للفيتامينات والهرمونات والأوكسيجين وجميع العناصر الحيوية والضرورية والوظيفة الثانية هى حمل افرازات الجسم الضارة والمعدة للخروج فى البول والعرق والبراز لكى يتخلص منها الكائن الحى . واذا كان الحيوان مريضا فان الميكروبات تتكاثر عادة

فى دمه أو تستعمل الدم كوسيله لانتقالها من عضو الى آخر كما أن افرازات الميكروب وسمياته تنتقل عن طريق الدم أيضا .

ولهذه الأسباب فقد حتم الاسلام الذبح الشرعى الذى يقتضى تصفية دم الحيوان بعد ذبحه وقد يقول قائل ان بعض الشعوب غير الاسلامية لا تستعمل طريقة الذبح بل تكتفى بخنق الحيوان ثم أكله بلمه . ولا شك ان أى مسلم يتذوق هذا اللحم سوف يميزه فى الحال بسبب المرارة الناجمة عن آثار الدم فيه ، هذا اذا اعتبرناه خاليا من الأمراض والضرر .

ثالثا - المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع :

من المعروف علميا أن الكائن الحى اذا اختنق أى منع دخول الأوكسجين الى رئتيه فانه تتراكم فى الجسم مادة ثانى أوكسيد الكربون السامة كما تتراكم جميع الافرازات السامة التى تخرج عادة مع النفس فى عملية الزفير وهذه المواد اذا احتبست عادت لثمتص فى الجسم وتحدث التسمم فى كل أنسجته ثم الوفاة .

والموقوذة : هى الحيوان الذى يضرب ضربا يؤدى الى الموت بعد أن يتلف الضرب أنسجة الجسم وعضلاته .

والنطيحة والمتردية : هى ما مات عن حادث كدهم السيارة أو سقوط من مكان عال وكلاهما يفسد لحمه كالضرب المفضى الى الموت .

اما ما أكل السبع : (والسباع هنا هى كل حيوان ذى ناب من آكلات اللحوم كالكلب والثعلب وابن آوى) وحكمة ذلك ان هذه الحيوانات البرية قد تكون مصابة بمرض يظهر فى فمها ولعابها وتبقى آثاره على اللحم فتؤذى من يأكل منه وتمرضه ولنا هنا ملحوظة يجب أن توضع فى الاعتبار :

(أ) ان الاسلام لا يحرم على المسلم تناول أى نوع من هذه الأطعمة اذا كان مضطرا كمن يتعرض للهلاك جوعا .

(ب) أن هناك جانبا روحانيا وأخلاقيا فى التحريم يجب ألا نغفله فليس الطب الجسمي هو العامل الوحيد ولكن هناك الطب الروحي والأخلاقي أيضا .. فالاسلام يحرم تحريما قاطعا كل أنواع العنف والعدوان للحصول على الطعام .. فيحرم ضرب الحيوان أو خنقه أو تغذيته .. كما أنه يكرم الانسان تكريما حينما ينهأ عن أكل اللحم الذى يتبقى من الحيوانات الأخرى أو أكل حيوان دهمه انسان مستهتر بسيارته وهكذا ..

(ج) والاسلام يحرم « ما أهل لغير الله به » والقصد من ذلك أن لا يؤكل الا ما ذبح ذبحا شرعيا فيه اكرام للحيوان نفسه وصيانة للمسلم عن مخالطة عقيدة الشرك بأكل حيوان ذكر عليه اسم غير اسمه تعالى كاسماء الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله .

رابعاً - لحم الخنزير .. وحكمة الاسلام فى تحريمه :
(راجع البحث العملي المفصل فى آخر هذا الكتاب) .

٢ - كيف حارب الاسلام سوء التغذية :

« فى كل لقمة يتناولها المسلم صدقة »

(محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أغذية أحلها الاسلام أو شجع عليها :

لم يكتف الاسلام بالنص على كل المحرمات .. بل تعدى ذلك الى تنظيم الغذاء الحلال والى توجيه المسلمين الى ما ينفع أبدانهم ويحفظ صحتهم .

وهو فى هذا لا يتبع أسلوب النهى القاطع ولا الأمر الملزم كما هو الحال فى المحرمات ولكنه يكتفى هنا بالتوجيه غير المباشر . . . وغير الملزم حتى لا يكون فى الدين عسر ولا ارهاق وبهذه الطريقة نجد أن الاسلام قد نظم ولا نقول ألزم أو حدد للمسلمين الطعام الذى حلله لهم من ناحية :

أولاً - نوع الطعام .

ثانياً : نظام الطعام .

ولكى ندرك مدى ما فى تعاليم الاسلام من منطق علمى وفكر علمى فلا بد أولاً من دراسة مقارنة للاديان الأخرى :

فالبوذية : مثلاً تحرم على كل من يعتنقها أكل اللحوم على الإطلاق . وذلك لمبدأ (الأهمسية) أى عدم العنف باعتبار أن الذبح فيه قسوة وقد أثبتت التجارب العلمية أن الانسان إذا عاش على النباتات وحدها أصيب بالهزال وضعف البنية وتعرض لأمراض فقر الدم . ولعل هذا أحد الأسباب الرئيسية فى تسمية الشعوب النباتية بالشعوب الصفراء . . . وقد بدأت اليابان والصين فى العصر الحديث بمحاربة هذه العادة النباتية حفظاً على صحة أبنائها وذلك بتشجيع أكل اللحوم فى المدارس والمعاهد .

ولكن لأن هذا التغير فى حياتهم قد بدأ بدون هدى من عقيدة معينة أو دين أو مبدأ فقد أقبلت الصين على أكل الكلاب والثعابين كما أقبلت اليابان على أكل السمك النيئ دون طهيهِ .

ومن المعروف علمياً أن اللحوم كمصدر للغذاء تحتوى على العناصر الحيوية لتكوين الدم وإهمها الحديد والزنك وفيتامين ب^{١٢}، كما أن كمية البروتين والدهنيات فى اللحوم أكبر وأكثر فائدة وتنوعاً منها فى النباتات .

والهندوكية : تحرم لحم البقر بسبب تقديسهم للبقرة واعتبارها في منزلة الآلهة والذي يهنا هنا في موضوعنا أنه لم يثبت طبييا ولا علميا أن هناك أى ضرر من تناول لحم البقر طالما طهى جيدا بعكس ما هو حادث في لحم الخنزير كما ذكرنا في دواعى تحريره .

وهناك ديانات أخرى كالمسيحية تأمر بالصوم عن أكل الحيوانات وكل مشتقاتها وما يستخرج منها مثل البيض والحليب والجبن مدة تتراوح بين الأربعين والتسعين يوما كل عام . وقد اتضح ان هذه المدة تكفى لظهور أعراض فقر الدم عند الأشخاص الضعيفى البنية والدم .

فاذا جئنا الآن الى الاسلام بعد هذا العرض المقارن للاديان الأخرى لوجدنا ان هذا الدين المنطقى عندما يحرم أو يحل طعاما انما

١ - ان الله وحده هو الخالق وهو وحده الذى له حق التقديس ولا يشاركه فى التقديس أى مخلوق آخر سواء أكان انسانا أم حيوانا أم جمادا .

٢ - ان الله عنده ما يحرم على المسلم طعاما فذلك لتجنبه الامراض والضرر وليس لتقديس ذلك الطعام .

٣ - ان تلك الحيوانات قد خلقها الله وسخرها لنا لنتنتفع بها ونأكل لحومها .

وقد سن الله لنا ركوبها والاستفادة منها وهى حية دون عسف أو ارهاق كما سن لنا صيدها وذبحها لأكلها مع الرحمة وعدم التجنى .

ومن تعاليم الاسلام فى الذبح والصيد ما يأتى :

(١) فقد نهى رسول الله : « أن نصبر البهائم » أى أن تمسك

وتجعل هدفا يرمى اليه حتى تموت .. ولذلك عندما حكم العرب
اسبانيا فقد أوقفوا مصارعة الثيران خلال حكم الاسلام لما فيه من
تعذيب للحيوان وقسوة .

(ب) ونهى الرسول عن (الحذف) وهو رمي الطير أو الحيوان
بالحصاة أو النبله وقال صلى الله عليه وسلم في ذلك « أنها لا تصيد
صيدا ولا تنكأ عدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين » صحيح
مسلم .

(ج) ونهى رسول الله عن قتل الحيوان للتسلية أو للرياضة
أو لمجرد تعلم الرماية .. وقال في ذلك : « لعن الله من اتخذ شيئا
فيه الروح غرضا » .

(د) ويأمر الاسلام باحسان الذبح . فتكون الشفرة حادة وإن
لا يرى الحيوان السكين ولا يروع أو يضرب قبل الذبح وأن يسمى
عليه اسم الله .

وفي هذا يقول الرسول : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء
فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم
شفرته وليرح ذبيحته » .

(هـ) ومن حكمة الاسلام في الصيد بالكلب المعلم المدرب
أنك تستطيع أن تأكل من صيدك اذا أطلقت كلبك عليه ليمسكه ..
فاذا أكل منه كلبك فلا يجوز لك أن تأكل بعده لأن ذلك معناه ان
كلبك كان جوعان فاضطر الى الأكل من الصيد فهو أحق به .. ومن
حكم الاسلام أنك اذا .. وجدت الصيد وقد أمسك به كلب آخر
غير كلبك فلا تأكل منه والحكمة الطبية وراء ذلك أنك تعرف كلبك
وتعلم أنه غير مريض أما الكلب الضال فقد يكون حاملا للميكروب
في لعابه وقد يكون عقورا وفي هذا يقول رسول الله :

« اذا وجدت مع كلبك كلبا آخر فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره » ٠٠ (صحيح مسلم) ٠

(و) وهناك خمسة حيوانات سمح الاسلام بقتلها لغير الحاجة الى أكلها ولكن لمجرد حماية الناس من شرها وذلك لقول رسول الله :

« خمس لا جناح على من قتلهن » الفأر والعقرب والحية والكلب العقور والحدأة » وفي هذا يخالف الاسلام مبدأ (الأهيمنة) الذي يرفض قتل الحية والعقرب ٠ هذه شروط الاسلام وتعاليمه في الذبح ٠ وهي تعاليم تجمع بين الرحمة والواقعية ٠ وبين مصلحة الانسان والرأفة بالحيوان ٠

وبهذه النظرة الواقعية يحل الاسلام للناس كل نوع من الطعام فيه فائدة لأجسامهم ولا يصيبهم بالضرر ٠ وفي هذا يقول الله تعالى : « يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات » ٠ أى أحل لكم جميع ما تستسيغه الأذواق السليمة ٠ ولا يكتفى الاسلام بمثل هذا التصريح بل نراه يستنكر كل محاولة أو تطوع من عبادة لتحريم شيء آخر زيادة على ما حرمه الله فيقول الله في سورة الأعراف « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » ٠

ويؤكد الله تعالى على هذا المعنى في سورة المائدة قائلا :

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » ٠٠

وأخيرا نرى أن الله يعلن في سورة النحل :

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » ٠ كل هذا الاهتمام والأصرار راجع الى أن الاسلام لا يرضى لأبنائه ضعف البنية واعتلال الصحة ٠ فرسول الله يقول :

« المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » .
 وهو ينهى عن الصيام الذى يضعف الجسد كما فى الديانات
 الأخرى فيقول : « لا صام من صام الدهر » .
 ويقول : « فى كل لقمة يتناولها المسلم صدقة » .
 وقد بلغه أن جماعة من المسلمين قرروا اعتزال النساء والصيام
 طول العمر فغضب صلى الله عليه وسلم وقال لهم :

« ان كنتم من رهبان النصارى فالحقوا بهم .. انى أصوم
 وأفطر وأقوم وأرقد وأنكح النساء .. وهذه سنتى فمن رغب عن
 سنتى فليس منى » .. ويشير الله فى كتابه الى فضل الرجل القوى
 البنية فى مناسبات عدة فيقول : « وزادكم فى الخلق بسطة » .
 ويقول : « ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » .

الغذاء المستحب للمسلم :

لا يكتفى الاسلام بهذه الاباحة المطلقة بل انه يشجع بطريقة
 جميلة ليس فيها الغصب ولا الاجبار على أنواع معينة من الطعام لما
 فيها من القيمة الغذائية والصحية . فمن الأطعمة التى جاء ذكرها
 بالاستحسان فى القرآن اللحوم ومنتجاتها سواء منها لحوم البر أم
 لحم البحر والعسل واللبن والتمر .

حكمة الاسلام فى تحريم المذاهب النباتية :

لقد أثبت علماء التغذية أن الانسان لكى يعيش عيشة صحية
 سليمة فلا بد له من أكل اللحوم والنباتات معا ولا يمكنه الاقتصار
 على أحدهما دون الآخر .. ومن الملاحظ أن الشعوب النباتية مثل

الهند تكون أجسادهم هزيلة ضعيفة .. والطفل المولود فى الشعوب النباتية لا يزيد عادة عن ٢ كجم فى حين ان مثيله فى الشعوب الأخرى يزيد على ٣ كجم .. ومما يعوض النباتيين أن يأكلوا المشتقات الحيوانية كالحليب والبيض الى جانب النباتات والا أصيبوا بالهزال وفقر الدم ..

واللحوم تحتوى كمية كبيرة من البروتين والدهون وهى مواد لازمة لبناء أنسجة الجسم وتوليد الطاقة .. وحقيقة أن النبات يحتوى على هذه المواد أيضا ولكن لكى يحصل الانسان على الكمية اللازمة لنموه وطاقته فلا بد له من كمية كبيرة جدا من النباتات مما قد يجهد جهازه الهضمي وذلك لأن أمعاء الانسان قصيرة بالنسبة لأمعاء الحيوانات آكلة العشب) . وهناك اعتراض آخر على الأغذية النباتية وهى أن بروتينات النبات لا تولد جميع الأحماض الأمينية اللازمة لبناء أنسجة الجسم .

وهكذا تظهر لنا حكمة الاسلام فى محاربة المذاهب النباتية والحث على أكل اللحوم .

عن اللحوم : يقول الله تعالى : « **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** » ويؤكد الله تعالى على أهمية اللحوم وعلى زيادة قوتها الغذائية على الأغذية النباتية وذلك عندما ابتداء بعض أخبار اليهود يتجهون الى المذهب النباتي وقالوا : « **يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** » .. أى من البقول والحنطة وغيرها من الأغذية النباتية فكان الرد عليهم « **قال اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير** » .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن الاسلام الذى جاء دينا وسطا قد أمر بالاعتدال فى أكل اللحوم وعدم الاكثار منها عن عمر عن رسول

الله : « اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر . وان الله يبغض
 أهل البيت اللحميين . فمن المعروف أن الاكثار من اللحوم يزيد
 الانسان حدة في الطبع وميلا الى العنف . كما أنه من الناحية الطبية
 يزيد نسبة الكولسترول في الدم بسبب الدهن الحيواني فيعرض
 الانسان للذبحة القلبية وتصلب الشرايين . »

اللبن : هو الغذاء الثالث الذي يتحدث عنه الاسلام
 بالاستحسان وفيه يقول تعالى : « نسيكم مما في بطونه من بين
 فوثن ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » . ورسول الله يقول :
 « لا أعلم ما يجزى من الطعام والشراب مثل اللبن » . واللبن
 لا يحتاج الى مزيد شرح لفوائده كغذاء كامل للطفل ولكبار السن .
 ومن الأبحاث العلمية المشهورة أن الطبيب الروسي (بوجموليتز)
 صاحب الأبحاث على إعادة الشباب قد لاحظ أن إحدى القبائل
 المسلمة في يوغوسلافيا يزيد متوسط العمر فيها على ١٠٠ مائة
 عام . وقد ظل يبحث عن أسباب ذلك فوجد غذاءهم الرئيسي
 يعتمد على لحم الغنم وعدم أكل الخنزير ويعتمدون على العسل ولبن
 الماعز ولا يتناولون الخمور .

عسل النحل : وفوائده الطبية والعلمية : بحث مستقل في
 آخر الكتاب .

٣ - الاسلام ونظام التغذية

الاسلام نظم غذائنا كما وكيفا وتوقيتا

لم يقتصر الاسلام في تعاليمه الغذائية على تحريم الأطعمة
 الضارة بالصحة كالميتة والدم ولحم الخنزير . .

بل لقد حارب أيضا سوء التغذية بأن شجع المسلم على تناول

كل طعام مفيد كالحم البر والبحر وكل ما تنتجه الأرض من خيرات
وثمار وعلى تناول العسل واللبن لقيمتها الغذائية •

وبعد هذا كله لا يكتفى الاسلام بذكر الحلال والنص على
المحرمات من الطعام فقد شملت توجيهات الاسلام أيضا نظام
الطعام ومواعيته وكميته وطريقة تناوله • فمن المعروف علميا أن
هناك عددا كبيرا من الأمراض تصيب الانسان بسبب سوء نظام
طعامه ••

**فاختلاف مواعيد الطعام أو مداومة النوم وعدم الحركة بعد
الطعام يسبب أمراضا •**

**والإكثار من الطعام أو الطعام الدسم أو الطعام فوق الطعام
يسبب أمراضا •**

**والإقلال من الطعام بكثرة الصيام والحرمان من نوع معين من
الطعام يسبب أمراضا •**

**وطريقة تناول الطعام أيضا كعدم التأني في المضغ وسرعة
البلع تسبب أمراضا وهذا هو تفصيل لتعاليم الاسلام في كل واحدة
من هذه الأمور •**

فمن ناحية التوقيت : نجد أن مواعيد الصلاة وتوقيتها الدقيق
يهدف بجانب العبادة الى تنظيم حياة الانسان في عمله ونومه وطعامه
فصلاة الفجر تلزمنا بالاستيقاظ المبكر والنوم المبكر • وهذا أيضا
يلزمنا بتناول وجبة الفطور مبكرا والتبكير أيضا بالعشاء ••

والنوم بعد الأكل مباشرة يسبب عسر الهضم وكثرة الغازات
ويربى التخمة والكرش والامساك وهذه الأعراض تؤدي بدورها الى
سوء رائحة الفم والنفس •• ولذلك فقد جاء الاسلام بتشريعات

مذهلة تضطر المسلم ألا ينام قبل انقضاء ساعة على الأقل بعد طعامه بحيث تكون عملية الهضم قد انتهت ..

ومن هذه التشريعات التدقيق الشديد على أداء صلاة العصر في موعدها ووقتها المحدد والتي تأتي دائما بعد الغذاء بأكثر من ساعة .. وفي هذا يقول تعالى : « **حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى** » (وهي صلاة العصر) ونفس الشيء بالنسبة لصلاة العشاء التي تأتي في الأرياف والقرى التي تعيش على الفطرة بعد العشاء ..

ويبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة الرائعة في هذه التشريعات فيقول صلى الله عليه وسلم : « أذبيوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم » ومن الملاحظ ان معظم حالات الذبحة القلبية تأتي بعد أكلة دسمة أو ثقيلة ثم النوم بعدها مباشرة .. ومن يدري ما هو المقصود بهذا التعبير الذي استعمله الرسول في قوله : « فتفسد قلوبكم » ربما قيل ان المقصود به هو القسوة المعنوية والروحية .. ولكن الأطباء ربما فسروه بقسوة شرايين القلب أي تصلبها وهو المرض الذي يؤدي الى الذبحة القلبية وهو تفسير علمي أقرب الى منطق الحديث وسياقه ..

(ب) وقد اهتم الاسلام أيضا بكمية الطعام : فحارب التفريط والنهم .. كما حارب أيضا الزهد والمبالغة في الصوم فمن ذلك :

١ - ان الاكثار من الطعام يصيب المعدة بالارهاق والكسل عن الهضم وتخمر الأغذية وقد يحدث القرحة والالتهابات في المعدة والمرء ، والاثنى عشر وكثيرا ما تتمدد المعدة بسبب زيادة الطعام وتحدث فيها جيوب خارجية يترسب فيها الطعام الزائد ويتعفن .. وتحدث هذه الأمراض كلها عن الأكل الزائد وقد جاء الاسلام ليحارب هذه العادة فيقول الله تعالى :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين » الأعراف ٣١

٢ - والأكل بين وجبات الطعام أو الأكل مع الشبع يصيب المعدة بارتباك في الهضم وقد يحدث عنه عسر الهضم وتخمر الطعام . . . ولذلك ينصح الرسول بعدم الأكل بين الوجبات وأن لا يكون الأكل الا بعد جوع فيقول صلى الله عليه وسلم : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » .

٣ - ويصف الرسول عليه السلام النهم في الأكل بقوله : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه « وينصح المسلمين بالاقبال من الطعام الى القدر اللازم للجسم فحسب فيقول : « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه فان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »

وليس المقصود بقوله ثلث لنفسه ان النفس يصل الى المعدة ولكن لأن المعدة اذا امتلأت ضغطت على الرئتين والقلب وأثرت على النفس وحركة القلب . ولهذا نرى أحاديث الرسول تحت المسلم على القيام عن مائدة الطعام قبل أن يحس بالامتلاء فيقول :

« قم عن الطعام وأنت تشتهي » .

ويعتبر الاسلام النهم في الأكل نوعا من ضعف الايمان لأنه دليل على فراغ العقل والقلب من عظام الأمور وبالاهتمام بشهوة الطعام وحدها وفي هذا يقول الرسول :

« المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء » .

٤ - ويكره الاسلام كبر البطن والكرش . . . لأنهما يمنعان المسلم من الجهاد والنشاط فيقول الرسول :

« اياكم والبطنة فانها مفسدة للدين موروثة للسقم مكسلة عن العبادة » .

يقول ايضا : « أعوذ بأمتى من كبر البطن ومداومة النوم والكسل » .

ويقول ايضا : « أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ » .

والمكفى هو الذى يكفيه غيره من الناس غناء الحركة لحاجاته بسبب غناه أو مركزه فهذا النوع من الناس الذى تقل حركته ونشاطه الجسمى يصاب بالكثير من أمراض التخمة والكسل .

٥ - ومن الحقائق الطبية الخطيرة التى اكتشفت حديثا علاقة المعدة بكثير من الأجهزة الحساسة فى الجسم وخصوصا القلب وهو ما يسمى « تأثير المعدة على القلب » .

فقد وجد أن امتلاء المعدة بالطعام ثم ظهور غازات التخمر فيها يسبب انعكاسا عصبيا على حالة القلب وقد يؤدى الى الخفقان أو اضطراب القلب والنبض أو هبوط الضغط أو ارتفاعه وأخيرا قد يؤدى الى الذبحة القلبية . . وكثير من هذه الأعراض يزول اذا تقيأ الانسان الطعام الزائد أو استعمل بعض الأدوية المهضمة والآن انظر الى قول الرسول فى هذه الحقيقة العلمية :

« ان المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة . . فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم » .

٦ - والجشاء (أو التكرع) ظاهرة مرضية وليست صحية كما يعتقد بعض الناس وسببه الرئيسى ارهاق المعدة بالطعام بحيث لا تستطيع أن تهضمه هضمًا جيدًا ، فيتخلق فى المعدة ويحدث له تعفن وتخمّر وتخرج منه الغازات وقد يكون ارهاق المعدة ناجما عن كثرة الطعام أو نوعية الطعام . . فالطعام الدسم الذى يحتوى على

الكثير من التوابل يؤدي أيضا الى التخمّة ولو كان قليلا ومن معجزات الرسول انه يبين لنا الصلة الوثيقة بين الجشاء والتخمّة فقد كان في مجلسه رجل يتجشأ فقال له صلى الله عليه وسلم :

« كف عنا جشاءك فان أكثركم شبعاً في الدنيا أطولكم جوعاً يوم القيامة » .

٧ - وللمعدة وضع خاص في حالة المرض وخاصة في حالة الحمى :

ففي هذه الحالة نجد ان معدة المريض بالسليقة والفترة ترفض الطعام العادى وتحتاج الى الراحة والطعام الخفيف ٠٠ وإذا اضطّر الانسان الى الأكل العادى أثناء الحمى سواء كان مرغماً أو باختياره أو اذا أكثر من الطعام أثناء المرض بدافع النهمة والشرهة فان حالته تزداد سوءاً ٠٠ وقد يصاب بالقيء والاسهال وارتفاع الحرارة وقد يصل الأمر الى انفجار المصارين والامعاء فى بعض الحميات التى تنهك المصارين كالتيفود .

وكثير من الناس يقلق اذا رأى المريض العزيز عليه يزهد في الطعام فتجدهم يجبرون المريض على الأكل دون أن يعلموا ان فى ذلك هلاكه ٠٠ وتتفشى هذه العادة القبيحة بين الأمهات الجاهلات فاذا مرض طفلها لم تهتم ٠٠ ولكن اذا امتنع عن الأكل أو قل أكله جاءت الى الطبيب منزعة وكل ما يهمها من الشكوى ان طفلها لم يعد يأكل كمادته ٠٠

وفى هذا يقول الرسول :

« لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان ربهم يطعمهم ويسقئهم » ثم ينصح الرسول بالاقلال من كمية الطعام وكذلك الاقلال من المواد الدسمة والعسرة الهضم فى حالة المرض فيقول :

« المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » ..

(ج) والى جانب الاهتمام بمواقيت الطعام وكمية الطعام فقد اهتم الاسلام أيضا بكيفية الطعام ..

١ - فقد أمرنا الاسلام بغسيل الأيدي قبل الطعام وبعده وذلك لقول الرسول : « اغسل يديك قبل الطعام وبعده » ..

وحكمة هذا الغسيل هو التخلص من الميكروبات والطفيليات التي قد تحملها اليد أثناء السلام على الناس أو تداول شيء ملوث ..

٢ - ومن تعاليم الاسلام أن تاكل باليد اليمنى دائما أما اليد اليسرى فللأعمال الأخرى كالاستنجاء من الغائط أو لبس الحذاء .. والقصد من ذلك مرة أخرى ألا تحمل اليد الميكروبات والأوساخ الى الفم .. وكثير من الناس المصابين بالديدان (مثل دودة الاكسوريس) بعد الاستنجاء من الغائط تلتوث أيديهم ببيض الديدان وتتعلق البيضة تحت أظافر اليد فإذا أكل طعامه تدخل البيضة الى المعدة وتتوالد من جديد وهو ما يسمى بالعدوى الذاتية .

٣ - ويأمر الاسلام بالتأني في تناول الطعام ومضغه مضغا جيدا .. فالتعجل في المضغ يصيب الانسان بالتخمة والامساك وعسر الهضم .. وفي كتب السيرة وصف لطعام الرسول بأنه :

« كان يصغر اللقمة ويجيد مضغ الطعام ولا يلتقم لقمة الا بعد بلع ما سبقها » .

٤ - والاسلام يلزم المسلمين بتغطية آنية الطعام والشراب حتى لا تقع فيها الميكروبات والذباب فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« غطوا الاناء واذكروا اسم الله .. وأوكوا السقاء وأذكروا اسم الله » .

(د) والصيام يعتبر نوعا من التنظيم لغذاء المسلم . وقبل أن نتحدث عن فوائد الصوم الطيبة نؤكد هنا أن الاسلام قد نهى نهيا قاطعا عن المبالغة في الصوم أكثر من القواعد التي قررها والسنة التي اتبعها رسول الله . . وذلك لأن كل شيء زاد عن حده انقلب الى ضده . . والاسلام لا يرضى لإبنائه ضعف البنية واعتلال الصحة وقد نهى الرسول عن مواصلة الصوم أو الصوم الى الأبد تطوعا . . وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « لا صام من صام الأبد » .

وقد بلغه ان جماعة اعتزموا اعتزال النساء وصيام الدهر فناداهم وقال لهم : « الا انى أقوم وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء وهذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » . .

ويقول الرسول أيضا : « فى كل لقمة يتناولها المسلم صدقه » يمثل هذه التنظيمات الرائعة والتعاليم السماوية نظم الاسلام للمسلم غذاءه توقيتا وكما وكيفا .

الصوم فى ضوء التكنولوجيا الحديثة

العلم الحديث يكتشف حقائق تزيد الايمان بحكمة الخالق

الصوم يطيل عمر الانسان

ويقيه من كثير العلل والأمراض

فى هذا العصر الحديث الذى طغت فيه النظرة المادية والعلمية على حياة الناس وأفكارهم وأصبح الانسان المعاصر لا يقتنع الا بالفائدة الملموسة والتجربة العملية وحساب الأرقام فقد نشط العلماء لدراسة بعض الظواهر والأوامر الروحية التى جاءت بها الأديان كالصلاة والصوم والمحبة والتسامح وحاولوا اكتشاف أثر هذه التعاليم الروحية على جسم الانسان وماذا يحدث داخل خلايا المخ وخلايا الجسم المختلفة . وقد توصل البحث العلمى الى حقائق مذهلة فى هذا الميدان تزيد أهل العلم والايمان معرفة بحكمة الخالق . وعودة الى الدين وتمسكا بتعاليمه . . وصدق الله العظيم اذ يقول : « انما يخشى الله من عباده العلماء » فماذا يقول العلم الحديث عن الصوم :

اكتشف علماء الطبيعة أن الانسان ليس هو الكائن الوحيد الحى الذى يصوم . . بل ان جميع المخلوقات الحية فى الكون تمر

بفترة صوم اختياري مهما توفر لها الغذاء في الطبيعة حولها :

الحيوانات تصوم والطيور تصوم والأسماك تصوم والحشرات تصوم وحتى النبات أيضا يصوم .

من الحيوانات ما يسكن في جحره أياما بل شهورا متوالية يمتنع فيها عن الحركة والأكل . .

ومن الطيور ما يكمن في عشه ويمتنع عن الطعام في مواسم معينة كل عام . .

وبعض الأسماك يدفن نفسه في قاع المحيط أو قاع النهر لفترة معينة بدون أكل .

والحشرة أيضا تمر بمرحلة تتحوصل فيها وتمتنع عن الطعام . ومن الملاحظ أن هذه المخلوقات تخرج من فترة الصيام هذه أكثر نشاطا وحيوية وإن أكثرها يزداد بعد الصوم نموا وصحة . .

فالحيوان يجدد جلده وفراءه والطيور يكتسب ريشا جديدا زاهيا ويبدأ بالتزاوج والتفريخ - والحشرة تخرج لتأكل بنهم وتتكاثر بسرعة .

فإذا تركنا هذه المخلوقات الدنيا التي تعيش على الفطرة والتي يعتبر صومها ظاهرة فسيولوجية واستجابة لعوامل الطبيعة . . . وهو ما يسميه العلماء (ظاهرة البيات) Hypernation فماذا عن الإنسان الذي يتصرف بعقله أكثر مما يتصرف بغرائزه ويقول علماء الأثروبولوجيا وهو علم دراسة الإنسان أن الإنسان قد عرف الصوم بفطرته وغريزته قبل أن تنزل الأديان السماوية . . فالقدماء المصريون قد عرفوا الصوم قبل الأديان بخمسة آلاف سنة وعرفه أيضا الإغريق والرومان قبل ظهور المسيحية . . وقد أثبتت النقوش والآثار القديمة أن الإنسان كان يتبع نظاما متطورا وشديد التعقيد

في الصوم وكانوا يعرفون الصوم بجميع أنواعه وأهدافه المعروفة لنا في عصرنا الحاضر .

١ - فكانوا يصومون لتطهير الروح والتعود على الصبر . .

٢ - وكانوا يصومون للتكفير عن ذنوب اقترفوها .

٣ - وكانوا يصومون حزنا على الموتى أو طلبا للرحمة بأرواحهم .

٤ - وكانوا يصومون نذرا اذا تحقق لهم أمل أو أمنية .

٥ - وكانوا يصومون ليتعلموا من الصوم النظافة والهدوء والطاعة .

٦ - وأخيرا كان من أهداف الصوم العلاج والوقاية من بعض الأمراض . .

ظاهرة الصوم في معامل البحث العلمي :

كل هذه الحقائق دعت العلماء الى اعتبار الصوم ظاهرة فسيولوجية طبيعية وليست مجرد عملية ارادية . . ومعنى ذلك في لغة العلم ان الصوم ضروري لحياة الانسان وصحته تماما كالأكل والتنفس والحركة والنوم . . فأى مخلوق حى اذا حرم من النوم أو حرم من الحركة فإنه يصاب فى جسمه بنوع معين من المرض . . وكذلك اذا منع أو امتنع عن الصوم فلا بد أن يصاب فى جسمه بأمراض مختلفة . . وما ينطبق على هذه المخلوقات ينطبق بالبدئية على الانسان .

ولننظر الآن الى التفاعلات الكيميائية التى تحدث فى جسم الانسان أو أى مخلوق حى فى حالة الجوع أو الصوم . .

ففي الظروف الطبيعية هناك عمليتان كيميائيتان تحدثان داخل الجسم في وقت واحد :

Catablism عملية هدم

Anabolism عملية بناء

في عملية الهدم يستهلك الجسم أو بمعنى علمي يدمر Destroy الخلايا القديمة في كل عضو من أعضائه . وهذا التدمير يبدأ طبعا بالخلايا الهرمة أى التى كبرت فى السن والخلايا المريضة أو التى عجزت عن وظيفتها . . . وأيضا الخلايا الزائدة عن الحاجة .
وفي نفس الوقت يقوم الجسم بعملية البناء لتكوين خلايا جديدة أكثر شبابا وصحة وأقدر على أداء وظيفتها .

وهاتان العمليتان لازمتان وحيويتان لكل مخلوق حي . .
وتحدثان على مدار الساعة فى النهار والليل . . وفى اليقظة والنوم .

والآن اذا طبقنا هذا على فترة الصوم كما فى شهر رمضان فان عملية الهدم تكون اثناء الصوم والجوع . وأكثر سرعة ونشاطا من عملية البناء . وهذا طبعا يؤدي الى تخلص الجسم من كل العناصر الفاسدة فيه من خلايا هرمة ومن مواد سامة وبعد ذلك مباشرة تأتى فترة الطعام بعد جوع . . فتتنشط عملية البناء أكثر مما فى الظروف العادية . .

ومعنى ذلك أن نظام الصوم المتبع فى الاسلام والذى يشتمل على الأقل على أربع عشرة ساعة من الجوع ثم بضع ساعات فقط من الطعام . . هو النظام المثالى لتنشيط عمليتى الهدم والبناء . .

ومعنى ذلك أن الصوم يعمل على تجديد وتنشيط أنسجة الجسم وخاصة أنسجة الغدد التى تسيطر على النمو والحركة التى

تسيطر على عمليات الهضم والبناء ٠٠ وهذا يفسر لنا ظاهرة النشاط الزائد والنمو السريع الذى يلاحظ على الحيوانات والطيور والديدان بعد فترة الصوم .

وخلاصة القول ٠٠ أن الصوم يطيل عمر الكائن الحى ٠٠ ويزيد من نموه فى مرحلة النمو ويزيد النشاط الذهنى ويزيد حركة الهدم ثم البناء لتجديد الخلايا ٠٠

وهذه الحقائق كلها هى عكس ما كان يتصوره الناس من أن الصوم يؤدي الى الهزال أو الضعف أو فقر الدم ٠٠ وهذا طبعا بشرط أن يكون الصوم فى حدود المعقول كما هو الحال فى نظام الصوم فى الاسلام .

الصوم وقاية وعلاج من بعض الأمراض :

١ - الوقاية من الزوائد والترسبات فى الجسم والخلايا المريضة :

ذكرنا أن الجسم فى حالة الصوم يبدأ باستهلاك المواد الغذائية المخزونة فيه فاذا نفذت يبدأ فى استهلاك أو احراق أنسجته الداخلية ٠٠ وأول الأعضاء التى يتغذى عليها الجسم هى الأعضاء التى تكون مريضة بأى مرض يسبب فيها احتقان أو تقيح أو التهابا ٠٠ وبديهي أن أول الخلايا التى تستهلك هى تلك الخلايا المريضة أو الهرمة ٠٠ فهذه هى أول ما يتأكسد من أنسجة الجسم وتحترق ثم يتخلص الجسم منها . فالصوم فى هذه الحالة يقوم مقام مشرق الجراح الذى يزيل الخلايا التالفة أو الضعيفة من كل عضو مريض فيعطيه فرصة يسترد خلالها حيويته ونشاطه ٠٠ وبهذه النظرية يكون الصوم وقاية للجسم من كثير من الزيادات مثل الحصوة والرواسب الكسلية والزوائد اللحمية وأنواع البروز والاكياس

الدهنية وأيضا الأورام الخبيثة .. فقد لوحظ بالاشعة أن جميع هذه الزوائد يصغر حجمها أثناء فترة الصوم .

٢ - والصوم يحمي الانسان من مرض السكر : ولتفسير ذلك نقول ان فى الصوم تقل كمية السكر فى الدم الى أدنى المعدلات وهذا يعطى غدة البنكرياس فرصة للراحة .. فمن المعروف أن البنكرياس يفرز الانسولين .. وهذه المادة بدورها تؤثر على السكر فى الدم فتحوله الى مواد نشوية ودهنية تترسب وتخزن فى الأنسجة .. ولكن اذا زاد الطعام عن قدرة البنكرياس فى افراز الانسولين فان هذه الغدة تصاب بالارهاق والاعياء ثم أخيرا تعجز عن القيام بوظيفتها . فيتراكم السكر فى الدم وتزيد معدلاته بالتدريج سنة وراء سنة حتى يظهر مرض السكر .. وخير حماية للبنكرياس من هذا الارهاق هو الصوم المعتدل .

والطريقة العلمية الحديثة المتبعة للوقاية من مرض السكر هي أن يجرى فحص دم خاص يسمى glucose Tolerance test أى اختبار لمعرفة مقدرة الجسم على امتصاص مادة السكر وافراز الانسولين الكافى لذلك ..

وفى الدول المتطورة يجرونه بصفة دورية للأشخاص الذين يزيدون عن الخمسين من العمر . ومن هذا الاختبار يمكن للطبيب أن يكتشف بصورة مبكرة جدا أى شخص معرض للسكر فى المستقبل .. فينصحه بنوع من الرجيم لانقاص الوزن مع الاقلال من تناول المواد السكرية .

وبديهي أن الصوم لمدة شهر كل عام هو أحد الوسائل الرئيسية التى تحقق هذه الغاية .

٣ - وما اصدق الحكمة القائلة : « قليل من الصوم يصلح

المعدة » ففي الصيام تخلو المعدة تماماً من الطعام خلال ال ١٢ ساعة في اليوم الواحد . ولمدة شهر كامل . وهذه المدة تكفي لاختلاء المعدة من كل طعام متراكم وتعطيها فرصة للراحة من غير ارهاق . . . ولذلك نجد في فترة الصيام يتخلص الانسان من عادة التكرع أو (التجشؤ) التي يسببها أكل الطعام على الطعام مما ينجم عنه تخمر الأطعمة في المعدة قبل أن تتمكن من هضمها .

٤ - والصيام يريح الأمعاء والمصران الغليظ أيضا من الطعام المتراكم وبذلك يتخلص الصائم من الغازات والروائح الكريهة التي تنتج عن التخمة وسوء الهضم والتخمر في الأمعاء بسبب عدم قدرتها على امتصاص الطعام أو التخلص منه . . . وقد كان الناس فيما مضى قبل الأدوية الحديثة يعالجون حالات الاسهال بالصيام وحده أو باستعمال المسهلات للمساعدة على طرد المواد السامة من المصارين -

٥ - كيف تستفيد من الصوم في انقاص وزنك :

الصوم يزيل السممة والكرش . . وهو خير فرصة لعمل (الرجيم) بشرط أن يصاحبه الاعتدال عند الفطور وألا يتخمر الانسان معدته بعد الصوم . . وقد يقول قائل ان كثيرا من الناس يزداد وزنهم في شهر رمضان . . ويزدادون تخمة . وهذا قد يحدث : وسببه عدم اتباع السنة النبوية في الصوم والفطور . . فقد كان الرسول يبدأ فطوره بتمرات قليلة أولا ثم يقوم الى الصلاة . . فإذا انتهى من صلاة المغرب يعود ليكمل افطاره عن أنس رضى الله عنه .

« كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلي فان لم يكن فعلى تمرات فان لم يكن حسا حسوات من الماء (حسا أى شرب) ومن أوامر الرسول في ذلك : « اذا كان أحدكم صائما فليفطر على التمر فان لم يجد فعلى الماء فان الماء طهور » .

ولهذه السنة النبوية حكمة طبية عظيمة ربما فاتت الكثير من المسلمين قرونا طويلة فتركوها أو أهملوها باعتبار انها أمر غير ملزم فخسروا الكثير من فوائد الصوم الطبية : فمن المعروف علميا أن شعور الانسان بالجوع لا يتوقف على فراغ المعدة فقط من الطعام ولكن العامل الأهم هو نقص كمية السكر في الدم ٠٠ والدليل على ذلك أنك اذا أكلت شيئا حلوا قبل الطعام فانك تفقد الشهية للأكل حتى لو كانت المعدة خاوية ٠٠ وسبب ذلك أن السكر الذي تأكله يمتص بسرعة من المعدة الى الدم فيرفع نسبة السكر فيه الى المعدل الذي يشعرك بالشبع ٠ أما اذا بدأت طعامك بعد جوع بأكل اللحوم والخضروات والخبز فان هذه المواد تتكون أساسا من البروتين والدهنيات والنشويات ٠ وهذه المواد يتحول جزء منها الى سكر في الدم ولكن بعد عملية هضم طويلة جدا وبطيئة وفي هذه الأثناء لن تشعر بالشبع الا بعد أن تمتلئ المعدة فوق معدلها وطاقتها ثم ترسل المعدة اشارات الى المخ لتخبره أنها قد امتلأت فيأمرك المخ بالتوقف عن ارسال مزيد من الطعام اليها ٠ ولهذا السبب فان بعض الناس يأكل في رمضان أكثر مما يأكل في سواه من الشهور ٠٠ كما أن استهلاك الطعام في هذا الشهر في البلاد الاسلامية يزيد عن الاستهلاك العادي فيما سواه من الشهور مرتين ٠٠ وهذا يضيع حكمة الصوم في التقشف والزهد والروحانية ٠

ومن هنا نبين حكمة الاسلام والسنة في أن نبدأ فطورنا بمادة سكرية كالرطب أو التمر أو بشراب حلو مثل (قمر الدين) ثم نقوم الى الصلاة : ففي هذه الأثناء يمتص السكر بسرعة من المعدة ويعطيك الشعور بالشبع قبل أن تجلس الى طعامك فلا تضطر الى الأكل حتى حتى التخمّة ٠٠

٦ - وفرة الصيام هي خير فرصة للتخلص من كل العادات الضارة بالصحة كالنخخين والمخدرات والخمر : والسبب في ذلك

أن هذه الأشياء تحتوى على عناصر معينة من النوع الذى يسبب لدى الجهاز العصبى للانسان نوعا من الادمان . . . واذا امتنع المدمن عن تعاطيها فجأة شعر بالآلام شديدة ومضاعفات وارهاق عصبى ولكن اذا صام الانسان أى امتنع عن هذه المواد لمدة ١٢ ساعة كل يوم ولمدة أربعة أسابيع متوالية فان كمية المخدر أو الكحول أو النيكوتين تقل فى دمه يوما بعد يوم بحيث أن جهازه العصبى يتطهر من تأثير هذه المواد وتكون فرصة المدمن للاقلاع عنها خلال شهر رمضان أكبر كثيرا من الظروف العادية .

٧ - الصوم والأمراض الجلدية :

الصوم يؤدي الى تقليل نسبة الماء فى الدم فتقل نسبته تبعاً لذلك فى الجلد . . . وهذا الجفاف النسبى فى الجلد :

- يزيد مناعته ومقاومته للميكروبات .
- ويقلل من حدة الأمراض الجلدية الالتهابية والحادة المنتشرة بمساحات كبيرة من الجسم
- كما أنه يجفف أمراض الحساسية وأمراض البشرة الدهنية .
- وعن طريق راحة الأمعاء من الطعام يقل افرازها للسموم والتخمر الذى يسبب الالتهاب فى الجلد .

٨ - والصوم وقاية من مرض النقرس : Gout

وهو المسمى مرض الأغنياء . . . وينتج هذا المرض عن زيادة التغذية والاكثار من اللحوم . . . وفيه تزيد كمية أملاح البول فى الدم ثم تترسب فى العضلات فتسبب الآلام تشبه الروماتزم أو تترسب فى الكلى فتسبب الحصوة أو تترسب فى المفاصل الصغيرة فتسبب تورمها . . . والحماية عن الطعام علاج رئيسى لهذا المرض .

الذين دفع عنهم الصوم والأمراض التي تعفى من الصوم :

يقول « تعالى » : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » • ويقول أيضا : « وعلى الذى يطيقونه فدية طعام مسكين » •

فهذه الآيات تحدد لنا فئات من الناس أعفاهم الله لظروف معينة من فريضة الصوم :

الفئة الأولى : المسافرين أو المريض مرضا مؤقتا : فله أن يفطر ثم يعوض صومه فيما بعد وتقدير تعب السفر أو الجهد من المرض متروك للانسان نفسه • فطالما أنه سوف يعوض صيامه فى أيام أخرى فليس هناك خلاف حول حق الانسان فى تقدير حالته أثناء السفر أو المرض •

الفئة الثانية : هم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وعلى الذين يطيقونه) ومعنى كلمة يطيق الذى يستطيع الصوم ولكن بجهد كبير وبذل طاقة مرهقة أو ضارة لبدنه • فهذا النوع من الناس قد أسقط الله عنهم الصوم وعليهم بدلا من ذلك فدية هى اطعام مسكين كل يوم يفطرون فيه فاذا لم يكن قادرا على اطعام مسكين فلا فدية عليه فلا يكلف الله نفسا الا وسعها ••

وهؤلاء الذين عناهم الله هم :

١ - كبار السن : الذين لا تحتمل أجسادهم الصوم لأن الانسان فى هذه المرحلة من العمر يحتاج الى وجبات متقاربة وصغيرة كمعدة الطفل ولا يحتملون وجبة واحدة وكبيرة •

٢ - السيدة الحامل والمرضع : وذلك لأن الجنين فى بطن أمه أو الطفل الذى يرضع من الأم يحتاج الى غذاء كامل غنى بالفيتامينات والسكريات وهذه تقل كثيرا فى دم الأم واللبن فى فى فترة الصيام •

٣ - المرضى بمرض مزمن لا يرجى شفاؤه مثل مرض السل أو أمراض المعدة كالقرحة أو الالتهاب أو مرض القلب أو مرض السكر وجميع هذه الأمراض يؤخذ فيها رأى الطبيب المسلم الفاهم لدينه .

٤ - العمال الذين تقتضى ظروفهم العمل الشاق في ظروف شاقة ففي الجو الحار فإن الجسم يخسر كمية كبيرة من الماء مع العرق ويحتاج الى السوائل أكثر من الظروف العادية وأيضا في ظروف الجو البارد فإنهم يحتاجون الى الطعام أثناء العمل ليعطيهم الطاقة والحرارة والنشاط . وقد كان رسول الله يرخّص لمن يشاء من جنود المسلمين بالافطار عندما يقاتلون في شهر رمضان وعندما رأى المفطرين أكثر نشاطا في العمل واجتهادا في القتال قال صلى الله عليه وسلم : « وذهب المفطرون بأجر الصائمين » . أى أن المفطر النشط في عمله وجهاده ثوابه أكبر من الصائم المجهد التعبان .

٥ - وهناك فئة من الناس لا يعتبرون مرضى في العرف العام ولكنهم مرضى في نظر الأطباء . ومن هؤلاء أناس مصابون بنقص السكر في الدم Hypoglycemia أو أناس مصابون بهبوط الضغط فصاحب هذه الأمراض لا يشعر عادة بأى أعراض مرضية في الظروف العادية . ولكنه اذا امتنع عن غذائه مدة طويلة كما في حالة الصوم الشديد يشعر بدوار في رأسه وآلام في المعدة وعدم القدرة على التركيز الذهني والانتاج . فهؤلاء أيضا ينطبق عليهم الاعفاء من الصوم . وصدق الله العظيم القائل :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

الصوم تربية روحية وأخلاقية أولا :

كانت هذه بعض فوائد الصوم وبعض موانعه من الناحية العملية والطبية ولكن يبقى الهدف الأول والأعظم الذى تنشده

الأديان من الصوم .. وهو الهدف الأخلاقي والروحي في عدد قليل من النقاط :

١ - فالصوم تربية لارادة الانسان وعزمته منذ الطفولة : فالطفل الذى يرى الطعام أمامه وهو يشتهي ثم يمتنع عنه فى السر وفى العلانية يصبح انسانا ذا عزيمة وارادة .

٢ - والصوم يعلم الصبر : فمن صبر على نداء بطنه صبر على كل ما سواها من مشاكل واستفزازات فى الحياة .

٣ - والصوم فرصة للمودة واللقاء الأسرى والاجتماعى اذ تلتقى الأسرة كلها فى موعد واحد على مائدة الطعام عند الافطار والسحور ويلتقون أيضا فى مواعيد الصلاة

٤ - وهو مناسبة اجتماعية للزيارات العائلية ولقاء الأصدقاء .

٥ - وأهم شيء فى رمضان أنه فرصة لدراسة الدين والقرآن وسماع دروس الوعظ وحضور الصلاة .

٦ - وهو أخيرا خير فرصة للجو الروحانى والتقشف والزهد والشفافية .

رابعاً ..

الاسلام والتربية البدنية

قوة الايمان مع قوة الابدان Body Built

يعتقد كثير من الناس أن المسلم الوقور هو ذلك المتباطيء في مشيته المتراخي في وقفته أمام الناس .. فلا يسرع ولا يجري ولا يحمل حملاً في يده ولا يلبس ملابس الرياضة .. ولا يأتي من الألعاب الرياضية ما قد يفعله الصبية والشباب .. فلا يلعب الكرة أو يسبح في البحر أو يركب دراجة .. بل إن من المسلمين من يتصور أن الألعاب الرياضية نوع من اللهو الذي يلهي الانسان عن العبادة أو ينقص من وقاره ومظهره واحترامه في أعين الناس أو يجعلهم يشكون في علمه وفقهه وتدينه

وهذه نظرة خاطئة الى الاسلام لم تنتقل إلينا الا في عهود التخلف والبعث عن جوهر الدين .. فقد جاء الاسلام للدين والدنيا معا .. جاء ديناً للحياة والقوة والطاقة والحركة والنشاط والرياضة البدنية .. بل لقد جاء الاسلام بالتشريعات والتوجيهات التي تصون للجسم قوته ورونقه وشجع الناس على الرياضة البدنية بدون قيود ولا حدود ..

ومن أبرز صفات المسلم أنه « القوى الأمين » .. فرسول الله

يقول : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ..
ومن الآيات ما يمتدح القوة البدنية فيقول تعالى :

« ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » ..
ويقول أيضا : « وزادكم في الخلق بسطة » ويصف الله أحد رسله
فيقول : « ان خير من استأجرت القوى الأمين » ..

واهتمام الاسلام بقوة الأبدان وتشريعاته وتوجيهاته في ذلك أمر
يثير الدهشة فقد سبق كل طرق التربية الحديثة في هذا المجال
بآلاف السنين فمن ذلك اهتمامه بالغذاء المفيد للجسم وبالرياضة
البدنية بل وقد اهتم أيضا بخلق الروح الرياضية وأخيرا اهتم
بالرياضة الروحية كوسيلة لخلق التفوق الرياضي .. فلننظر في
كل واحدة من هؤلاء وأهميتها ..

اولا - الغذاء السليم لبناء الجسم السليم :

ذكرنا في باب التغذية في الاسلام أنه لم يكتف بمنع الغذاء
الضار بالجسم كالميتة والدم ولحم الخنزير ولكنه أمر بكل ما يفيد
الجسم من الأغذية وحارب المذاهب النباتية التي تحرم اللحوم ..
وشجع على الغذاء النافع كاللحم والعسل واللبن والتمر .. ومنع
الصوم الزائد عن الحد والذي يضعف الجسد وحث على تخير أطيب
الطعام وعدم الزهد فيها ..

ثانيا - الاسلام والرياضة البدنية :

يعول رسول الله « علموا أولادكم الرماية ومروهم فليشبوا على
الخيول وثبا » ويقول : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة
والسباحة والرمي » وكان رسول الله يحب المصارعة ويتدرب عليها ..
ومن طرائف ما يروى في هذا المجال أن رجلا اسمه (ركانه) كان

معروفا بقوة خارقة وكان يتغلب على كل من ينافسه في المصارعة . . فلما قابله الرسول دعاه الى الاسلام . . فأخذ الرجل يقول له : « وماذا يدعوني الى التصديق بأنك رسول الله » . . فقال له الرسول : اذا صارعتني فاني أغلبك باذن الله . . فتصارعا معا فتغلب الرسول : فقال ركانه مذهولا . أمرك عجيب يا محمد . . أتصرعني فقال له الرسول « ان شئت عاودتك » فتصارعا مرة أخرى فغلبه الرسول ثم عاوده مرة ثالثة فغلبه أيضا . . فلم يملك الرجل أن قال : « أشهد أنك رسول الله » .

وتقول عائشة رضي الله عنها ان الرسول قد سبقها وكانت نجيلة خفيفة فسبقتها ثم مرت السنون وكثر شحها فسابقها فسبقها فأخذ يذكرها بالمرّة السابقة ويقول لها : « هذه بتلك » ويصف الصحابة رسول الله بأنه كان قوى البدن عريض المنكبين ضخّم الكفين والقدمين قوى الاحتمال والجلد سريع الخطو فقد أخرج الترمذى عن أبي هريرة أنه قال : « ما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله كان الأرض تطوى له وانا لنجهد فى السير ولا يبدو عليه جهد » .

وبينما كان الرسول يستعرض جيشه بالمدينة اذ رأى بين جنود المؤمنين فتى يافعا يقل عمره عن ستة عشر عاما فأخرجه من الصف لصغر سنه وقال له مشجعا تدرب على الرماية والخيال ثم تعال فى العام القادم : « فقال الفتى : يا رسول الله لقد أجزت ابن عمى لأنه أكبر منى سنة ولكنه لو صارعتني لصرعته » فتبسم الرسول وقال له : « دونك فصارعه » وأخذ الفتى يتصارعان والرسول يشهدهما فلما تغلب الفتى الصغير ضمه الى الجند .

وكان عمر بن الخطاب من الذين عرفوا فى الجاهلية بطول القامة وقوة البدن وكان شباب القبائل اذا حضروا الى مكة للحج

يقيمون حلبة للمصارعة في سوق عكاظ فكان عمر ينتظر حتى يرى الفائز فيصارعه ويفلبه وكان أسرع شباب مكة في سباق الخيل وأحسنهم رميا بالنبل .. وأعجبا بقوة المعنوية وقوته البدنية كان الرسول يقول عنه : « اللهم أعز الاسلام بأحد العبرين » .. فلما أسلم علا صوت المسلمين وازدادت به قوتهم .

ولولا قوة عمر البدنية لما استطاع أن يقوم بأعباء الامبراطورية الاسلامية الواسعة في عهده . وكثيرا ما كان يشرف بنفسه على أمور المسلمين حتى في المسائل الصغيرة الخاصة .. كان يحمل على ظهره كيس الطحين حتى ينقله الى أسرة جائعة أو امرأة في حالة وضع .

وذات يوم بعد صلاة الفجر ركب عمر فرسه وأخذ يجرى به بقوة وسرعة حتى سمع سكان المدينة وقع حوافره وظنوا أن هناك أمرا خطيرا فتجمعوا حوله يسألونه عن الخبر !! فقال لهم :

« ماذا عليكم ، انى آنست في نفسى نشاطا فأردت أن أنفس عنه » ولم يكن عمر يحب من وعيته المسلمين الضعف والتراخي .. وذات يوم حضر اليه جماعة من الناس في حاجة لهم .. فاذا بهم يتكلمون في خور ومسكنة ويتحركون في وهن وضعف .. فعلاهم عمر بدرته .. وقال لهم : « لا تماوتوا فتميتوا علينا ديننا » .

وذات يوم رأت السيدة عائشة جماعة من المسلمين يسيرون الهوينى في ثراخ وفتور وهم في طريقهم الى المسجد فحسبت أن فيهم مرضا أو مصيبة فأخذت تسأل الناس عنهم : « ماذا ألم بهؤلاء » فقال لها الناس « يا أم المؤمنين : ما بهم مرض ولا مصيبة ولكنهم نساك زهاد » فغضبت وقالت لهم قولتها المشهورة : « والله ما انتم بأكثر نسكا ولا زهدا ولا تقوى لله من عمر وكان اذا مشى أسرع واذا تكلم أسمع واذا ضرب أوجع » .

ثالثا - وقد اهتم الاسلام بخلق الروح الرياضية في نفوس المسلمين :

فشجع على المنافسة الرياضية الشريفة . وكان الرسول يحضر سباقات الخيل والجمال والمصارعة والرمي وكان يشارك بنفسه فيها ويعطى الجوائز الى السابق .

وكان لرسول الله ناقة سريعة اسمها (العضباء) وكان يشترك بها في السباق فتسبق دائما . وفي احدى المرات خسرت السباق فعز هذا الأمر على صحابة الرسول . فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم أهمية الروح الرياضية وتقبل الهزيمة في الرياضة دون حقد أو غضب وقال لهم : « ان حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه » .

والروح الرياضية تشجع على حب العمل اليدوى والحرفة . .
وقد كان رسول الله يخدم نفسه بنفسه ولا يستنكف عن حمل الحجارة فوق كتفه عندما يبنى مسجده أو بيته . وبينما كان أصحابه يجهزون الطعام ذهب يجمع لهم الحطب فقالوا له : « نحن نكفيك ذلك يا رسول الله » فقال لهم : « اعلم أنكم تكفوننى ، ولكن الله يكره من عبده أن يراه مميزا بين أصحابه » وكان يقول : « ما أكل ابن آدم طعاما خيرا من صنع يده » . .

رابعا : الرياضة الروحية كوسيلة للتفوق الرياضى :

تقول النظريات العلمية الحديثة ان التفوق الرياضى لا يأتى من القوة البدنية والتدريب المتواصل وحدهما . . ولكن القوة المعنوية تأتى فى المكان الأول وكم من شاب يافع نحيف البدن ولكنه قوى المعنويات يهزم رجلا عملاقا ضخما قوى العضلات . . وكم من جماعة قليلة العدد والعدة ولكنها قوية الايمان تغلب جماعة تفوقها عددا أو عدة ولكنها بلا ارادة ولا عقيدة ولا ايمان . .

ولقد كان الاسلام اول من أعلن هذه الحقيقة الخطيرة منذ أربعة عشر قرنا وعمل بها ولها وذلك باهتمامه بالجانب الروحي والعائدى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

فلا يكفى لخلق البطل الرياضى أن تعطيه غذاء جيدا .. وتدريبا متواصلا لأن البطل الرياضى لا يختلف فى اعداده عن الفنان .. والشاعر .. والعالم الغذاء المعنوى له أهم من الغذاء المادى .. والتدريب الروحى له أهم من التدريب البدنى ..

والرياضة سلوك وأخلاق .. وعقيدة وفكر .. وتربية ونشأة قبل أن تكون مجرد تحريك للعضلات ..

وبفضل التربية العقائدية والروحية التى بثها الاسلام فى نفوس أبنائه استطاع هؤلاء البد والحفاة ذوو الأجسام النحيلة والملابس المهلهلة أن يتغلبوا على فرسان الامبراطورية الرومانية والفارسية الذين اتخموا بالغذاء وغطوا أجسامهم بالدروع وزينوا سلاحهم وخيولهم بالذهب والفضة .

« ونريد أن نمن على الدين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

خامسا ..

الصحة النفسية في الاسلام

التوتر والعنف والجريمة مشكلة الحضارة الغربية الحديثة

ممثلات ناجحات وأصحاب ملايين ينتحرون ياسا من الحياة ،
ما هو سر الوجودية والهبيز والعنف الطلابي والستريكرز والكرشنا
.. الاسلام هو الحل الوحيد لكل مشاكل العالم المتحضر .

في أول زيارة لى لمدينة نيويورك استوقفت أحد المارة في
الطريق لأسأله عن مكان معين .. وقلت له : هل يمكننى أن آخذ
من وقتك دقيقة واحدة فتوقف قليلا . ثم نظر فى ساعته .. وقبل
أن أسأله سؤالى قال لى :

« لقد أخذت الدقيقة فعلا » ..

ثم انصرف عني مسرعا .. واستوقفت رجلا آخر ، وغيرت
السؤال هذه المرة اختصارا للوقت فقلت له :

« هل يمكنك أن تدلنى على مكان » ..

ولم يمهلى حتى أكمل السؤال بل قال : أخرج من جيبيك
ربع دولار وضعه فى هذا التليفون الذى فى الشارع واسأل
الاستعلامات ولا تعطلنى .

ثم انطلقت الى كشك التليفون ووضعت ربع دولار وطلبت الاستعلامات وأنا متفائل بأننى ساجد ضالتي ٠٠ ولكنى فوجئت بصوت يرد بطريقة آلية : « ان المسئول عن الاستعلامات مشغول بالرد على غيرك فانتظر حتى يفرغ لك » وظل يردد هذه العبارة أكثر من عشرين مرة بحيث تبينمت أنه شريط مسجل ٠٠

وبينما أنا واقف أستمع الى التليفون وقد خابت كل آمالي اذ سمعت نقرا عنيقا على زجاج (الكشك) ٠٠ واذا سيدة فى مقببل العمر تنظر الى بحالة عصبية ٠٠ وحسبت أول الأمر انها جاءت لتساعدنى ٠٠ ولكن ما أن فتحت لها الباب حتى قالت فى انفعال :

لقد أخذت أكثر من ثلاث دقائق وعطلتنى ٠٠ فاذا كنت تريد الاستعلامات فلن يردوا عليك ٠٠

وقلت وأنا أريد أن أساومها : اذا تركت لك التليفون فهل ترسلينى عن مكان كذا ؟؟ ٠٠ فقالت : لا طبعاً ٠٠ ولكن ادفع دولارين الى أى (تاكسى) وهو يوصلك الى حيث تريد ؟ والحق اننى لم أدهش لما رأيته فى نيويورك ٠٠ فقد رأيت الكثير من هذه الظواهر الموهلة فى المادية وان كانت بصورة أخف فى معظم العواصم الأوروبية الراقية . فقد أصبح العالم المتحضر ينظر نظرة مختلفة كل الاختلاف الى كل ما توارثناه من قيم انسانية ومجاهلات عاطفية ٠٠ وأصبح الناس يقيسون وقتهم بالدقائق والثوانى ٠٠ ويقيسون الدقائق والثوانى بالدولارات . وأرباع الدولارات .

وأى زائر عربى لأى عاصمة أوروبية لأول مرة لابد أن تأخذ الدهشة لما يراه من تكالب الناس على المادة وعلى الحياة ٠٠ ففى محطات (الباص) ومثرو الأنفاق وفى الشوارع والبنوك والمحلات التجارية نجد الناس جميعا يجرون جرياً بغير توقف ويدفعون

بعضهم بالمناكب فى الزحام .. يستوى فى ذلك العجوز المتهاك
والشاب القوى والطفل البرىء والمرأة الرقيقة ..

وليس بعيدا بعد ذلك أن نسمع عن حوادث التوتر والعنف
والانهيار العصبى والانتحار فى تلك المجتمعات .

وقد انتحر مليونير أمريكى فى نيويورك وترك رسالة يقول فيها
انه انتحر لأنه لم يجد أصدقاء مخلصين فى هذه الدنيا ويقول :
« قلما يدرك الانسان ماهية العزلة ومدى آثارها ذلك لأن الحشد
ليس هو الصلابة ، والزحام لا يزيل الشعور بالوحشة » .

وانتحر لنفس هذه الأسباب عدد كبير من الممثلات الجميلات
الناجحات بينهن ملكة الجمال وممثلة الاغراء (مارلين مونرو) .

وقد جاء فى احدى الاحصائيات الدولية أن عدد حوادث
الانتحار فى السويد والنرويج تبلغ ٢٠ فى كل ١٠٠ ألف من
السكان . وفى أمريكا ١٩ وفى إنجلترا وفرنسا ١٨ - أما فى العالم
العربى فلا تزيد النسبة عن ٢ لكل ١٠٠ ألف من السكان .

وربما سمعت عن قصة الأم الأمريكية التى دخلت على أولادها
الخمس فقتلتهم بالمسدس ، ثم انتظرت زوجها حتى عاد من عمله
تقتله أيضا ثم ذهبت الى البار لكى تسكر وتنتظر الشرطة ..

أو قصة الرجل الذى يهوى خنق السيدات الأرامل فقتل ١٦
(ست عشرة) امرأة لغير سبب سوى انهن أرامل وحيدات ..

أو قصة الشاب البريطانى الذى كان يعتدى جنسيا على
أطفال المدارس ثم يقطع رؤوسهم ويعلقها على سور المدرسة .
هذه غير آلاف المجانين الذين يضعون القنابل المتفجرة فى دور
السينما أو الطائرات أو الأماكن المزدحمة لغير سبب سوى التعبير
عن سخطهم على المجتمع والحياة وكراهيتهم للناس .

والى جانب هذا العنف فكثيرا ما نسمع عن أصحاب ملايين فى أوروبا يموتون وهم فى مقتبل العمر فى أسواق البورصة والعقود المالية .. وهم يراقبون ارتفاع الأسهم وهبوطها .. أو يصابون بقرحة المعدة أو بالذبحة القلبية أو ضغط الدم . قصص كلها لا يكاد يصدقها عقل أو يقبلها خيال سليم ..

فلندرس أسباب هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الغربية التى انفرد بها المجتمع الصناعى المتحضر ..

ثم لندرس محاولاتهم لإيجاد حل أو مخرج من هذه المشاكل .. ثم نقدم لهم الحل الأمثل الذى نعتقد أنهم بأمرس الحاجة إليه ..

توتر الحضارة الحديثة وآثاره النفسية والعضوية على الصحة ::

مع تقدم الحضارة .. وتعقد الحياة فى المدن الصناعية الكبرى ظهرت أمراض جديدة لم تكن شائعة من قبل .. وابتدأت أمراض قديمة فى الاختفاء ..

والأمراض التى بدأت فى الزوال هى التى نسميها بالميكروبات كالأوبئة والحسيات والالتهابات .. وكل ما تنقله الحشرات والقذارة والاهمال .. وذلك بفضل ازدياد الوعى الصحى فى الدول المتقدمة .. وتحسن وسائل مكافحة الحشرات والميكروبات ووسائل النظافة الحديثة .. فهذه الدول لم تعد تسمع عن الطاعون أو الكوليرا أو الجدرى الا فى الكتب .. واختفى التيفود والدوسنتاريا والتهاب الكبد المعدى من معظم أوروبا وأمريكا .. ولم تظهر حالة شلل أطفال واحدة منذ بضع سنوات فى بريطانيا وأمريكا .. وهكذا ..

أما الأمراض التى بدأت فى الانتشار بكثرة فى هذه الدول فهى ما يسمى بأمراض الحضارة الحديثة وكلها تعود الى شدة التوتر العصبى فى المجتمع الصناعى .. فقد ثبت أن التوتر العصبى

لا يؤثر على النفس والعقل وحدهما ولكنه يحدث في الجسم الكثير من الأمراض العضوية . .

فمن الأمراض النفسية التي يحدثها ما هو بسيط مثل سرعة الانفعال واضطراب النوم والملل من الحياة والعقد النفسية . . ولكن منها ما يصل الى الحالات المرضية الخطيرة كالشيزوفرينيا أى انفصام الشخصية والميلانكوليا وأنواع كثيرة من الجنون الاجرامى الذى يدفع بكثير من الناس الى الانتحار أو قتل زوجاتهم وأطفالهم . . أو الاعتداء على الأرواح والأعراض لمجرد المغامرة والتسلية .

وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن التوتر هو أهم سبب لانتشار المخدرات بين الشباب فى أوروبا وأمريكا ومن أهم أسباب الانحرافات الجنسية وحب المغامرة والمغامرة حوادث العنف والهرب من الدراسة والتشرد . . وعن ظهور الكثير من ظواهر التمرد على المجتمع كظاهرة (الهيبز) والبهيمية . . وهناك أيضا مجموعة من الأمراض العضوية وتسمى Psycho-Somatic Diseases أى المرض العضوى الناتج من تأثير نفسى فمن أخطر هذه الأمراض مرض الانجينا Angina أو انقباض شرايين القلب ومرض الذبحة القلبية . . وقد أصبح هذا المرض القاتل رقم (١) فى الدول الصناعية . . يليه فى الخطورة أمراض المعدة والأمعاء وأهمها قرحة المعدة . . هذا الى جانب مجموعة من الأمراض التى لم يعد يسلم منها الا القليلون مثل ارتفاع الضغط أو هبوط الضغط وانقباضات المعدة والأمعاء والمصران الغليظ وزيادة الحموضة أو نقص الحموضة فى المعدة وتسرع النبض أو اضطرابه وتضخم الغدة الدرقية والربو والسكر . .

هذه الأمراض كلها قد أصبحت تسمى أمراض الحضارة والتوتر أو حمى المدنية لأنها لم تكثر بهذه الصورة المزعجة الا فى عصرنا الحديث وفى الدول الأكثر تطورا وتقدما فى الصناعة والعلم . .

الطب الوقائى - ٨١

فأكثر حوادث الانتحار فى السويد والنرويج ٠٠ وأكثر حوادث الجنون الاجرامى وحوادث العنف فى أمريكا ٠ وتكثر أمراض الذبحة القلبية فى أوروبا الغربية وهكذا ٠٠

العالم المتحضر يبحث عن حل

من هذه العوامل مجتمعة نجد ان الانسان فى تلك المجتمعات الصناعية المتطورة يعيش فى دوامة من القلق والتوتر والاجهاد العصبى التى تؤدى بالكثيرين منهم الى الانهيار أو الانحراف ٠ وبرغم ارتفاع مستوى الدخل ٠٠

وبرغم التسهيلات الكبيرة فى الحياة التى ينتجها العلم والاختراعات الحديثة فى تلك البلاد ٠

وبرغم مظاهر الصحة العامة والنظافة التى تتمثل فى اختفاء الأوبئة والحميات وأمراض الفقر وسوء التغذية ٠

برغم ذلك كله فانك لا تكاد تقابل انسانا فى تلك البلاد ٠٠ ويستطرد بينك وبينه الحديث الودى الصريح ٠٠ الا ويتكشف لك فى دخيلة نفسه عن سخط مرير على الحياة ٠٠ وتبرم من العمل واجهاده ٠٠ ومن التوتر الذى يحاصره فى كل لحظة ومكان ٠٠

ومنذ الحرب العالمية الثانية ٠٠ والناس فى أوروبا وأمريكا يحاولون ٠٠ التخلص من أخطبوط التوتر والقلق ٠٠ فابتكروا عددا من المبادئ والفلسفات والاتجاهات الحديثة ٠٠ التى تجمع بين الغرابة والطرفة والشذوذ ٠

١ - فابتدع سارتر مذهب الوجودية اللاحادية : التى تنادى

بحرية الانسان في كل شيء وعدم تقيده بدين أو تعاليم بل يعتبر نفسه أجنبيا عما يدور حوله في هذا الكون اللامعقول ..

٢ - وظهر مبدأ الهييز أو الخنافس الذي يرفض التقييد بالمجتمع في ملبسه أو مأكله أو عاداته أو تقاليده أو مواعيده .. واتخذوا سبيلهم لظهار الرفض والتمرد بإطلاق لحاهم وشعورهم وأظافرهم والعيش على الأرصفة وفي الحداث العامة ورفض أى نوع من العمل .

٣ - وتفشت حوادث الاضرابات والمظاهرات والتحطيم بين الطلبة والعمال وأصبح طلبة الجامعات يتنافسون أيهم أكثر تعطلا عن العمل وتحديا للسلطة والقانون ..

٤ - وحتى الديانات الجديدة جربوها فقد انجذب عدد كبير من الشباب في أوروبا الى البوذية وانتشر بينهم مذهب كرشنا وانتشروا في شوارع نيويورك ولندن وباريس بملابسهم البرتقالية الغربية وقد حلقوا رهوسهم الا من خصلة شعر واحدة وهم يعبدون تمثالا صغيرا من الفضة يحملونه معهم في الميادين العامة ويقومون له بطقوس موسيقية ورقصات هستيرية .

٥ - وقد أعلنت الصحافة الأمريكية عن ميلاد دين جديد اسمه « المسيحية المتحررة » ويتخذ أصحاب هذا المبدأ من نيويورك مقرا لهم يفدون اليها من أنحاء أوروبا وأمريكا .. ويجمع هذا الدين بين بعض التعاليم المسيحية الى جانب النظام الاقتصادي الماركسي الى جانب بعض القوانين المدنية الحديثة التي ظهرت في أوروبا كالتى تبيح الطلاق وتعطل نظام الميراث .

٦ - وأخيرا ظهر مذهب جديد وغريب هو مذهب العرى Strikers وأصبح الناس في الميادين العامة أو في القطارات أو

المطارات المزدهمة يفاجأون بجماعة من الرجال والنساء يخلعون ملابسهم كلها كما ولدتهم أمهاتهم ثم يجرون فى الطرقات بين نظرات المشدوهين والحائرين .

٧ - وانتشرت فى هذا العالم الغريب الانحرافات الخلقية فشاعت المخدرات والمسكرات حتى بين الأطفال وظهرت كل أنواع الانحرافات الجنسية وتبادل الزوجات .

٨ - والى جانب هذا فقد ظهرت مذاهب فردية أخذت طابع العنف والجريمة لمجرد التسلية وكسر روتين الحياة وحب المغامرة فمنهم من يؤلف عصابات السطو على البنوك . ومنهم من يجد المتعة فى خطف السيدات والبنات وهتك الأعراض ومنهم من يستمتع بتحدى السلطة والشرطة والقانون . ومن الشباب من ينطلقون بسياراتهم الفاخرة بسرعة جنونية فيتسابقون فى الزحام ويدهسون الأبرياء .

والأعجب من ذلك أن الاعلام العربى كله من سينما وتليفزيون وإذاعات قد أصبحت وكأنها أبواق دعاية لزيادة التسلية والعنف واللهو غير البرى فقد أحصى أحد الباحثين ٨٥٪ من الأفلام الرائجة فى أوروبا هى التى تدور حول الجريمة والجنس والتى تمجد العنف والمخدرات والحرية الجنسية والتى تضىء على هذا النوع من الحياة هالة من الاعجاب والتشويق والتعاطف .

وبذلك أصبحت حياة كبار المجرمين أمثال بونى وكلايد - وآل كابوتى - والعراف مثلاً أعلى للشباب من هواة المغامرة وصدرت عن هؤلاء المجرمين عشرات الكتب والأفلام السينمائية التى تمجد بطولاتهم وذكاءهم وحيلتهم .

وقد سئل بعض كبار منتجى أفلام الجريمة والجنس عن السبب فى تركيزهم على هذا الاتجاه الخطير . فاجابوا بأن الجماهير فى

أوروبا وأمريكا أصبحت تقبل بشغف على هذا النوع وتحبه أكثر من غيره .. وتعليهم لذلك أن .. الحياة أصبحت معقدة قاسية .. وأن أعصاب الناس أصبحت شديدة التوتر .. وأنهم بحاجة الى شيء آخر أشد عنفا وتوترا لكي ينسيهم هموم حياتهم .. فهم يعالجون العنف بالعنف والتوتر بالتوتر .. كمن يعالج الجنون والصراع بالصدمة الكهربائية ..

ومما سبق .. اذا تأملنا كل هذه الحلول والمذاهب والاتجاهات لوجدنا أنها جميعا لا تزيد على كونها محاولات للهرب كمن يفر من الموت الى الموت وليست حلولاً لمشاكل الحضارة .

أسباب التوتر في المجتمعات المعاصرة كما يراها علماء الغرب :

لقد كتب الكثير عن هذه الظاهرة وعقدت عشرات الدلائل والمؤتمرات في الأمم المتحدة وفي الدول المتطورة لاستقصاء الحقائق لايجاد حل لهذه المشكلة التي تهدد مكاسب الانسانية كلها في القرن العشرين وفي القرون القادمة وقد ضمت هذه اللجان كبار علماء الاجتماع وعلماء النفس وكبار المفكرين وقد لوحظ أن هذه البحوث تنقسم الى نوعين :

(أ) نوع يعلل التوتر الحضارى بأسباب موضوعية ومرحلية وآلية .. فمنهم من يعلل السبب بأن التكنولوجيا الحديثة قد قدمت للانسان السيارة والطائرة والقطار وكل وسائل الراحة لعقله فأصبح لا يستعمل جسمه وعضلاته بصورة تتناسب مع استعماله لعقله وقلبه .. وهذا بدوره يدعو الى التعويض عن ذلك بالعنف والتوتر ولو بحثنا عن التعبير أو التعويض ومنهم من يصف رجال الأعمال والمكاتب في العصر الحاضر بأنه يجلس على مائدة ضخمة - وحوله ٣ أو ٤ أجهزة تليفونية لكي يتصل بها بأكثر من جهة في وقت

واحد وأمامه جهاز تسجيل آلى أو ما يسمى (بالسكربتير الآلى) لكى يملئ عليه أوامره وتعاليمه على عدد من السكربتيرات والمكاتب التابعة له وأمامه شاشة متحركة تكتب عليها أسعار البورصة والأسهم والسندات وكلما تحركت الأرقام على الشاشة تحركت معها عضلات قلبه وضغطه وتنفسه هبوطاً أو صعوداً وربما مات من الانفعال رغم ملايين الدولارات التى يلعب بها ٠٠

ومنهم من يصف حياة العامل والفلاح فى العصر الحديث بأنها تدعوه الى الملل وعدم الاحساس بجمال الحياة وجمال الفن والابداع — فقد حلت الآلة مكان عقل الانسان وأصبحت الآلة سيده وليس هو سيدها ٠٠ بل أصبح العامل قمرًا صغيراً فى آلة الصناعة الضخمة وليس له الا أن يجلس أمامها كما يجلس العبد أمام سيده وهى تسيره كما خطط لها من قبل ٠ أما هو فما عليه الا مراقبتها حين تتعطل أو تتوقف وهذا كله يجعله يمل الحياة ويميل الى العنف والتوتر ٠

ولسنا ننكر أن هذه قد تكون أسباباً معقولة للتوتر الحضارى ولكنها تدور حول المشكلة ولا تغوص فى أعماقها بل تربطها بعلل آلية وعلمية بحثية وكأننا نريد أن نقول ان هذا التوتر أمر مفروض ولا مفر منه فى عصر الآلة والتكنولوجيا وهو ثمن الحضارة ولا يمكن الخلاص منه الا بالخلاص من الحضارة كلها ٠

(ب) النوع الثانى من الباحثين هو الذى يغوص فى أعماق النفس البشرية ويحاول إيجاد العلل الخفية والحلول الجذرية ٠٠ ويتمثل هذا الفكر فى التقرير الثبهي الذى نشرته اللجنة العلمية التى شكلها الكونجرس الأمريكى لتقصي أسباب العنف الطلابي الذى اجتاحت العالم كله والولايات المتحدة خاصة وهذا التقرير نشر سنة ١٩٦٩ فى كتاب للدكتور لويس فيور باسم « الحرية الطلابية » ٠

Academic Freedom By Lewis Fewer فقد جاء في التقرير
 « أن ظاهرة العنف بين طلبة الجامعات تعود الى وجود خواء أخلاقي
 في حياتهم .. والى عدم وجود رسالة انسانية مما يولد لديهم
 الشعور بضعة الحياة وتقاهتها .. ثم يقول التقرير « لقد أخفقت
 تربيتنا وجامعاتنا في اعطائهم هدفا رفيعا يصلح أن يكون رمزا
 أو محورا ينظمون حوله حياتهم ويبنون عليه طموحاتهم الاجتماعية
 والانسانية » .

العلم الغربي .. يعلن عن عجزه وافلاسِه أمام أزمة الحضارة :

ان هذا التقرير الأخير . يحمل فى طياته معنى خطيرا يجب
 أن ننبه اليه .. انه بمثابة حكم على نظام التربية الغربى سواء فى
 البيوت أو المدارس بأنه فاشل .. وحكم على نظام الحياة الاجتماعية
 فى الغرب كله بالفشل .. ولو كان هذا هو التقرير الوحيد من
 هذا النوع لما أعطيناه كل هذه الأهمية ..

ولكن الملاحظ أن معظم البحوث الجادة التى تغوص فى أعماق
 المشكلة تخرج إلينا بهذه النتيجة الواحدة وتكاد أن تختتم تقريرها
 بهذه العبارة التقليدية .

« لقد أخفقت تربيتنا وجامعاتنا فى إعطاء الشباب هدفا رفيعا
 أو رسالة انسانية تصلح أن تكون رمزا ينظمون حوله حياتهم » .

فإذا كان الانسان المتحضر قد وصل بعلمه الى القمر .. وغاص
 فى أعماق المحيطات وشق أضخم الجبال بالانفاق .. فكيف عجز
 علمه عن الغوص فى أعماق نفسه البشرية وإيجاد الحل لمشاكله
 الخاصة .. ولماذا ظلت هذه المشكلة حتى يومنا هذا معلقة بدون حل
 بل ان معظم هؤلاء العلماء يتوقعون أنها ستزداد فى المستقبل
 سوءا وتعيدنا مع ازدياد الحضارة وتطورها .

ليس فى هذا دليل على قصور عقل الانسان وعلمه عن حل مشاكله وعن حاجته الملحة الى عون من السماء لى ينظم له حياته ومجتمعه . لقد كنت دائما أقول لأصدقائى من الأوروبيين والأمريكيين، عندما نظرت هذا الموضوع بالبحث ان الحل الوحيد لجميع مشاكلهم : هو الاسلام وكنت أحرص فى هذا على التأكيد بأن الاسلام الذى نقصده هو المبدأ الحق الذى أنزل وطبق فى صدر الدعوة وليس ما يفعله المسلمون المتخلفون اليوم . . . ومما لا شك فيه : لو أن الاسلام طبق تطبيقا صحيحا فى أى بلد واحد : بحيث يجمع هذا البلد .

بين الفهم العصرى الصحيح لهذه التعاليم . .

وبين تكنولوجيا وحضارة القرن العشرين . .

فسوف يكون هذا المجتمع أسعد مجتمع على ظهر الأرض فلننظر الآن . . الى ما يستطيع أن يقدمه لنا الاسلام من حلول .

الحل الإسلامى لمشاكل الحضارة الحديثة

يختلف الفكر الإسلامى عن الفكر الغربى من حيث نظرتهم الى مشاكل الانسان اختلافا جذريا . . فالفكر الغربى مآدى بحث بينما الاسلام ينظر الى الانسان على انه مادة وروح . . وجميع الحلول التى يقدمها فلاسفة الغرب تقوم على الحساب والأرقام والتجربة العلمية وعلى الأدوية المهدئة أو المنهية دون الاهتمام بالجانب الروحانى للانسان . . ولهذا السبب فشل حكماء الغرب جميعا فى علاج مشكلة الحضارة . . لأنهم فشلوا منذ البداية فى تشخيص الأسباب . . وفى الطب الحديث حكمة تقول :

إذا أردت شفاء المرض فعليك بمعرفة أسبابه أولا . . لأنك

حين تعرف الأسباب يصبح العلاج يسيرا لأن العلاج ما هو الا ازالة
الاسباب .

وفي نظر الاسلام تعود أسباب امراض الحضارة والتوتر الى
عدة عوامل مجتمعة نلخصها فيما يلي :

١ - طغيان المادية :

والتفكير المادى على معاملات الناس وتنكرهم للروحانيات
والقيم المعنوية فالانسان المادى يفقد ثقته بالله وايمانه بقضائه وقدره
ويفقد بالتالى رضا النفس وطمأنينتها وهذا يجعله اكثر عرضة
للهازات النفسية والقلق واليأس والعنف والطمع .

٢ - الفراغ الفكرى والعقائدى :

مما يدفع الناس الى الملل من الحياة والبحث عن الملذات
والاكثار من الشرب والمخدرات والانحرافات الأخلاقية والجنسية
وقد أصبحت المخدرات بأنواعها من أعقد المشاكل الاجتماعية
والصحية فى أمريكا وانجلترا . . وكثير من دول العالم المتطورة . .
وهى لا ترجع الى الفقر ولا الجهل كما هو الحال فى بعض الدول
المتخلفة . . ولكن الذين يتعاطونها اناس مثقفون وأغنياء مما يدل
على أن الفراغ والضياع هو السبب الوحيد لانحرافهم .

٣ - انعدام الدافع الأخلاقى والوازع الدينى :

كثرت فى هذه المجتمعات المتطورة حوادث الاخلال بالأمن
والاعتداء على الأفراد والأعراض كما كثرت حوادث السيارات الناجمة
عن السرعة والاستهتار بأرواح الناس والميل الى العنف . وقد يقول
قائل ان هذه الحوادث موجودة أيضا فى المجتمعات المتخلفة ولكن

شتان بين السرقة من أجل الجوع والحرمان وبين سرقة الملايين من أجل الطمع والشهوة والسلطة والمغامرة .. فمعظم حوادث الأمن فى أمريكا تقوم بها عصابات قوية منظمة وغنية وتسيطر حتى على القضاة والوزراء .

٤ - انعدام التراحم فى المجتمع الحديث :

وطغيان روح الأنانية بين الناس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة .. فأصبح الأخ لا يساعد أخاه والأب لا تهمة مشاكل أولاده بعد سن معينة وأصبح الجار لا يساعد جاره أو يهتم بمشاكله .. والقوى لا يرحم الضعيف والغنى لا يعطى الفقير ومثل هذا الجحود وعدم التعاون بين الناس يزيد على الفرد أعباء الحياة ويعرضه الى الشعور بالعزلة وأمراض التوتر .

٥ - والعامل الاقتصادى من أهم اسباب التوتر أيضا :

ولكنه هنا يختلف كل الاختلاف عما هو فى الدول المتخلفة والفقيرة .

ان متوسط دخل الفرد فى الدول الصناعية المتطورة بين ألفين وأربعة آلاف دولار فى العام بينما هو فى الدول المتخلفة ٢٠٠ ، ٣٠٠ دولار فى العام فقط .. وبرغم هذا التفاوت الرهيب فكثيرا ما نسمع عن أصحاب الملايين فى الدول الصناعية الذين يسقطون ضحية الذبحة القلبية بسبب القلق على أموالهم أو أثناء مضاربات (البورصة) أو المقامرات والمضاربات التجارية ولا يقتصر هذا القلق على الأغنياء وحدهم بل ان الطبقات الأقل ثراء أو الفقيرة نسبيا فى هذه المجتمعات .. هى الأخرى تعيش حياة توتر وقلق من أجل تأمين عيشها بسبب تحكم الأقوياء وأصحاب رؤوس الأموال

الكبيرة وأصحاب المصانع الضخمة الذين انعدمت لديهم مبادئ الرحمة فلا يهمهم الا الكسب المادى اما بسبب طموحهم الشخصى وعدم القناعة والرضا بالنعمة وكلا الحالين لابد أن يودى الى التوتر والقلق .

المجتمع الاسلامى مجتمع بلا توتر :

١ - من أهم التعاليم التى جاءت بها الأديان عامة والاسلام خاصة اهتمامها بالجانب الروحانى والمعنوى للانسان . . فالانسان ليس آلة توضع فيها البترول والماء والزيت فتدور . . وكل حركة فيها بحساب مادى مدروس . . ولكنه جسد وروح . . وكما للجسد متطلباته فللروح أيضا متطلباته من غذاء معنوى وروحى ويوم تطئى المادة وحدها على الانسان تقتل آدميته وانسانيته . . ثم بعد ذلك يصاب فى روحه بالسقم والمرض واليأس من الحياة دون أن يدرك لذلك علة أو سببا . . وصدق الله العظيم اذ يقول : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

ويعصف القرآن الذين ضلوا الطريق وانقطعت صلتهم بالله بأنهم لابد وأن يصابوا باليأس والضغط فيقول : « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » .

ولكن الاسلام يختلف عن غيره من الأديان فى عدم اغفاله للجانب المادى من الحياة على حساب الروحانيات .

فالى جانب أمره الناس بالزهد فى الحياة والقناعة والتقشف والبعد عن الاسراف فى الأكل والملابس والمال . وعن الطمع والحسد . فانه أيضا يأمرهم ألا ينسوا نصيبهم من الدنيا . . وأن يلبسوا الملابس الحسن ويتخيروا الطعام الحسن . وأن يكون لديهم طموح

لزيادة دخنهم ٠٠ وتخطيط لمستقبلهم ٠٠ وان يستمتعوا بنعم الحياة
« قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » ٠

٢ - وللإسلام فلسفة خاصة في تقبل مشاكل الحياة ومآسيها
بالصبر والإيمان واعتبار المحنة أو المصيبة أو المرض من قضاء الله
وقدره الذي لا ينبغي للإنسان أن يستقبله بالسخط أو الجزع أو
حتى مجرد القلق ٠

« ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب
من قبل أن نبرأها » - وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ٠٠
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ٠٠ قل كل من عند الله » ٠

ويجب أن لا ننسى هنا أيضا أن الإسلام في أمره للناس
بالصبر والرضا عند الشدائد بأمورهم في نفس الوقت بالعمل على
اصلاح أحوالهم وعدم الاستسلام لواقعهم وفي هذا يقول تعالى :
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ويقول أيضا
« من عمل صالحا فلنفسه » ٠

فهذه حكمة تجمع بين عاملين كل منهما مكمل للآخر :

عامل الصبر عند وقوع الأزمة : بحيث يواجهها المسلم
بشجاعة ومعنويات عالية ووجه باسم فلا يتحطم ولا ينهار بل
يتخطاها بسلام ٠

ثم عامل الإصلاح والعمل البناء لتلافي الأخطاء أو الأضرار
بأعصاب هادئة وذهن صاف دون أي ارتباك ذهني أو نفسي ٠

وهذا يحطم النظريات الشيوعية التي تقول ان الدين أفيون
الشعوب لأنه يعلمها التواكل والرضا بالأمر الواقع ٠٠ فهذا على
الأقل غير موجود في الإسلام ٠٠

والاسلام بعد هذا يمنع المسلم منعا قاطعا وحاسما من محاولة الهرب من صدمات الحياة ومشاكلها سواء بالانتحار أو بادمان الخمر والمخدرات .

فالانتحار : في حكم الاسلام قتل للنفس لا يدخل صاحبه الجنة مهما كانت دوافعه اليه . .

والخمر والمخدرات : في حكم الاسلام قتل للعقول والارادة ومصير صاحبها الى النار . . ولهذا نجد حوادث الانتحار والادمان في العالم الاسلامي اقل منها في أى بقعة في العالم

٣ - والاسلام لا يسمح لابنائيه بالفراغ الفكرى والعقائدى : بل انه يأمرهم بالجهاد ويشغل عقولهم وقلوبهم بحجة الناس وخدمتهم . . وصاحب العقيدة والمبدأ لا يمكن أبدا أن يشعر بالفراغ أو يفكر فى الانتحار أو الخمر أو المخدرات لانه يعتبر نفسه صاحب رسالة . . وهو مسئول عن الانسانية كلها فضلا عن مسئوليته نحو وطنه وقومه ومجتمعه وأسرته « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

٤ - والمجتمع الاسلامى مجتمع تعاون وتراحم ومودة بين الناس :

فهو يلزم القادر بحل مشاكل الضعيف : « من يمشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدمه على الصراط حين تزل الأقدام » .

ويلزم الجار برعاية شئون جاره القريب والبعيد : « **والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل** » .
ويلزم الأسرة المسلمة بالترابط والتماسك والتعاون

- من لم يعن ضعيفنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا
- ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو تلقى أخاك بوجه طلق ..
- وبمثل هذه المعاني النبيلة يخفف الناس عن بعضهم أعباء الحياة .. ولا يحس المسلم أنه يعيش في غابة موحشة ولا يشعر بالقرب التي يشعر بها الإنسان الأوروبي .. بل يحس بأن المسلمين جسده واحد .. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ..
- ٥ - والاسلام حاسم كل الحسم في منع كل مظاهر الفساد وإزالة كل بؤر التوتر والانحراف في المدينة .
- فلا خمر .. ولا مخدرات ولا زنى .. ولا ربا .. ولا قمار .. ولا عنف وهو في هذا لا يرضى بالحل الوسط كما تفعل دول الغرب التي تسمح بقسط من كل شيء بشرط أن يكون ذلك تحت رقابة الشرطة واذن الحكومة .. ففي أمريكا مثلاً يسمح للكبار بالسكر والمقامرة والزنا ويمنع من ذلك من دون سن الرشد ..
- فاذا كانت هذه الأشياء مفيدة فهي أئانية من الكبار أن يمنعوها الصغار منها .
- وإذا كانت ضارة فالأولى أن يمنع منها الكبار أولاً باعتبارهم القدوة والمثل الأعلى للجيل الجديد .
- ٦ - وإذا كان النظام الاقتصادي : في الغرب من هم أسباب التوتر الحضارى بسبب ما يخلقه من الشعور بعدم الرضا والصراع الطبقي فإن الاسلام يقدم لنا نظاما اقتصاديا يختلف اختلافا جذريا عن نظام الغرب ..
- فالاقتصاد الاسلامي يعتمد جانب الأخلاق والمثل العليا

والتراحم بين الناس فى الكسب والتجارة والرزق .. قبل جانب الحساب الجاف والأرقام الباردة التى لا تعرف العواطف ولا الرحمة .

فالإسلام أولا يسمح بالغنى بل ويشجع الناس على تحسين أحوالهم المادية ولا يبغضهم فى المال كما فى الديانات الأخرى بل يقول لهم : « كاد الفقر أن يكون كفرا » ولا بأس بالغنى لمن اتقى .

ولكن الإسلام لا يسمح بالغنى الذى يأتى ..

- عن استغلال جهد الآخرين بغير الحق كالكسب الفاحش أو الربا أو المقامرة أو عن تجارة تضر الناس كالخمر والمخدرات والزنا والرقيق الأبيض .

- أو المال الذى يأتى عن منافسة غير شريفة كاحتكار السلعة واستغلال السلطة أو رشوتها .

- أو المال الذى لا يؤدى عنه حق الفقير فى الزكاة والصدقة والبسر .

- أو المال الذى ينفق بالاسراف والاتلاف فى رفاهية زائدة أو مباحاة أو غير منفعة حقيقية .

- أو المال الذى يكتنز دون التداول بين الناس فى صناعة أو تجارة يعم خيرها على الناس .

- أو المال الذى يودع لدى أعداء الوطن ليستفيدوا به ويتقوا به دون هذا الوطن .

وبعد هذه الشروط كلها فالإسلام لا يسمح بالثروة والغنى إلا بعد ضمان حد الكفاية (لا الكفاف) لكل فرد ضعيف فى الأمة ومعنى حد الكفاية أن تكفل له الدولة عملا يتعيش منه وسكنا لا تقا

وغذاء كاملا والتعليم والصحة له ولأولاده وما لم يكفل هذا الحد الأدنى فيمنع الأغنياء .

والاسلام بفضل ذلك لا يترك فرصة للحقد الطبقي ولا يرضى بزور الكراهية والتسخط بين الغنى والفقر بل يناطب الفقير بأن الغنى من الله والفقر من الله . . وأن من كان نصيبه في الدنيا الفقر فلا يبت وفي نفسه ضغائن ولا أحقاد ولا طمع ولا جشع في مال غيره .

بكل هذه القواعد الأخلاقية التي يضعها الاسلام لاقتصادياته تزول كل أسباب التوتر فيأمن الأغنياء على أموالهم : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ولا يشعر الفقراء بأنهم قد غبنوا أو حرموا من حقوقهم .

٧ - الأمن النفسي وسلامة النفس في الاسلام :

ان من أعظم ما جاء به الاسلام هو محوه لفكرة (الخطيئة الأصلية) و (انسان الخطيئة) . تلك الفكرة التي ظلت تلاحق الانسانية المعذبة في جميع الديانات والفلسفات السابقة للاسلام . ويقول مبدأ الخطيئة الأصلية أن الانسانية كلها يجب أن تتحمل خطيئة آدم وحواء عندما عصيا ربهما . وخطيئة ابن آدم الذي قتل أخاه . . فما نحن الا أبناء الخطيئة الأولى الأصلية وترى المبادئ السابقة للاسلام أن الانسان يجب أن يكون كالملائكة بلا أخطاء ولا سيئات . . ولكن لأنه ليس ملاكا . . فجهما فعل من حسنات في حياته فان ذلك لن يمحو سيئاته وسيظل مدينا لله بالغفران والتضحيات والقرايين . ويرجع خطر هذه النظرية الى ما تحدثه في نفس معتنقيها من ارتباك نفسي وعقلي :

- فاذا كان متدينا مؤمنا بها فانه يشعر بالاثم الدائم ولو

بدون ذنب يقترفه ويظل فريسة لأوهام نفسية ننقص عليه حياته وتجعله مثقلا بالهم مليئا بالعقد النفسية التي تنعكس على تصرفاته . . وفي هذا يقول الدكتور محمد عزيز الجبائي أستاذ علم النفس في كتابه « الشخصيات الاسلامية » : « ان عالم الخطيئة عالم رعب وقلق واهتمامات مزعجة دون سبب أنه عالم الاتهام حيث يحيا الانسان في خوف من الخوف » .

ويرى كثير من فلاسفة الغرب أن هذه النظرة المتشائمة للحياة وللمستقبل كانت من أهم أسباب نفور الناس في أوروبا من الدين ويأسهم من الغفران واتجاههم نحو المادية والاحاد ثم سقوطهم في دوامة التوتر العصبي

وفي هذا المجال فقد جاء الاسلام بفكر جديد يحرر النفس البشرية من هذا الخوف الوهمي ومن الشعور بالاثم بلا اثم . فحرره من جريرة آدم وكل من سبقه من أجداده الأولين .

وفي ذلك يقول الله تعالى :

« تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » البقرة آية ١٣٤

ثم اعتبر الاسلام كل انسان مسئولا عن أعماله فقط ولا ذنب له فيما يقترفه غيره .

« ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى » الانعام ١٦٤ ثم اعتبر الانسان بشرا وليس ملاكا . فهو يخطئ كما يخطئ البشر والله لا يعاقبه على الخطا الذي لم يقصده ولكن على ما يفعله عاجدا قاصدا :

« وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمست

قلوبكم» الأحزاب ٣٣ الآية ٥ وحتى اذا أساء الانسان متعمدا ثم تاب وأصلح فان الله يفر له « ان الحسنات يذهبن السيئات » « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحاما » .

- « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » النجم ٥٣ الآية ٣١ والمسلم الذى تغلب حسناته ترجح كفتها يصبح خاليا من كل اثم وله أن ينام قرير العين ، راضى النفس وأن يعتبر نفسه من عباد الله المؤمنين الذين ينعمون بعفوه ورضاه فى الدنيا ويبشرون بجنته ونعيمه فى الآخرة .. وبذلك لا يظل الانسان فى شك من آخرته وفى يأس من دنياه .. وهذه الراحة النفسية من أعظم الشعارات التى نادى بها الاسلام لراحة بال الانسان :

- « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

٨ - أمن المسلم فى وطنه فى الاسلام :

لقد نادى الاسلام بس المواطنين فى وطنه ومجتمعه .. أمنه على حياته وعلى عمله وعلى رزقه وماله وعرضه وكرامته .. فلا يمس فى أى من هؤلاء بسبب رأيه أو بسبب معتقده .. ان بعض كتب الفلسفة تعرف كلمة الوطن بأنه هو أرض الاجداد وبعضها يعرف الوطن بأنه الأرض التى فيها الأقارب والأهل . أما القرآن فانه يختلف مع هذه التعريفات السطحية اختلافا جذريا . ويعتبر أن الوطن هو أى مكان على ظهر الأرض يجد الانسان فيه الأمان والرزق . ولا شئ غيرهما .. وفى كل مرة يذكر فيها الاسلام الوطن يربطه بهذين العاملين وحدهما فيقول تعالى :

« فليعبدوا رب هذا البيت .. الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ويقول على لسان إبراهيم « رب اجعل هذا البلد آمنا وارزقهم من الثمرات » . فجعل الأمن المطلب الأول للانسان ثم يليه الرزق .

وهذه النظرة لها مغزى خطير فى الحياة .. فبغير الشعور بالأمان لا يصبح الوطن وطنا مهما كانت فيه من خيرات .. ويصبح امام المسلم امران :

اما أن يجاهد ويكافح فى سبيل الحصول على أمنه فى وطنه مهما كلفه ذلك من تضحيات .

واما (اذا عجز) أن يهاجر من هذه الأرض الى حيث يجد أمانه على حياته ورزقه وعقيدته ورأيه .. فالاسلام يعتبر الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين ووطن المسلم هو هذه الأرض كلها بما وسعت ورحبت .

« ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده » . الاعراف ٧
الآية ١٢٨ .

ان الانسان اذا فقد الشعور بالأمان قد يصاب بالجنون والهلوسة وقد يصاب بالجبن والعقد النفسية والأمراض الخلقية .. ويصبح شخصية منهارة مليئة بالنفاق والرياء .. والله لا يرضى للمسلم مثل هذا الانهيار النفسى والعقلى وهو الذى يعطه بالأمن فيقول :

« او لم تمكن لهم حرما آمنا يجيى اليه ثمرات كل شئ » .
ويقول عن المؤمنين « فى الفريقين احق بالأمن » .

هذا هو بعض ما يقدمه الاسلام من حلول لمجتمع الحضارة والتوتر . المجتمع الاسلامى مجتمع تسوده المحبة والتراحم والأمان فهو مجتمع بلا توتر .

هذا هو الاسلام .. وهذه هي تعاليه التي تصلح لمجتمع الحضارة الحديثة والصناعات المعقدة والصعود الى القمر .. تماما كما صلحت لمجتمع البداوة وعيشه الخيام وركوب الجمل .
فالاسلام هو خير علاج لكل مشاكل التوتر في المجتمع الأوربي الحديث ..

الضوضاء والتوتر الحضارى

الاسلام يرى من مظاهر الضجة في

بلادنا ولو احسنا اتباعه لقضينا على الضجة

لا شك أن الضوضاء هي احدى أسباب التوتر والقلق في المجتمعات الحضارية الحديثة .. ولم تعد الضوضاء قاصرة على المدن الصناعية الكبرى التي تعج بالآلات والمصانع ووسائل النقل والمواصلات . ولا على المدن التجارية حيث حوى الإعلانات والمنافسة التجارية وازدحام الطرق والملاهي والمكاتب .. بل لقد زحفت الضجة أيضا الى الضواحي والأرياف النائية بفضل ظهور وسائل الاعلام الحديثة والسهولة الانتقال كالراديو والتليفزيون والميكروفون الى جانب تصنيع الريف وانتقال المصانع والآلات والضجة الى القرى والحقول .

ومن أخطر الأمور على حياة الانسان ألا يأخذ قسطه من الراحة والنوم متى أراد بسبب الضجة أو أن يحاول استجماع أفكاره في عمل ذهني فيجد دائما ما يشتت ذهنه .. فالضجة احدى عوامل الاجهاد الذهني والعصبي وحدى معوقات الانتاج والعمل .. وقد ثبت طبيا أنها أحد أسباب انتشار الامراض العصبية والنفسية والعقلية الى جانب الامراض العضوية التي يسببها التوتر .

وأكثر الناس تأثرا بالضجة هم المثقفون وأصحاب الأعمال والمهن الفنية الذين يكدحون بأنهم لا بأجسامهم .. فالإنسان المثقف يكون دائما مرهف الحس سريع التأثر والحساسية للجو المحيط به .. وكلما زاد علم الإنسان وثقافته انخفض صوته وقل صياحه وزاد وقاره .. وكلما ثقلت رأس الإنسان بالمعرفة والعلوم والأفكار ، كان أكثر حاجة من غيره الى الهدوء والراحة حتى ينتج للوطن من علمه وأفكاره . وبذلك يصبح من حقه على الوطن أن يتيح له هذا القدر من الهدوء .

وفي نفس الوقت فمن المعروف أن الشخص الجاهل الفارغ الرأس هو وحده الذي يحدث حوله أكبر قسط من الضجة والأزعاج للآخرين .. ومن حكم الأقدمين في هذا المجال قولهم . « ان الصوت المرتفع ليس دليلا على رجاحة العقل ولا على قوة الشخصية فالحصار صوته مرتفع ولكنه لا يعتبر من الحكماء .. والصرصار صوته مرتفع ولكنه لا يعتبر من ذوى الشخصية » .

ولخطر الضجة على المجتمع المتحضر فقد خصصت هيئة الأمم المتحدة أسبوعا في العالم كله لمحاربة الضوضاء تماما كما خصصت أسبابا لمحاربة المرض وغيره لمحاربة الجوع .. وقد جعلت شعارها في ذلك الأسبوع الهدوء ذوق وأخلاق والضجة جهل وتخلف وأكثر البلاد الراقية الناهضة تحتفل بهذا الأسبوع فيمنعون أى سائق سيارة من استعمال آلات التنبيه على الإطلاق وبذلك يضطر الى التانى فى السواعة وعدم السرعة ويوقعون غرامة مالية على أى بيت أو محل تجارى أو مقهى يفتح جهاز الراديو بصوت مرتفع . وحتى الأطفال يعلمونهم التعاون مع المجتمع ومراعاة مشاعر غيرهم بعدم أحداث الضوضاء فى الشوارع والبيوت أثناء اللهو واللعب .

وبمثل هذه التعاليم مع الكثير من الدقة والتنظيم استطاعت

أوروبا وأمريكا إلى حد كبير أن تتخلص من آفة الضجة ولكن بقيت الضجة للأسف الشديد في مدننا العربية والإسلامية إلى حد أن بعضهم يعتبر أن لهذه الضجة علاقة بديننا وهو منها براء .. فلننظر في تعاليم الإسلام الحقيقية وكيف حارب الضجة ..

الإسلام يحارب الضوضاء :

لقد حارب الإسلام الضجة والجلبة في كل صورها وأسبابها :
وإذا كانت وسائل الضجة الحديثة كالسيارات والميكروفونات والراديو والتلفزيون لم تعرف في عصر الرسالة .. فقد جاء الإسلام بالتعاليم والمبادئ العامة التي تصلح لكل عصر ومكان والتي تبين أن من يحدث الضجة أو يزجج غيره إنسان قد انعدمت لديه مبادئ التراحم والتعاطف مع الناس والمراعاة لمشاعر غيره ..

وقد جاءت آيات القرآن تأمر الناس بالسكينة والوقار وتشبه من يرفع صوته بالحمار فيقول تعالى :

« واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره من يرفع صوته في الحديث أو النداء سواء كان ذلك في البيوت أو المجالس .. أو في الشوارع .. بل وأيضا في الخلا ..

ذات يوم رفع بعض الصحابة أصواتهم في مجلس الرسول حتى غطى على صوته واستحى الرسول أن يسكنهم لأنهم كانوا في بيته ولكن الله لا يستحي من الحق ونزل القرآن كأنه سيف قاطع حاسم يقول :

« يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وانتم

لا تشعرون .. ان الذين يفضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم » -

وجاء بعض الأعراب يوما الى بيت الرسول وأخذوا ينادونه من الشارع بصوت مرتفع فنزل القرآن الكريم :

« ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » •

ان بعض الناس في عصرنا هذا قد يستعمل مكبرات الصوت بصورة مزعجة لجيرانه أثناء تلاوة القرآن في المآثم أو في الحفلات والخطب الدينية أو يفتح المذياع بأعلى صوته عند تلاوة القرآن .. وقد يتصور هؤلاء أنهم بذلك يدعون الى سبيل الله وأن من يعترض سبيلهم أو يطلب منهم عدم احداث الضجة انسان فاسد أو غير متدين .. وقد تغشيت هذه الظاهرة المؤلمة في كثير من البلاد الاسلامية حتى أصبح كثير من الأوروبيين والأجانب يتصورون ان ظاهرة الضجة هي من صميم تعاليم الاسلام وهي في الواقع سوء استغلال للدين وهي بعكس تعاليمه وتسيء اليه ..

فان أول مكان يشترط الاسلام فيه السكينة والوقار هو دور العبادة والصلاة وذلك لكي يجعل الله المسجد قدوة لغيره في محاربة الضجة ..

فقد منع الاسلام احداث الضجة والصوت المرتفع سواء كان ذلك من داخل المسجد أو خارجه ، حتى لو كانت هذه الضجة لتلاوة القرآن أو الأذان للصلاة .. فانه تعالى يقول :

« ولا تجهز بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا .. » •

وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا يرفعون اصواتهم عند قراءة القرآن في المسجد فقال لهم : « ان كلا منكم

يناجى ربه فلا يؤذى بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض
فى القرآن » .

وعندما أراد رسول الله أن يختار وسيلة لنداء الناس وتبليغهم
مواعيد الصلاة جاء بعض الصحابة يقترحون عليه استعمال الأبواق
كاليهود أو استعمال الأجراس كالتنصارى واقترح بعضهم أن تقرع
الطبول كعادة القبائل فى الحرب ولكن رسول الله لم يستحب هذه
الآلات المزعجة العالية الصوت .. وفضل أن يكون الأذان بصوت
الإنسان الطبيعي الذى ينبه ولا يزعج فاختر بلالا للأذان .. ولم
يكن بلال جهير الصوت بل كان صوته خفيا ، رخيما ترتاح له
النفوس وتستجيب له القلوب ..

وبينما كان الصحابة فى طريقهم الى إحدى الغزوات اذ حان
موعد الصلاة وهم فى الصحراء .. فوقف بعضهم يؤذن للصلاة
بصوت مرتفع فناداهم الرسول وقال لهم : « بعض هذا .. فليس
بينكم غائب تنادونه ولا أصم فتسمعونه » .

ويكره الاسلام أيضا أحداث الضجة والجلبة خارج المسجد أو
فى الطريق اليه ولو كان ذلك استعجالا للصلاة :

عن أبى قتادة قال : « بينما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ سمع جلبة خارج المسجد فقَالَ : ما شأنكم قالوا
استعجلنا الى الصلاة .. فقال الرسول : « لا تفعلوا .. اذا أتيتم
الصلاة فعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما سبقكم فاتموا » .

ومن هذه الأمثلة الحية والتعاليم السماوية التى جاء بها
الاسلام نجد أنه يحرم الضجة ولو كانت فى قراءة القرآن أو الأذان
الى الصلاة .

فما بالك بهؤلاء الذين يحدثون بالضجة بغير هدف ولا غاية

الا متعتهم الشخصية كسائق السيارة الأحق الذي لا تفارق يده آلة التنبيه ولو لم يكن في الطريق أحد ٠٠ أو صاحب الهوى الذي تمجبه أغنية في المذياع فيرفع صوته ليفرضها على جيرانه ٠٠ أو أصحاب الحفلات الماجنة والساهرة أو المقاهي والملاهي الذين يركبون الأبواق الكهربائية الضخمة لكي يعلنوا عن انفسهم أو يفرضوا مشاعرهم على غيرهم من الناس .

أو الآباء الذين يطلقون أطفالهم في الشوارع والبيوت يحدثون الضجة والصراخ دون حدود أو مراعاة للجيران وهم يتصورون ان هذا حق للطفل ولا يجادل فيه أحد ٠٠

وحتى المساجد أصبحت هي الأخرى مصدرا للضجة فى المدينة الإسلامية ، فللاسف الشديد أننا فى مرحلة تغلغنا الرامن قد شوهنا الكثير من مظاهر الاسلام ، وبعد أن كانت المساجد مكان السكينة والهدوء والوقار أصبحت تننافس فى تركيب مكبرات الصوت الضخمة ٠٠ داخل المسجدة وخارجه ٠٠ وقد حضرت صلاة الجمعة فى أحد المساجد فكان جميع المصلين لا يكادون يسمعون خطبة امام مسجدهم لأن المسجد الآخر المجاور قد وضع مكبرات للصوت أقوى وأعلى صوتا ٠٠ وعندما ذهب الناس الى بيوتهم للراحة والنوم بعد أداء الصلاة كانت مكبرات الصوت فى المساجد المختلفة ما تزال تصرخ فى آذانهم وكان القصد ليس هو الحكمة والموعظة الحسنة ٠٠ بقدر ما يكون الهدف هو احداث أكبر قدر من الضجة ٠٠ وعلو الصوت ٠٠ وفى هذا خروج عن أسلوب الاسلام وعن رسالة المسجد ٠٠ فإذا كان الهدف هو اسماع المصلين بالمسجد فلماذا لا نكتفى بمكبرات الصوت الداخلية وحدها ونمنع المكبرات الخارجية حتى لا يكون المسجد مصدرا للضجة فى كل شارع وحي ٠٠ وهذا هو ما تفعله الملل المتحضرة فى جميع أماكن العبادة ٠٠ فمنذ ظهر اختراع مكبرات الصوت منع وضعها خارج الكنائس والمعابد فى جميع دول العالم

المتحضر .. حتى يبقى للدين وقاره وسكينته وحرمة .. وبذلك
وحده نطبق قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ
بين ذلك سبيلا » .

ألا يعلم هؤلاء الذين يحدثون الضجة فى الشارع كم من مريض
فى البيوت يريد أن يرتاح ..

وكم من شيخ كبير مسن يريد هدوء البال .

وكم تلميذ يذاكر دروسه وكم طبيب أو مهندس أو شرطى
يسهر طوال الليل لخدمتهم ويريد قسطا من الراحة والنوم
بالنهار .

ان مثل هذه الضجة لا تتنافى مع الذوق السليم والاحساس
بالمسئولية بل هى ضد الدين والمبادئ والأخلاق .

سادسا ..

الصحة الجنسية في الاسلام

أبواب هذا البحث :

- ١ - العلاقة بين الدين والجنس .
- ٢ - التثقيف بالجنس في الاسلام .
- ٣ - الاسلام وعلم الأجنة .
- ٤ - الزواج في نظر الاسلام والديانات الأخرى (دراسة مقارنة) .
- ٥ - الحب في نظر الاسلام .
- ٦ - الاختلاط أو فرص التعارف قبل الزواج .
- ٧ - الخطوبة واختيار الزوجة في الاسلام .
- ٨ - النكاح وآداب المباشرة في الاسلام .
- ٩ - العادة السرية في رأى الدين والعلم .
- ١٠ - البرود الجنسي عند المرأة المسلمة أسبابه وعلاجه .
- ١١ - ختان المرأة عادة خطيرة والاسلام يرى منها .
- ١٢ - النظافة الجنسية في الاسلام .
- ١٣ - الحكمة الطبية في تشريع الطلاق وتعدد الزوجات .
- ١٤ - الاسلام وتحديد النسل ومنع الحمل .
- ١٥ - الاسلام والاجهاض .
- ١٦ - الاسلام وطفل الأنابيب وزرع المبيض ..

نجاح الأسرة

يبدأ من الوفاق في فراش الزوجية
فاذا انتفى هذا الوفاق
انهارت الحياة الزوجية كلها

١ - العلاقة بين الدين والجنس

قالت عائشة أم المؤمنين

نعم النساء نساء الأنصار

لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين

رواه مسلم بكتاب الحيض ٦١
والبخارى كتاب العلم ٥

العلاقة بين الدين والجنس

الجنس واثره فى السلوك الانسانى :

الجنس عامل هام فى حياة الانسانية والكائنات الحية كلها
ويكفى أنه سبب بقائنا على الأرض وتكاثرنا فيها •

وقد وجد العلم أن حاجات الكائن الحى الرئيسية ثلاثة :

هى السلاة أولا ثم الطعام ثانيا ثم الجنس ثالثا :

وبكلمات أخرى : غريزة حب البقاء ثم غريزة الجوع ثم غريزة
التناسل •

— وكما أن الحرمان من السلامة وعدم الشعور بالأمن قد يؤدى
بالانسان الى الذعر أو الانهيار العقلى •

— والحرمان من الطعام يؤدى الى الهزال ثم الموت •

فكذلك الحرمان من الجنس يؤدى الى الكثير من الانحرافات
الخلقية والعقلية والتشوهات النفسية •

والنظريات العلمية الحديثة تعتبر الجنس أحد العوامل الرئيسية
السيطرة على غرائز المخلوقات وطبيعتها وسلوكها •

— فالنشاط والحيوية والطاقة الخلاقة والروح القيادية تعود
الى دوافع جنسية •

- وعلى النقيض فان التبذل والخمول والانطواء وضعف الشخصية يعود أيضا الى عوامل جنسية .

- وفي الحيوانات التي تعيش حياة القطيع البرى نرى أن أكثرها فحولة وذكورة هو الذى يتولى القيادة والسيطرة ولا يأذن لأحد بمخالفته .. فإذا ظهر من القطيع فحل غيره منافس له فان الصراع يقوم بينهما حتى الموت أو طرد الأقل فحولة وقوة .

ومن علماء النفس الكبار أمثال (فرويد) من يبالغ فى تقدير دور الجنس فى سلوك البشر .. فيجعله كل شيء فى الحياة حتى منذ لحظة ولادة الطفل .. وفى ذلك يقول : « ان مص الطفل لثدى أمه للرضاعة .. ثم مص الأصابع .. ثم عض المصاصة الكاوتشوك كلها من مظاهر النشاط الجنسى » .

وعلى كل حال .. فمن الحقائق الثابتة التى لا يمكن اغفالها أن التربية الجنسية السليمة .. والحياة الجنسية السليمة تخلق انسانا سويا فى طباعه وأخلاقه وتصرفاته .

كما أن التربية الجنسية الخاطئة .. والحياة الجنسية الشاذة تخلق انسانا مليئا بالعقد فى كل تصرفاته .. وبالشدوذ فى أفكاره وأعماله .

الدين والجنس :

ومن هنا .. كان اهتمام الأديان السماوية جميعا .. وبالتالى المذاهب والعقائد التى صنعها البشر بتنظيم المسألة الجنسية .. ويهدف هذا التنظيم الى عاملين هامين :

الأول : تهيئة الانسان منذ نشأته لحياة جنسية سليمة وذلك بوضع القواعد والضوابط والتشريعات اللازمة لها .

ثانيا : تهذيب الغرائز الحيوانية والبداية في الانسان وتغليب العقل على الغريزة والالتزام بالمبادئ على الاستسلام للغرائز .

هذا هو الهدف المشترك بين جميع النظم في تصديدها لغريزة الجنس . ولكن الملاحظ أن هذه النظم تتناول هذا الموضوع بالذات باتجاهات شديدة التفاوت والتناقض .

فمنها ما يفرق في الروحانية ويعتبر الجنس أمرا حيوانيا وغريزة دنيا يجب أن يتنزه الانسان عنها ان استطاع وأن يترهبين ويعتزل النساء ان أمكن .

ومنهما ما يفرق في المادية والشهوانية ويعتبر الجنس كل شيء في الحياة وأن الجنس يجب أن يكون مشاعا لمن يشاء وبالطريقة التي يشاء كالشيوعية والوجودية .

اما الاسلام فقد جاء دينا وسطا بين المذهبين فالمنهج الاسلامي في النظر الى الجنس وتنظيمه يتسم بالواقعية والمثالية في وقت واحد . .

فهو ينظر الى الانسان كبشر لا كملاك . . وله حاجاته الضرورية التي لا يمكن مقارنته فيها بالملائكة ولا يمكن حرمانه منها . .

وهو في نفس الوقت يسامي بهذا الانسان عن الانحطاط بغرائزه الى مستوى الهيمنة والحيوان يقضى حاجته بغير قيود ولا مسئوليات ولا تنظيم .

ففي نفس الوقت الذي يأمر الاسلام بالزواج ويعتبره مكملا للدين أو نصف الدين ويمنح الرهبانية ويسمح بالطلاق حين ينعدم الوفاق الروحي ويسمح بالزواج حتى أربع اذا اقتضت الظروف

فانه حاسم كل الحسم مع المنحرفين الذين يريدون العدوان
والصيد فى حمى غيرهم أو التحلل من قيود الأسرة والمجتمع ويوقع
أشد العقاب على جريمة الزنا والانحراف .

والملاحظ أن الاسلام فى معالجته لمشاكل الجنس لم يترك فى
هذا المجال صغيرة ولا كبيرة الا طرقها ووضع لها تنظيمًا ثابتًا
ودقيقًا . فقد اهتم الاسلام بالنقافة والتربية الجنسية . . وتنظيم
الزواج والطلاق والتلاقى بين الجنسين . وبين جزاء الانحرافات
كالزنا واللواط . . ووضع تنظيمات للصحة الجنسية كالطهارة
للذكور . والغسل بعد الجماع وبعد الحيض وعدم المجامعة أثناء
الحيض بل لقد اهتم أيضا بالأوضاع الجنسية والعلاقات الجنسية
والأسلوب السليم الصحى لها .

كل هذا بقصد خلق مجتمع سليم من الوجهة الصحية
والنفسية والأخلاقية وهذه هى تعاليم الاسلام فى كل واحدة من
هذه المجالات .

٢ - أسلوب الثقافة الجنسية في الاسلام

اسلوب الثقافة الجنسية فى الاسلام

لقد تميزت المدرسة الاسلامية فى مجال التثقيف الجنى بالصراحة والوضوح تحت الشعار الذى يقره الاسلام « لا حياء فى الدين » فالزواج فى الاسلام اسمه « عقد النكاح » وهى كلمة صريحة ومباشرة مأخوذة من القرآن .

والفقه الاسلامى يتحدث بوضوح وتحديد قاطع عن النكاح والايلاج والانزال ودخول المرد فى المكمل الى غير ذلك من المسائل الفقهية التى لابد من تحديدها باسلوب قاطع لا لبس فيه ولا ابهام وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرح آداب المباشرة الجنسية فى الاسلام فى المسجد فى حضور الرجال والنساء معا بل فى حضور الفتاة العذراء والشاب المراهق . فعن أبى هريرة قال :

« صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم أقبل علينا بوجه فقال مجالسكم . هل منكم الرجل اذا أتى أهله وأغلق بابيه وأرخى ستره ثم يخرج فيحدث . فيقول فعلت بأهلى كذا وفعلت بأهلى كذا ؟ فسكتوا حياء . . فأقبل على النساء فقال : هل منكن من تحدثت ؟ فجلت فتاة كعاب على احدى ركبتيه وتناولت ليرها رسول الله ويسمى كلامها فقالت : أى والله انهم يتحدثون . فقال عليه السلام هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ ان مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكه فقضى حاجته منها والناس ينظرون » (رواه أحمد وأبو داود عن أبى هريرة) .

واحاديث رسول الله عن المرأة وعن الجنس وعن حب المرأة فيها

من الشجاعة والواقعية ما لا يوجد مثيله الا فى كتب التربية العلمية الحديثة .

انظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : « حبيب الى من دنياكم الطيب والنساء » وقوله : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » (أخرجه مسلم والنسائى) .

وسئل مرة « يا رسول الله من أحب الناس اليك ، قال : عائشة قيل : ومن من الرجال ؟ قال : أبوها » (أخرجه مسلم) .

ويقول فى الحث على الزواج بالأبكار : « عليكم بالأبكار فانهن أكثر حبا وأقل صخباً » وجاء أحد صحابته يخبره أنه قد خطب .. فسأله : « بكرا أم ثيبا » .. فقال له « ثيب » فقال الرسول : « ألا من بكر كداعبها وتداعبك » (أخرجه الخمسة) . وفى رواية أخرى « تعضها وتعضك » .

ويحث الاسلام على احترام الفريضة الجنسية .. وعدم النظر اليها بنظرة التعالى أو الاحتقار كما تفعل بعض المذاهب الأخرى فهذا التعالى يورث العقد والنفاق ويجعل الانسان يحتقر نفسه وزوجه ومجتمعه .. ولهذا السبب كان الصحابة وزوجاتهم يستشسيرون رسول الله فى ما يحدث بينهم وبين أزواجهم من مشاكل جنسية وعاطفية ، ورسول الله يجيبهم بما يعلمه وما لا يعلمه ينزل عليه به الوحي فى كتاب الله فى رأى قاطع وحاسم وصريح ودون ابهام أو مواربة .

والى جانب هذه الصراحة والوضوح فان القرآن يأتى بتعاليمه فى المسألة الجنسية فى غلالة من الألفاظ الرقيقة والآداب الوقورة والكناية الجميلة .

فمن ذلك قوله تعالى :

« او لاسستم النساء » والقصد بها ملامسة الشهوة وليست
اللمسة العادية .

وقوله عن المجامعة : « وقد افضى بعضكم الى بعض »
(النساء - ٢١) .

وقوله : « ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه »
(يوسف - ٢٤) .

وقوله : « لساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم »
(البقرة - ٢٢٣) .

وبهذا الأسلوب الرفيع يسرد القرآن الكثير من قصص الحب
والجنس لكى يضرب للشباب المثل الأعلى والتصرف الاسلامى فى كل
موقف . . حتى تصبح تلك الامثال قدوة لهم على مر الأجيال .

فمن ذلك قصة العفة والارادة متمثلة فى نبي الله يوسف مع
امراة العزيز وقصة الحب العذرى متمثلة فى نبي الله موسى الذى
اعجبت به ابنة شعيب لامأنته وقوته فقالت لايها :

« يا ايت استاجرته ان خير من استاجرت القوى الامين » ففهم
الاب فى الحال فقال لموسى : « انى اريد ان انكحك احدى ابنتى
هاتين » (القصص - ٢٧) .

وفى احاديث رسول الله الكثير من قصص الحب والجنس التى
يضربها كمثال على العفة والتقوى وجزاءها عند الله . . فمن ذلك
قوله :

« انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار
فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا

لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، فآخذ كل منهم يروى ما عمله من صالحات والصخرة تنزاح شيئا فشيئا حتى جاء دور الثالث فقال :

« اللهم انه كانت لي ابنة عم أحبها كاشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها وامتنعت منى حتى ألت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها حتى اذا قدرت عليها وقعدت بين رجلها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها وانصرفت عنها وهي من أحب الناس الى وتركت الذهب الذي أعطيتها :

اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة (رواه البخارى ومسلم) .

تثقيف الطفل بأمور الجنس :

تختلف المجتمعات المعاصرة اختلافا بينا فى نظرتها الى تثقيف الطفل بأمور الجنس . . فهناك مجتمعات شديدة التحفظ والانغلاق ترى عدم ذكر أمور الجنس من بعيد أو قريب أمام الطفل فى كل مراحل عمره . . . فاذا سأل الطفل سؤالا من أمور الجنس ولو كان عن نشأته وتكوينه تهربوا من الرد وربما اضطروا الى الكذب المضلل كقولهم (اشتريناك من السوق) وتكون نتيجة هذا الانغلاق أحد أمرين . . اما أن يكبر الطفل جاهلا حتى يفاجأ بالتطورات الجنسية كالاختلام للفتى أو الحيض للفتاة وغير ذلك من الأمور الطبيعية وهو لا يدري عن ذلك شيئا مما قد يصيبه بالعقد الجنسية والأمراض النفسية . . واما أن يتعلم ذلك من زملائه ومن غير أهله . . وقد يكون بينهم الفاسق والمضلل .

وفى نفس الوقت هناك مجتمعات وخاصة فى الغرب تتماهى

فى اباحة المعلومات والمظاهر الجنسية أمام الطفل ٠٠ سواء
فى حياتهم الخاصة والعامة أم فى وسائل الاعلام مما يسبب لدى
الأطفال الكثير من الانحرافات والخلل العقلى والخلقى عندما
يصلون الى مراحل الشباب ٠

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن كلا من الاتجاهين
خطأ ٠٠٠ بل خطر على كيان الانسان والمجتمع والأسرة ٠٠٠ وتقول
النظرية الحديثة ان الناشئة يجب أن يتعلموا أسرار الجنس
بالتدرج المناسب لأعمارهم مرحلة بعد مرحلة ٠٠ فالطفولة لها
قدرها من العلم ثم تأتى فى مرحلة المراهقة ثم مرحلة النضج ٠٠
وقد أصبحت المدارس الحديثة تعلم الطفل اللقاح فى الزهور
أولا ٠٠ ثم تبين له الفرق بين الذكر والأنثى فى النبات ثم فى
الحيوان ثم الانسان ٠٠ وتريه نماذج من الأجنة والأرحام ٠٠ فاذا بلغ
الطفل سن المراهقة تشرح له كل مشاكل تلك الفترة ٠٠ والأمراض
التناسلية والعادة السرية الى غير ذلك من المعلومات الحيوية ٠٠ وهذا
كله يتفق مع أسلوب الاسلام فى التثقيف الجنىسى ٠

فالطفل المسلم يحفظ منذ نعومة أظافره الكثير من آيات القرآن
وسوف يجد فى كثير منها مع شئ من التفسير المتدرج اجابات على
أسئلته وسوف نشرح له بالتفصيل الآيات القرآنية المتعلقة بهذا
الأمر ٠٠٠٠٠ فمنها ما يتعلق باللقاح فى الزهور والنباتات ثم فى
الحيوان والانسان ومنها ما يتعلق بتكوين الأجنة وتطورها ومنها
ما يتعلق بالمراهقة ومشاكلها وواجباتها ٠٠ وهذه المعلومات يجب
أن يشترك فى تقديمها البيت والمدرسة معا ٠٠ ورجل الدين مع رجل
العلم ٠٠ ومما لا شك فيه أن ارتباط الثقافة الجنسية بالتربية
الدينية أمر يجعل للجنس فى نفس الطفل الكثير من الاحترام
والتقدير ٠

ومن تعاليم الاسلام الى الأبوين أن يلزموا أولادهم وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « **الزموا أولادكم** » ومعنى ملازمة الأولاد مرافقتهم وقضاء أكثر الوقت معهم وخاصة في وقت الفراغ كالنزهة واللهو والطعام وأهم من ذلك وقت الصلاة ٠٠٠ والهدف من هذه الملازمة اعطاء الفرصة للتقارب بين الطفل وأهله ورفع الكلفة واجابة أسئلته بدون حرج أو مفاجأة ٠٠٠ بما في ذلك ما يتعلق بالجنس .

ولكى لا يفاجأ الطفل بمنظر من مناظر الجنس بين الأبوين فقد أمر القرآن الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوا على أبيهم ثلاث مرات في اليوم وهي الأوقات التي تعتبر عورات ٠٠ أما الأطفال البالغون فعليهم بالاستئذان في كل وقت ٠٠ وفي ذلك يقول تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم** » وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم » (سورة النور ٥٨ - ٥٩) .

ويأمر الاسلام بالتفريق بين الأخ وأخته في المضاجع وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع** » (متفق عليه) وقد اختلف الفقهاء في سن التفريق ويرى بعضهم أنه سن الخامسة ولكن هذا يتوقف على مدى وعي الطفل وإدراكه وتمييزه .

٣ - القرآن والتزواج وعلم الأجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

« علم الانسان ما لم يعلم »

(صدق الله العظيم)

القرآن والتزاوج وعلم الأجنة

هناك أمور في علم الأجنة ، تعتبر من البديهيات التي عرفها الإنسان الأول وتوصل إليها بالفطرة ، ولكن إذا دخلنا في التفاصيل الدقيقة والمعلومات العلمية المفصلة لوجدنا أن الإنسان حتى عهد قريب جدا كان يتخبط في علمه وتفسيراته وأنه قبل اختراع الميكروسكوبات المعقدة في القرن العشرين كانت الإنسانية تعيش في ظلمات الجهل والخطأ .

ومن هنا يأتي اعجاز القرآن العلمي ، فقد جاءت تفاصيل الجنس والتناسل وتكون الجنين في القرآن في مواضيع عديدة بحيث لو جمعت في موضوع واحد لخرجنا منها بمعلومات وافية ما كان يمكن أن يدركها أو يعقلها إنسان القرن السابع الذي نزل فيه القرآن ، وعلى مر العصور كان الفقهاء المسلمون يجتهدون في تفسير تلك الآيات حسب علوم عصرهم ، بل إن الأطباء العظام أمثال الرازي وابن سينا والزهراوي قد اجتهدوا في التفسير حسب علمهم . ولكن القرآن كان سابقا لكل هؤلاء بقرون طويلة .

وهذه هي بعض الحقائق القرآنية في هذا المجال :

(١) التزاوج في النبات :

الأزواج والتزاوج :

يقول الله تعالى : « سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » (يس - ٣٦) .



حبوب اللقاح في النبات وبعضها له اجنحة لتحملة الريح

وتقول النظرية العلمية أن كل شيء فى هذا الكون سواء كان نباتا أم حيوانا أم حشرة أم إنسانا يتكون من مذكر ومؤنث . بل ان العلماء قد ذهبوا الى اعتبار الجماد ايضا يتكون من مذكر ومؤنث وبلغه العلم من موجب وسالب أو بروتون واليكترون . ومن هنا نجد القرآن يكرر وجود الأزواج فى كل شيء فى الدنيا . ثم تطرق الآية الى ذكر تركيب جسم الكائن الحى الناجم عن هذا التزاوج فتذكر فى ايجاز بلاغى معجز أنه يتكون من ثلاث عناصر رئيسية ، مادة وروح (أى نفس) ثم شيء ثالث لا نعلمه وما زال العلم حتى يومنا هذا لا يعلم كنه هذا العنصر الذى يجعل الحركة تدب فى أعضاء الكائن الحى . وعلى سبيل المثال ما يحدث فى عملية زرع الأعضاء . . اذا قطعنا عضوا من جسم كائن حى . . ثم حفظناه فى ظروف علمية معينة الى أن ننقله الى كائن حى آخر . فهذا العضو يعتبر حيا فى نظر العلم . . ولكن العلم الحديث لا يعرف الفارق بين هذا النوع من الحياة العضوية . . وبين حياة المخلوق الذى أخذ منه العضو .

٢ - اللقاح فى النبات :

يقول الله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » (الحجر - ٢٢) . فقد اكتشف العلم الحديث الكثير من المعجزات الالهية فى دور الريح فى تلقيح النباتات . . . فبعض النباتات تنطلق منها الأعضاء المذكورة وتكون لها أجنحة شبيهة بأجنحة الطيور وبعضها الآخر له ما يشبه المظلة أو (الباراشوت) وتنقلها الريح الى مسافات بعيدة قد تصل الى بضعة كيلومترات . . ثم تهبط على الزهور المؤنثة من نفس النبات والفصيلة فتلقحها . (صورة (١))

٣ - الثمرة هي الجنين فى النبات :

يقول تعالى : « أن الله فائق الحب والنوى » (الأنعام ٦ - آية ٩٥) فالحبة أو الثمرة فى النبات هي الجنين الذى يتكون من اتحاد المذكر بالمؤنث ٠٠ وهذا الجنين قد يتكون من حبة صلبة أو نواة فإذا نزل على الأرض وأصابه الماء انفلق الغطاء الصلب وخرجت منه الجذور الى الأرض لكى تنبت نبتة جديدة وهكذا ٠٠

(ب) التناسل فى الحيوان والانسان :

اولا - نطفة الذكر وطبيعتها :

— يتم التناسل فى الحيوان والانسان فى صورة واحدة بشكل عام .

فالجنين يتكون من اتحاد حيوان منوى واحد مع بويضة واحدة .

— وتتكون نطفة الذكر أى السائل المنوى من سائل لزج لا يزيد حجمه عن ٣ سم ٢ ، ويسبغ فى هذا السائل بضعة ملايين من الحيوانات المنوية الدقيقة التى تتكون من رأس وذيل وتتكون هذه الحيوانات فى غدة الخصية (ويبلغ عددها فى المنطقة الواحدة قرابة الثلاثمائة مليون) .

وهناك حقيقتان علميتان هامتان لم تكن أى منهما معروفة الا فى العصر الحديث جدا :

الاولى : أن الخصية موضعها الأول فى جسم الانسان هو فى البطن على جانبي العمود الفقري . وقبل الولادة تنزل الخصية من البطن فى الشهر الثامن الى كيس الخصية خارج البطن ٠٠ وفى

بعض الأطفال قد يتأخر نزول الخصية بعد الولادة فيحتاج الأمر إلى عملية جراحية لانزالها إلى مكانها الطبيعي . (صورة ٢)

والحقيقة الثانية : أن الحيوانات المنوية نوعان . نوع يحمل عنصر الذكورة ويرمز إليه برمز Y والآخر يحمل عنصر الأنوثة ويرمز إليه برمز X . فهذا الحيوان المنوي هو الذي يقرر نوع الجنين إن كان ذكرا أو أنثى عند اتحاده بالبويضة .

هذه هي بعض التفاصيل العلمية التي ذكرها القرآن عن نطفة الذكر وهذه هي الآيات التي تضمنت تلك الحقائق العلمية :

١ - فقد جاءت كلمة النطفة في اثني عشر موضعا من القرآن بأوصاف مختلفة يكمل بعضها بعضا . فمن ذلك قوله تعالى :

« انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه » (الانسان-٢) .

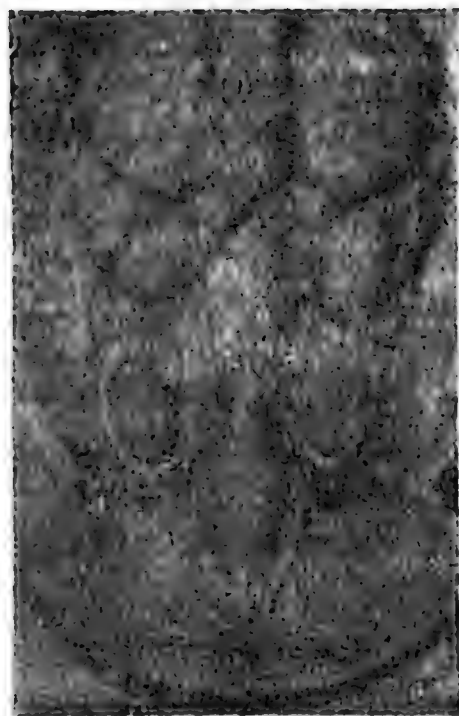
وقوله تعالى : « ألم يك نطفة من منى يمى » (٧٥ القيامة آية ٣٧) .

ويعرفها بأنها من « ماء دافق » وأنها من « ماء مهين » .

فكلمة النطفة التي استعملها القرآن تعبير لغوي عن الكمية الضئيلة جدا (٣ سم ٣) .

وكلمة دافق تشير إلى تدفق الخلايا المنوية في سباقها للوصول إلى البويضة فتقطع رحلة طويلة من المهبل إلى عنق الرحم إلى قاعدة الرحم ثم تدخل القناة المهبلية لتلقيح البويضة ، وقد قدرت هذه السرعة بثلاثة مليمترات في الدقيقة الواحدة . وهذه السرعة بالقياس إلى الحجم الميكروسكوبي الدقيق للحيوان المنوي تعادل سيارة منطلقة بأقصى سرعتها .

٢ - ويذكر القرآن موضع الخصية في البطن فيقول تعالى :



الحمضية في الجنين في مكانها بين الكلية والعمود الفقري (بين الصلب
والتوائب)

« فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين
الصلب والترائب » (الطارق ٥ - ٧) .

والصلب هو العمود الفقرى والترائب هو بيت الكلية . .
وهذا هو موضع الخصية فى الجنين قبل خروجه من الرحم . .

٣ - ويحدد القرآن بصفة قاطعة أن الحيوان المنوى هو الذى
يقرر الذكورة أو الأنوثة فيقول تعالى :

« ألم يك نطفة من منى يمنى . . فجعل منه الزوجين الذكر
والأنثى » (٣٧ - ٣٩ القيامة ٧٥) - وغير خاف أن الإشارة فى قوله
تعالى (فجعل منه) أى من المنى وهذا بعكس ما كان العرب يعتقدونه
من أن بويضة الأنثى هى التى تحدد جنس الجنين . بل كان
الاعتقاد السائد فى العالم حتى عصر قريب أن جنس الجنين يظهر
أثناء نموه فى الرحم وأن هناك نساء بطبيعة تكوينهن ينتجن فى
أرحامهن أنثا أكثر من الذكور . . وكن يتهمن بالشؤم وقد يطلقن .

ثانيا - البويضة وتكوين الجنين :

لكى نفهم كلمات القرآن جيدا فلا بد هنا أيضا أن نبدأ بالشرح
العلمى . فالجهاز التناسلى للأنثى يتكون ببساطة من مبيضين وكل
مبيض متصل بقناة توصل البويضة التى يفرزها الى الرحم . وتسبح
البويضة فى القناسة باتجاه الرحم بانتظار وصول حيوان منوى
لثلقيحها . . فاذا لم يتم تلقيح البويضة فى مدة محددة فانها تخرج
مع الطمث وهكذا تتم الدورة الشهرية للمرأة .

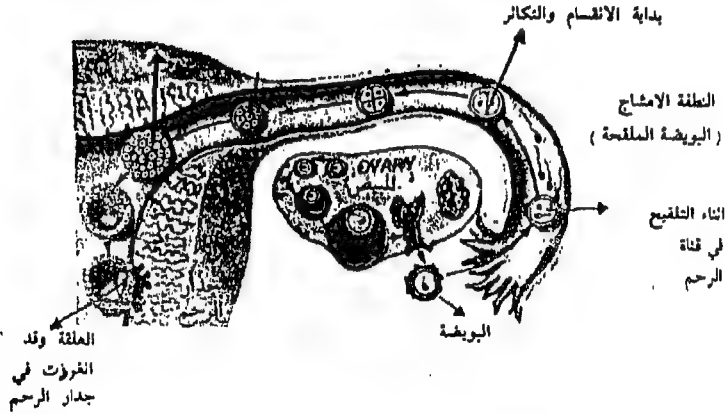
أما اذا تلقت البويضة (بالتقاء نطفة الرجل بنطفة المرأة)
فيتكون من هذا (النطفة الأمشاج) وهى عبارة عن جنين فى أولى
مراحله مكون من خلية واحدة متحدة بحيوان منوى واحد . . فهذا
المشج ينقسم الى اثنين ثم أربعة ثم ثمانية خلايا وهكذا ويسمى علميا

(الزيجوت) وفى القرآن سمي (المشيج) وهو تعبير متناهي الدقة
وتستغرق هذه المرحلة عشرة أيام .

وينتقل المشيج بعد نموه الى الرحم حيث يتحول الى ما يشبه
العلاقة فيلتصق بجدار الرحم فى ناحية القاعدة فى موضع علوى
وخلفى .

ومن الجدير بالذكر هنا أن مكان العلاقة فى الرحم هو مكان
محدد وثابت . وبدونه لا يستمر الحمل . فلو حدث التعلق فى

مرحلة العلاقة فى علم الأجنة :



القناة المهبلية أو في أسفل الرحم لأدى الأمر غالبا الى الاجهاض .
من هنا أطلق عليه القرآن (قرار مكن) . وهذا تفصيل لآيات
القرآن التى ذكرت هذه الحقائق العلمية .

١ - يقول تعالى فى سورة الانسان : « انا خلقنا الانسان من
نطفة أمشاج نبتليه » وكلمة الأمشاج معناها أنه يتكون من خلط
عناصر مختلفة ببعضها . . . وهى المرحلة الأولى .

٢ - ثم تاتى بعد ذلك مرحلة العلقه التى يذكرها القرآن فى
أكثر من موضع فيقول تعالى : « ثم خلقنا النطفة علقه » (المؤمنون
آية ١٤) .

ويقول : « ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقه فخلق
فسوى » (القيامة ٣٧ ، ٣٨) .

وكلمة العلقه تعبير لم يستعمل الا فى القرآن ولم يوصف به
الجنين من قبل فى اللغة العربية أو أى لغة . وهو تعبير علمى دقيق
مطابق لمرحلة التعلق اذ أن الجنين يخرج منه امتدادات تلتصق
بجدار الرحم حتى لا يسقط وهى أشبه بجذور النبتة الصغيرة التى
تمتد فى الأرض .

٣ - ويقول الله تعالى : « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكن »
(المؤمنون - آية ١٣) .

وهى اشارة واضحة ومحددة الى المكان الخاص بتعلق الجنين .
فكلمة (مكن) من التمكن والتحكم وكلمة (القرار) تعبير عن
(المقر) الذى تستقر فيه البويضة بعد اتحادها بالحيوان المنوى .

٤ - ويقول تعالى بعد ذلك : « ونقر فى الأرحام ما نشاء الى
أجل مسمى » (الحج - آية ٥) .

فهذه العلة تبدأ فى :نمو والانقسام وتكبر فى تجويف الرحم . ويصف القرآن مدة الحمل بأنها (أجل مسمى) أى مدة محدودة ومعروفة . وتختلف هذه المدة فى الانسان عنها فى الحيوان ، كما أنها تختلف بين فصائل الحيوانات ولكنها محددة فى كل فصيلة ونوع فى الفيل عشرون شهرا وفى الانسان عشرة قمرية أى أربعون أسبوعا وإذا نقصت عن ذلك قد يحتاج الجنين الى رعاية خاصة (مثل الحضانة) حتى يكتمل ، وإذا تأخر عن هذا الأجل المحدود قد يحتاج الى عملية قيصرية لإخراجه حتى لا يموت داخل الرحم .

ثالثا - تطور الجنين فى الرحم :

يقول الله تعالى فى سورة المؤمنون - آية ١٤ :

— « ثم خلقنا النطفة علة ، فخلقنا العلة مضفة فخلقنا المضفة عظاما فكسونا العظام لهما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

ويقول فى سورة النحل - آية ٧٨ :

— « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » .

ويقول تعالى فى سورة الزمر - آية ٦ :

— « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » .

هذه الآيات الثلاث زاخرة بفيض من الحقائق العلمية التى لم يكن أى منها معروفا فى عصر نزول القرآن ، وقد استغرقت الانسانية أربعة عشر قرنا من الزمان حتى توصلت الى بعض هذه

الحقائق وما تزال هناك أمور أخرى كثيرة تشمّلها الآيات القرآنية ولم يصل علمنا الى تفسيرها ، وهذا هو شرح لهذه الآيات .

١ - يذكر القرآن أن الجنين يتطور في الرحم (خلقا من بعد خلق) وهو نفس النص الذي يستعمل في العلم الحديث Stages أى مراحل تطور الجنين فكل مرحلة لها توقيت معين محدود ينمو فيه جهاز جديد من أجهزة الجسم . وتشابه المراحل الأولى فى جميع الحيوانات . ثم تبدأ الأجهزة الجديدة والراقية تتكون وهى التى تميز حيوانا عن آخر ومرحلة عن التى تليها .





اجنة حيوانات مختلفة وجنين انسان وهي كلها متشابهة في الطور الاول

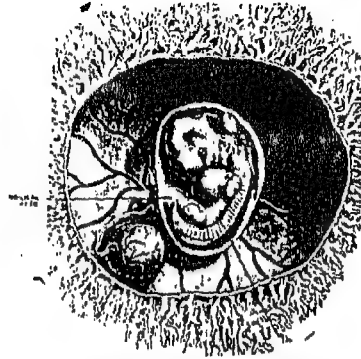
٢ - ويصف القرآن المراحل الثلاث الأولى بأنها (نقطة ثم علقه ثم مضغة) وقد تكلمنا عن النقطة ثم العلقه وتحدث الآن عن **المضغة** وهو الطور المسمى في كتب العلم الحديثة (Mulbry Stage) وهى كلمة لاتينية معناها **الجنين التوتى** لأن شكل الجنين فى هذه المرحلة يكون كحبة (التوت) من حيث وجود بروزات ونبوءات على سطحها ٠٠٠ والواقع أن التعبير القرآنى أدق لأن الجنين يشبه قطعة اللحم المضغوطة بالأسنان فتظهر عليها البروزات والنبوءات مكان المضغ وهو وصف أقرب الى الحقيقة .

٣ - ويذكر القرآن فى وصف المضغة (من مضغه مخلقة وغير مخلقة) وتفسير ذلك أن الجنين فى أطوار نموه يكون غير متناسق فى أحجام أجزائه . فبعض الأجزاء (كالرأس) يبدو أكبر من حجمه بالنسبة الى باقى الجسم وأهم من هذا أن بعض هذه الأعضاء يتخلق قبل الآخر بل يكون الجزء الآخر لم يتخلق بعد . وعلى سبيل المثال فإن الرأس يتكون قبل أن تتخلق الأطراف كالذراعين والأرجل . وهذا بلا شك اعجاز علمى فى القرآن .

٤ - ويشير القرآن الى حقيقة تشريحية فى العلم ، وهى أن النسيج العظمى فى الجنين يتكون أولا ثم يليه النسيج العضلى ثم يلى ذلك البصر والسمع فيقول تعالى : « **فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا** » والمقصود باللحم هو العضلات وهى تتكون فى مرحلة أو طور متأخر بعد النسيج العظمى . ثم يقول أيضا : « **فَجَعَلْنَاهَا سَمِيعًا بَصِيرًا** » إشارة الى أن العين والأذن يتأخر ظهورها فى الجنين .

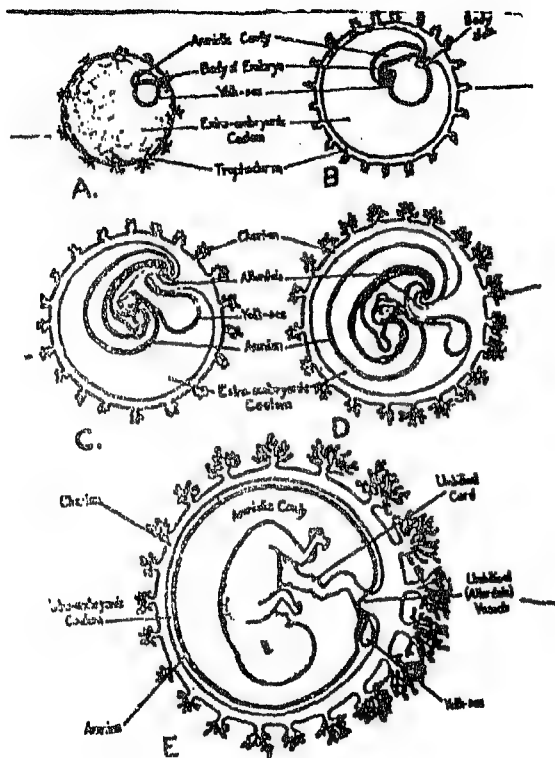
٥ - والعلم الحديث يقول أن جنين الانسان يمر بعدة مراحل فى خلقه . فهو يكون أولا شبيها بالأسماك ثم يصبح شبيها بالبرمائيات ثم يشبه البريات كالقرد ثم يصبح خلقا آخر شبيها

بالإنسان الكامل في المرحلة الأخيرة • وقد نص القرآن على مراحل
تخلق الجنين فذكر أنها (خلقا من بعد خلق) ثم نص على أن
المرحلة الأخيرة هي خلق آخر فقال (ثم أنشأناه خلقا آخر) •

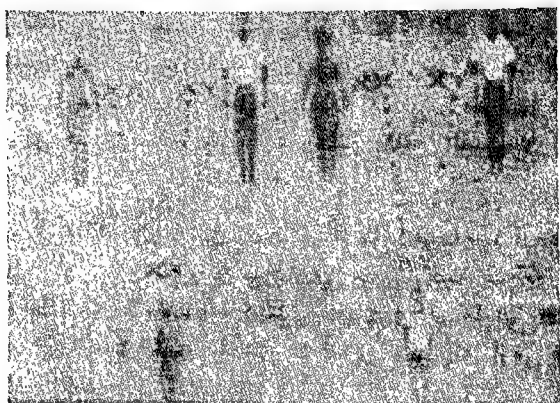


٦ - ويصف القرآن تطور الجنين في داخل الرحم بأنه يتم
(في ظلمات ثلاث) وقد احتار المفسرون الأولون في معرفة المقصود
بهذا التعبير القرآني وقد فسرها بعضهم بأنها ظلمة الرحم ثم ظلمة
الحياة ثم ظلمة القبر •• وهذا بعيد جدا عن الآية لأن القصد منها
هو مرحلة داخل الرحم فقط •

ومن علم التشريح الحديث نستطيع أن نقول أن المقصود بها
هو الأغشية الثلاثة التي اكتشف العلم الحديث أنها تحيط بالجنين
أثناء مراحل نموه وهي :



الجنين داخل الرحم وتحتيط به الأغشية الثلاث



جنس الجنين يتحدد من نقطة الرجل × للأشئ للذكر

وهو أقرب الى النص القرآنى • Amnion, Chorion, Allantois

٧ - وقبل أن نختم هذا الباب يجب الاشارة الى حقيقة هامة
اعتقد كثير من العلماء أن هناك تناقضا فيها بين القرآن والعلم •

الحقيقة العلمية تقول : انه تم اكتشاف طريقة علمية حديثة
لمعرفة نوع الجنين فى بطن أمه قبل ولادته ان كان ذكرا أم أنثى
وذلك عن طريق فحص مخبرى للسائل الامنيوتى Amniotic Fluid
المحيط بالجنين وقد تطورت هذه الطريقة وأمكن ذلك عن طريق فحص
لعاب الأم •

ويعتقد بعض الفقهاء المسلمين أن هذا الأمر يتعارض مع
القرآن الذى يذكر أن معرفة نوع الجنين فى الرحم هو من أمور
الغيب التى لا يعلمها الا الله تعالى ولا يمكن لأى بشر معرفتها ، وهم
يحتجون فى هذا بقوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو » (الأنعام ٦ - آية ٥٩) •

وقوله تعالى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » (آل عمران
١٧٩ - فیربطون بین هذا وبين ما جاء نى سورة لقمان - آية ٣٤ :
« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام
وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت
ان الله عليم خبير » •

- فقد فسر بعض الفقهاء قوله تعالى : « ويعلم ما فى الأرحام »
(انه معرفة ان كان ذكرا أم أنثى • وهذا هو الخطأ الأول لأن
الآية لم تنص على ناحية الذكورة والأنوثة ولكنها معرفة مطلقة فقد
تكون معرفة الله تعالى بمستقبل هذا الجنين وبأخلاقه وطباعه وسلوكه
ومصيره عندما يصبح انسانا كاملا • وهو أمر لا يعلمه الا الله •

- كذلك ربطوا بين معنيين وردا فى سورتين مختلفتين وفى

موضوعين مختلفين. الأول في سورة الأنعام بقوله تعالى : « لا يعلمها
الا هو » . والثاني في سورة لقمان بقوله : « ويعلم ما في الأرحام »
وفسروا ذلك بأنه لا يمكن للبشر أن يعرفوا نوع الجنين في بطن
أمه وهذا خطأ في التفسير وتحميل للآيات أكثر مما تحتل .

وقد لزم التنويه بهذه الحقيقة الهامة لأن كتب الدين التي
تدرس في مدارس الأطفال تنص على أن مفاتيح الفيب خمسة منها
معرفة نوع الجنين في بطن أمه ولا يمكن للبشر أن يعرفها .
والواجب علينا اصلاح هذه الفقرة في كتب الدين لان الخطأ في
تفسيرنا وليس في الآية نفسها .

٤ - الزواج في نظر الاسلام والديانات الأخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن آياته

« ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها »

(الروم - ٢١)

الزواج في نظر الاسلام والديانات الاخرى

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »
(الروم - ٢١)

يختلف الاسلام عن المسيحية في نظرتها الى الزواج اختلافا جذريا . فالاسلام يعتبر الزواج ضروريا للحياة الطبيعية الصحية ولكمال الدين ويعتبر الحياة المثالية هي الحياة الزوجية .

بينما المسيحية ترى ان الحياة المثالية هي الرهبنة والبعد عن النساء والجنس الا لمن لا يقدر على ذلك ويخشى من الزنا .
وقد جاء في انجيل متى ١٩ : ١٢ .

« يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات أن يفعل فليفعل » .

وجاء في كورنثوس الأولى ٧ : ١ - ٣ (بولس) :
« حسن للرجل ألا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ولكل امرأة رجلها » وأقول لغير المتزوجين والأرامل أنه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ولكن اذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزويج أصلح من التحرق في النار بسبب الزنا » .

« ان قصارى ما يحققه الزواج أن يعصم الفرد من الخطيئة على حين التبتل يروض المرء على أعمال القديسين ويذل له السبيل الى منزلة الأشراف ويتيح له أن يأتي بالمعجزات » .

هذه هي النظرة المسيحية الى الزواج ، وقد نتج عن ذلك أن تكونت عن المسيحية مذاهب تحرم الزواج بتاتا كالمذهب المرسيون Mersions الذي ظهر في القرن الثاني للميلاد وحرم الزواج بتاتا وحتم على معتنق المذهب أن يطلق زوجته قبل الدخول فيه .

وبعكس ذلك جاء الاسلام فاعتبر الزواج مكملًا لدين الانسان، فلم يكتف بتشجيع الزواج بل أمر به لمن أمكنه من المسلمين ، واعتبر التبتل أو اعتزال النساء نوعا من التفاق الذي يصل الى حد الكفر بأنعم الله وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج » (متفق عليه) .

وقد نهى الاسلام عن التبتل (أى الانقطاع عن النساء) واعتبر الزواج من سنة الله ورسوله . وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « من كان موسرا لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني » رواه ابن ماجه .

أى أن من لديه القدرة المالية على مسئوليات الزواج والأسرة ونفقاتها ثم لم يتزوج فلم يعمل بسنة الله ورسوله .

ويعتبر الاسلام أن الزواج نصف الدين بفضل ما يهيئه للمتزوج من العفاف والاستقامة والتفرغ لخدمة الناس وعبادة الله . وفي ذلك يقول رسول الله « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي » (رواه الطبراني في الأوسط والحاكم) .

ويرى الاسلام أن أعظم متعة للانسان في دنياه هي أن يوهب زوجة صالحة وفي ذلك يقول الرسول : « انما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة » (أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه) .

ويقول أيضا : « الدنيا متاع ومن خير متاعها امرأة تعين زوجها على الآخرة : مسكين مسكين رجل لا امرأة له . مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها » قالوا وان كانت كثيرة المال ؟ قال وان كانت كثيرة المال (رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأخرجه رزين) .

ويعتبر الاسلام الرجل الذى يسعى للزواج بالمجاهد فى سبيل الله وحق على الله والناس أن يعينوه على غرضه الشريف . وفى ذلك يقول رسول الله « ثلاثة حق الله عونهم . المجاهد فى سبيل الله . والمكاتب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف ، (رواه الترمذى عن أبى هريرة) .

ويأمر الاسلام بالسعى على تزويج اليتيمة والفقيرة والضعيفة والمملوكة وكل من لا حول لها ولا معين من الناس . وفى ذلك يقول الرسول : « من كانت عنده جارية فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها أو زوجها فله أجران » . (البخارى) .

ويعظم الله أجر من يسعى فى تزويج أخيه المسلم فى الحلال ومن يمشى بالصلح بين امرأة وزوجها فيقول رسول الله :

« من مشى فى تزويج رجل حلالا حتى يجمع بينهما رزقه الله من الحور العين وكان له بكل خطوة خطاها أو كلمة تكلم بها فى ذلك أجر عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها ومن مشى فى صلح

امراة وزوجها كان له أجر ألف شهيد وكان له بكل خطوة أجر عبادة
سنة صيامها وقيامها » (رواه أبو هريرة وابن عباس) .

وفى رواية أخرى يقول صلى الله عليه وسلم :

« ان من أفضل الشفاعات أن تشفع بين الاثنين في الزواج حتى
تجمع بينهما » (الطبراني وابن ماجه) .

وجميع الديانات السابقة للإسلام كانت تنظر الى المرأة على
أنها صورة للشيطان ورمز للخطيئة وجالبة للشؤم . وفى هذا
يقول القديس (تروتوليان) أحد أقطاب المسيحية الأولى عن المرأة :

« انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان . وانها دافعة بالمرء
الى الشجرة المنوعة ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله أى
الرجل » .

وكان اليهود وعرب الجاهلية يحملون نفس الأفكار عن المرأة
ويعتبرونها جالبة للنحس والشؤم .

وقد جاء الإسلام ليحارب هذه الأفكار الظالمة الهادمة للمجتمع
فنفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن المرأة أن تكون مصدرا
للشؤم . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : لا شؤم . وقد
يكون اليمن فى ثلاثة : فى المرأة والفرس والمسكن !! (رواه
ابن ماجه) .

وجاء رجل الى أم المؤمنين عائشة فقال سمعت أبا هريرة
يقول : ان رسول الله قال : الشؤم فى ثلاثة فى المرأة ، والفرس
والمسكن !! فقالت من توها :

« لم يحفظ أبو هريرة لانه دخل ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « قاتل الله اليهود ، يقولون الشؤم فى ثلاثة فى

« المرأة والفرس والمسكن ٩٩ » فسمع آخر الحديث ولم يسمع
أوله (١) (لأبي داود رواه أحمد) .

وفي الدول الراقية والناهضة في عصرنا الحديث ينظرون الى
الزوجة الحامل نظرة اجلال واحترام ، ويعتبرون مجرد حملها
لجنيها جهادا في سبيل الوطن ومساهمة منها في قوته واعلاء شأنه
باضافة مواطن جديد ، فنراهم يوسعون لها الطريق قبل غيرها
ويعطونها مقاعدهم في المواصلات ويفسحون لها في الزحام ، وقد
سبق الاسلام كل هذه الاتجاهات في تقديره للزوجة الحامل .
فرسول الله يقول :

« ان المسلمة اذا حملت لها اجر القائم الصائم المحرم المجاهد
في سبيل الله فاذا وضعت فان لها من اول رضة اجر حياة نسمة »
(لأبي يعلى) (٢) .

ويقول أيضا :

« ان للمرأة في حملها الى وضعها الى فصالها من الاجر
كالمثسحط في سبيل الله فان هلك فيما بين ذلك فلها اجر شهيد »
« عن ابن عمر » (٣) .

هذه هي نظرة الاسلام الى الزواج ، نظرة التشجيع والاكبار
والاحترام وهي نظرة تؤيدها جميع العلوم الانسانية في عصرنا
الحديث اذ تعتبر أن الزواج هو بداية المرحلة الفعالة والمنتجة في
حياة كل انسان وأن الانسان لكي ينجح في حياته العامة فلا بد أن
ينجح أولا في الحياة الخاصة أي الحياة الزوجية .

(١) المطالب العالية بالزوائد الثمانية من ٢، ٧ باب شؤون المرأة

(٢) ، (٣) المصود السابق

فعلم الاجتماع يعتبره ضرورة لبناء المجتمع السليم المنتج
المتعاون على الخير والمودة والخلق الكريم .

وعلم الاقتصاد يعتبره ضرورة للاستقرار في العمل والانتاج
المادى والفكرى .

وعلم الطب يعتبره الخطوة الأساسية نحو حياة جنسية سليمة
خالية من الأمراض النفسية والذهنية والتناسلية ولانجاب نسل
صحي سليم .

ومن هنا فقد وضع الاسلام قواعد دقيقة ومتطورة لاختيار
الزوجة ، فلم يهمل في هذا الأمر الناحية العاطفية والانسجام الروحي
ولم يغفل أهمية التعارف والتفاهم قبل الزواج ، واهتم بالعوامل
الاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية في اختيار الزوجة ثم اهتم بعد
هذا كله بالنواحي الطبية والجنسية والوراثية .

وسوف نشرح كل واحدة من هذه الحقائق وخاصة موضوع
الحب والاختلاط وآداب الخطوبة .

٥ - الاسلام وعاطفة الحب

بسم الله الرحمن الرحيم

« وجعل بينكم مودة ورحمة »

(الروم - ٢١)

الاسلام وعاطفة الحب

يدعى كثير من أعداء الاسلام أنه دين شهوة • وأنه قد اهتم
فى تشريعاته للزواج بالجانب الجنسى وحده • وهذا جهل كبير
بحقيقة هذا الدين • فالاسلام كدين عملى وواقعى قد اهتم بالحب بين
الرجل والمرأة • بل لقد اعتبره شرطاً لاقامة الحياة الزوجية من
بدايتها ثم شرطاً لاستمرارها ودوامها • ولذلك حث المسلم والمسلمة
على الالتقاء وتدقيق النظر والتعارف قبل الاقدام على الزواج
لاستكشاف عواطفهما ومتاعرهما • كما نهى المسلم أن ينظر الى
المادة والمال أو حتى الى الحسب والنسب فى زواجه أو أن يجعلها
فى المكان الأول لاختيار الزوجة ، بل أمره أن ينظر الى المحبة
والمودة أولاً ، فرسول الله يقول : « تزوجوا الودود الودود » ومعنى
الودود التى تشعركم بالود والمحبة ، والله تعالى يصف الحب فيقول :
« وجعل بينكم مودة ورحمة » ويقول أيضاً : « وجعل منها زوجها
ليستكن اليها » (الأعراف - ١٨٩) •

فهذه التعبيرات الاسلامية • المودة والرحمة - والسكن والود •
هى كناية عما نسميه فى عصرنا الحاضر بالحب العاطفى والانسجام
الروحي والفكرى • ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الحب
الروحي فيقول :

« الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف » •

ويقول صلى الله عليه وسلم : « اذا تماسك الزوجان بأيديهما سقطت ذنوبهما من بين أيديهما » .

وكان رسول الله لا يخفى حبه لزوجته عائشة فقد سئل : « أى الناس أحب اليك يا رسول الله » فقال : « عائشة » فقيل ومن من الرجال » : قال : أبوها (متفق عليه) .

ورغم عدله المطلق بين زوجاته فى كل ما يستطيعه ويقسمه فقد كانت عائشة أحب نسائه الى قلبه وكان يقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » (رواه الخمسة) .

كان بعض الآباء فى الجاهلية اذا علم ان ابنته تحب شابا رفض تزويجها له ، وقد نهى الاسلام عن ذلك وأمر بتزويج المحبين والجمع بينهما فى الحلال ، وعدم التفريق بينهما بسبب التقاليد أو الطمع فى المال والجاه أو غيره فقد روى عن ابن عباس : « جاء جماعة الى الرسول قائلين يا رسول الله عندنا يتيمة جاءها حاطبان مؤسر ومفسر ونحن نهوى المؤسر وهى تهوى المفسر فأيهما نزوجها » فقال رسول الله : « لم ير للمتحابين مثل التزويج » وقضى أن تتزوج بمن تحبه . (أخرجه مسلم وابن ماجة والنسائي) .

والاسلام هو الدين الوحيد الذى يعتبر الحب والوفاق شرطا لاستمرار الحياة الزوجية .

- كانت جميلة بنت عبد الله لا تحب زوجها الصعابى الجليل ثابت بن قيس فجاءت رسول الله قائلة :

« يا رسول الله . لا أنا ولا ثابت يجمع رأسى ورأسه شئ . .
والله ما أعتبه فى دين ولا خلق ولكنى أكره الكفر فى الاسلام . .
وما أطيقه بغضا . . انى رفعت جانب الغباء فرأيتنه أقبل فى عدة من الرجال فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها » .

فقال الرسول : أتردين عليه حديثه قالت : أردتها وأزيد
عليها ! قال : أما الزيادة فلا .. وأحل طلبها الطلاق (رواه
البخارى)

من هذا المثل نرى ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف
بالحب ويعتبر فقدان الحب مبررا لانتهاء الحياة الزوجية فى حين
أن الديانات الأخرى لا تسمح بالطلاق الا عند حدوث جريمة الزنا
فأى الحنين أفضل وأحكم ؟ الحل الذى يمنع الجريمة قبل وقوعها .
أم الحل الذى يضطر المرأة الى الزنا كى تحصل على حريتها .

ومثل آخر يرويه لنا البخارى فى صحيحه أن امرأة اسمها
بريرة طلبت الطلاق من زوجها لأنها لا تحبه ، وكان زوجها يحبها
حبا شديدا وكان بعد فراقها يمشى خلفها فى الأسواق ودموعه تسيل
على لحيته فاشفق الرسول عليه ، وقال لعمه العباس : « يا عباس
ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا ؟! ثم طلبها
الرسول وقال لها : « لو راجعته فهو أبو ولدك » فقالت فى اصرار :
« أهو أمر يا رسول الله قال : لا انما أنا شافع » قالت : لا حاجة
لى فيه ، »

وجاءت فتاة الى الرسول وقالت : « ان أبى زوجنى ابن أخيه
ليرفع بنى خسيسته » فجعل رسول الله الأمر اليها ان شاءت أقرت
ما صنع أبوها وان شاءت أبطلته . فقالت : « قد أجزت ما صنع
أبى ولكن أردت أن يعلم النساء أن ليس للأباء من الأمر شيء »
(رواه ابن ماجة وأحمد وأبو داود)

رأى فقهاء الاسلام فى الحب :

لقد كتب فقهاء الاسلام عن الحب بحرية وشجاعة فشرحوا
الحلال منه والحرام ، ومنهم من ألف كتباً كاملة أو فصولا من كتب

عن الحب . من هؤلاء ابن حزم فى كتابه طوق اليمامة ، والجوزى فى كتاب « ذم الهوى » وابن تيمية والشافعى .

وقد وصف ابن حزم الحب وعلاماته والحب من أول نظرة والحب بالمراسلة والحب المكتوم فى القلب ، كما وصف أخلاقيات الحب فى الاسلام ودواعى الكتمان ودواعى الاذاعة ، وألف ابن القيم كتابا فى الحب سماه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » تساءل فيه : هل الحب ضرورى للانسان أم يمكن العيش بدونه . ووصف حدود الحب وآدابه .

ومن روائع ما كتب عن الحب كتاب « ذم الهوى » للإمام الفاضل أبى الفرج بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ورغم عنوان الكتاب الا أنه فى الواقع يمدح الحب النظيف الحلال . فيقول فى ص ٣٠٦ : « اختلف الناس فى العشق هل هو ممدوح أم مذموم ؟ فقال قوم ممدوح لأنه لا يكون الا من لطافة الطبع ولا يقع عند جامد الطبع . ومن لم يعشق فذلك من غلظة طبعه . فهو يجلو العقول ويصفى الأذهان ما لم يفرط فيه فاذا أفرط عاد سما قاتلا . وقال آخرون مذموم لانه يستعبد العاشق .

قلت : وفصل الحكم : أما المحبة والود والميل الى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يذم ولا يعدم ذلك الا الحبيس من الأشخاص .

وأما العشق الذى يزيد على حد الميل والمحبة ويصرف صاحبه عن مقتضى الحكمة فهو مذموم ، وقد وقع فى القسم الأول كثيرون من الأكابر ولم يكن عيبا فى حقهم .

ويستشهد الامام ابن الجوزى بالكثير من الصحابة والأئمة والعلماء ثم يقول : « سئل الامام أبو نوفل : هل يسلم أحد من العشق . قال : نعم . . الجلف الجافى الطبع الذى ليس فيه فضل

ولا عنده فهم • واما من في طبعه أدنى طرف أو معه دماثة أهل
الحجاز ورقة أهل العراق فهيهات هيهات • ثم أنشد :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فأنت وعير بالفلاة سواء
وجلس أحد الأئمة في مجلس العلم والدين ، ثم فاجأ تلاميذه
بقوله :

هل فيكم عاشق • • فهابوا وقالوا : لا • قال اعشقوا فان
العشق يطلق اللسان العيى ، ويفتح جبلة البليد والمختل • •
ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطبيب المطعم • ويدعو الى
الحركة والذكاء ، وتشرف الهمة واياكم اياكم والحرام •

كتب هذا في القرن السادس الهجرى ، ولو كتب في عصرنا
لقليل عنه تقدمى وسابق لعصره ، ولو وضع في كتب علم النفس
والتربية الحديثة في أوروبا لقليل علم حديث ومتطور واستحق
كاتبه شهادة علمية رفيعة ولكنه من تراثنا الاسلامى القديم جدا •

٦ - الاختلاط أو فرص التعارف بين الجنسين

« انا خلقناكم من ذكر واثني وجعلناكم شعوباً
وقبائل لتعارفوا »

الاختلاط أو فرص التعارف بين الجنسين قبل الزواج

يختلف الناس من حيث سلوكهم الاجتماعى باختلاف بيئتهم وتعليمهم وثقافتهم ٠٠ وفى عصور التخلف التى مرت بها الأمة الإسلامية تحت الحكم التركى ثم الاستعمار البريطانى والفرنسى ٠ كانت نسبة الأمية فى العالم الإسلامى أكثر من ٩٠ ٪ بين الطبقة المتوسطة التى تمثل العمود الفقرى لأى أمة من الأمم ٠

وبطبيعة الأمور فإن حاجات الإنسان الأسمى من الحياة تكون مثله بسيطة وبدائية ٠ وكانت أقصى متطلبات الرجل من الزوجة أن تكون معيلاً للتفريغ والانجذاب ٠ وكان يكفيه لاختيار شريكة حياته أن يرسل الخاطبة أو إحدى قريباته لترأها وتقوم بعملية كشف هيئة نيابة عنه ٠ وبعض الأمهات الحريصات كن يدققن فى الكشف على الفتاة ٠ فتشد شعرها لتتأكد أنه ليس مستعاراً ٠٠ وتتحسس صدرها لتتأكد أن الثدي طبيعى وليس حشواً ٠٠ وقد تعطيها بعض المكسرات لتأكلها حتى تطمئن إلى سلامة أسنانها ٠٠

وبناء على هذا التقرير والكشف تتقدم أسرة الرجل إلى أسرة الفتاة ليخطبها ٠٠ وفى مثل هذه الأحوال تكون العلاقة بين الأسرتين هى العامل الحاسم فى الزواج ٠٠ لأن الصلات الاجتماعية بين الأسرتين أقوى من الصلة بين الخاطبين ٠ وإذا لم يحب الشاب خطيبته فمن الصعب عليه أن يتراجع حتى لا تتورط الأسرتان فى خلافات بسببه ٠

وكثيرا ما نسمع عن أجدادنا قصصا غريبة عن حياتهم الزوجية .. كان الرجل لا يأكل الطعام مع زوجته .. ولا يستشيرها فى أمر من أموره أو يسمح لها أن تدلى برأى فى أى قضية تخصه . وكان يقضى أوقات فراغه فى المقهى مع أصحابه يداعبهم ويلطفهم ويتشاور معهم ، فإذا عاد الى البيت تغيرت سحنته ، ولبس قناع الجد والعبوس حتى يحفظ هيئته أمام زوجته وأولاده .

واليوم تغير أسلوب الحياة فى القرن العشرين . ولم تعد العلاقة الجنسية هى الرابط الوحيد بين الزوج والزوجة . لقد تعلم الشباب والفتيات .. ووصلوا الى أقصى مراحل العلم والثقافة .. وكلما ارتقى الانسان بفكره وثقافته .. كلما كانت مطالبه فى الزوجة أكثر من مسألة التفرغ والتفرغ .. انه يريد لها شريك حياة بالمعنى العصري الكامل .. يريد لها أن تكون صديقا يملأ عليه وقت فراغه . ونذا كفوا يستشيريه فى كل قضايا حياته .. ويقضى اليه بأسراره .. وعاملة فى المجتمع ورفيقا فى الجهاد .. ومعينا على كسب العيش .. وأهم من هذا كله يريد أن يكون بينه وبين زوجته انسجام روحى وانسجام ذهنى ..

والسؤال الهام الذى يفرض نفسه الآن هو : هل يصلح الأسلوب القديم فى اختيار الزوجة ، والذى كان يتبعه أجدادنا فى القرن الثامن عشر والثاسع عشر !! هل يصلح أساسا لبناء الأسرة فى القرن العشرين ؟ ..

هل يكفى رأى الخاطبة الجاهلة .. أو الأم العجوز فى اختيار شريك الحياة لشباب متعلم يعمل طبيبا أو مهندسا أو عالما باحثا .. هذه هى القضية التى يعانى منها شباب اليوم بسبب حرمانه من فرص التعارف والاختلاط وبالتالى حرمانه حق حرية الارادة وحرية الاختيار .. وقد يقول قائل : ان فترة الخطوبة تكفى لكى يعرف الخاطب كل شئ عن خطيبته .. ولذلك فلا حاجة الى التعارف

والاختلاط قبل الخطوبة . ورغم أن هذا الرأي ساذج وخاطئ
إلا أننا كثيرا ما نسمعه وخاصة من المتعصبين الذين يختلط عليهم
الأمور بين التقاليد الموروثة وبين تعاليم الدين .

فالمفروض منطقيا أن الخطوبة تأتي بعد التعارف والاختبار
وليست البداية . فالإنسان يخطب الفتاة التي عرفها وفضلها عن
غيرها من كل معارفه من الجنس الآخر . وأحسن نحوها بالميل
والألفة والتقدير والانسجام . وما فترة الخطوبة إلا نوع من التأكيد
عن قرب مع الالتزام الأدبي أمام اجتماع .

إن الإنسان في الظروف الطبيعية قد يعرف أكثر من مائة
فتاة . وقد يلتقي بالآلاف النساء . ولكنه لا يشعر بالميل إلا إلى
واحدة بالذات من كل هؤلاء . واحدة فقط يشعر أنها تكمل
نصفه الآخر .

ويديهي أنه لا يكفيه معرفتها أن يسأل الناس عن أهلها
ودينها وخلقها وجمالها قبل أن يتقدم لخطبتها . فهناك شروط
أعمق بكثير من هذه المظاهر السطحية والأولية . قد تكون الفتاة
من أعرق الأسر حسبا ونسبا . وقد تكون جميلة ومتعلمة وحسنة
السمعة والخلق . ولكن هل هذا يكفي لبناء حياة زوجية .

ماذا يفعل لو تقدم لخطبتها على هذا الأساس ثم اكتشف أنه
لا يميل إليها . ولا يستطيع أن يحبها . أو اكتشف عيبا في
طبيعتها وطبيعتها لا يستطيع أن يطيقه أو يتعايش معه .

— قد يكون أحدهما مرهبا الحبس رقيق المشاعر ، بينما
الأخر متبلد الطبع غليظ المعاملة .

— قد يكون أحدهما عميق الفكر محبا للثقافة والعلم ، بينما
الأخر نافة أو ساذج يعيش على هامش الحياة

كل هذه الأمور لا يمكن اكتشافها الا بعد عشرة طويلة وزمالة
ومعرفة عن قرب ٠٠ ولا يكفى فيها رأى الناس وكلامهم ٠٠ ولو
تركنا هذا لفترة الخطوبة لكان واجبا على كل شاب أن يخطب مائة
مرة الى أن يوفق فى اختيار الزوجة المناسبة ٠

والاسلام لا يحرم مثل هذا الاختلاط النظيف العفيف الهادف ٠
ولكنه يمنع الخلوة ٠٠ ونظرا لأهمية قضية الاختلاط فى المجتمع
الاسلامى ولكثرة الجدل حولها فقد رأيت أن أفرد لها كتابا مستقلا
بعنوان « الاختلاط فى الدين والعلم » ٠ نشرح فيه الضوابط التى
وضعها الاسلام للتعارف واللقاء بين الجنسين وكيف كان المجتمع
الاسلامى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ٠
ثم نشرح رأى علم الاجتماع الحديث فى هذه القضية الحيوية ٠

المهم أن نؤكد فى هذه العجالة ٠٠ أن حرية اختيار الزوج
حق انسانى لكل فتى وفتاة ٠٠٠ وأن المجتمع الذى يحرم الانسان
من هذا الحق ٠٠ انما يحرمه من آدميته وانسانيته ٠٠ وأن الدين
لم يأمر بذلك ولا يرضى به ٠٠ ولكنها التقاليد الباطلة التى ورثها
المجتمع عن مرحلة التخلف ٠٠ وأنا اذا أردنا بناء مجتمع سليم
وأسرة قوية البنيان ٠٠ لا تنفك عراها بالطلاق أو تعدد الزوجات
بعد فترة قصيرة من بنائها ٠٠ فلا بد من اثابة الفرصة للجنسين
لحرية اختيار شريك حياته ٠٠

وحبذا لو يتم هذا التعارف عن طريق وقور ٠٠ وتحت أعين
المجتمع ورعايته ٠٠ بدلا من أن يتم كنوع من السرقة بعيدا عن
الأهل والأقارب وفى خفية من أعين الناس ٠ فلا بأس أن يتم التعارف
عن طريق الصداقات العائلية أو عن طريق الزمالة فى دور التعليم
٠٠ والجامعات ٠٠ أو عن طريق الزمالة فى العمل ٠

فبهذه الطريقة سيكون لهذا التعارف واللقاء حرمة ووقار
ونتأجه الطيبة ٠٠

٧ - الخطوبة واختيار الزوجة في الاسلام

حديث شريف

« تغيروا لنطفكم .. فانكحوا الاكفاء

وانكحوا اليهم »

(رواء الحاكم والبيهقي)

الخطوبة واختيار الزوجة في الاسلام

لقد وضع الاسلام للخطوبة آداباً راسخة وتقاليد أخلاقية رفيعة .

١ - وأولها أن لا يخطب الرجل على خطبة أخيه إذا كانت خطبة شرعية ومعلنة وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المؤمن أخو المؤمن فلا يحل له أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر » (رواه مسلم وأحمد) وأسوأ من هذا من يفسد امرأة على زوجها ويحثها على الطلاق ليتزوجها فالرسول يقول : « ليس منا من خبى امرأة على زوجها »

٢ - وقد نهى الاسلام عن غش الخاطب أو خداعه باخفاء عيوب خطيبته أو عيوب أهلها عنه . . . وكذلك بالنسبة للشباب عليه أن لا يخفى عيوبه عن من يتقدم لخطبتها فرسول الله يقول :

« من غشنا فليس منا » . .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت :

« جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان لى ابنة عريسا أصابتها الحصبة فتمرق شعرها فأصله فنهاها الرسول وقال لها :

« لعن الله الواصلة والمستوصلة » (رواه مسلم) .

ومعنى الحديث أن الفتاة قد أصيبت بالحصبة في طفولتها فسقط شعرها ولما أصبحت في سن الزواج وجاءها الخطاب أرادت أمها أن تخفى عيبها فنهاها الرسول عن ذلك لأنه غش للخطاب .

٣ - أوجب الاسلام على الشباب المسلم أن ينظر بنفسه الى المرأة التي يريد أن يتزوجها نظيرة فاحص مدقق حتى لا يفاجا بما لا يرضاه بعد الزواج . . كما نهاه عن الاكتفاء بكلام الناس أو ارسال أهله وأقاربه أو خاطبة لرؤية الفتاة التي ستكون شريكة حياته كما كان يفعل الناس في الجاهلية .

روى البخاري أن المغيرة بن شعبة جاء الى رسول الله وقال له : « انه قد خطب فتاة من الأنصار » فقال له الرسول : هل نظرت اليها . فقال الصحابي : لا . فقال الرسول : « اذهب فانظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » ويقول المغيرة فذهبت الى أهل الفتاة وأخبرتهم بقول رسول الله فكأنهم كرهوا ذلك لانه لم يكن من تقاليد العرب في الجاهلية ، ولكن الفتاة سمعته فخرجت من خبائها وقالت له : ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر فانظر والا فأنشدك » .

كانها أعظمت ذلك . قال : فنظرت اليها فتزوجتها » (رواه الخمسة) .

ومعنى أن يؤدم بينكما أن تعيشا في وفاق ومحبة لا أن تكتشف عيوبها بعد الزواج ثم تطلقها . . وقد بلغ من حرص الرسول على تنبيه الخطاب الى العيوب التي قد يجدها في فتاته فيقول لأحدهم :

« اذهب فانظر اليها فان في عيون الأنصار شيئا » . .

(رواه مسلم والنسائي) التاج ٣١٧/٢

وقد توسع الاسلام فى اباحة النظر لمن يريد أن يتزوج بحيث
سمح له أن يرى منها أى شىء يغريه بنكاحها واشتهاها فيقول
الرسول :

« اذا خطب أحدكم المرأة فقدّر أن ينظر منها بعض ما يدعوه
الى نكاحها فليفعل » وجاء فى رواية أخرى قوله : « وان كانت
لا تعلم » .

(رواه أبو داود والشافعى : التاج ٣١٧/٢)

وقد فسرها بعض فقهاء الاسلام بالاذن له أن يراها فى الصورة
التي تظهر بها فى بيتها لذوى المحرم كامها وأبيها أى بغير الحجاب
الذى يخفى الشعر والذراعين . وقال بعضهم بجواز النظر الى
جميع البدن والى لحم بدنها .

ويروى أن الخليفة عمر بن الخطاب خطب الى على بن أبى طالب
ابنته أم كلثوم فاتفقا على أن يرسلها الى عمر لتوصل اليه هدية دون
أن تدري بشىء . . وأمر على ببرد « ثوب » فطواه وقال لابنته انطلقى
بهذا الى أمير المؤمنين فقولى له .

أرسلنى أبى بهذا البرد اليك فان رضيت به فامسكه (أى
احتفظ به) وان سخطته فرده . فتطلع اليها عمر وأخذ يحدثها . .
ثم قال لها « بارك الله فيك وفى أبيك قد رضينا » فعادت الى أبيها
متعجبة وقالت : ما نشر البرد وما نظر الا الى أنا . وهكذا زوجه
اياها بعد اذنها (١) (عيون الأخبار) .

وتذكر تلك المراجع أن عمر بن الخطاب فاجأها بأن كشف عن
ساقيهما ليراهما فقالت له : « لولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينيك »

(١) فقه السنة ج٩ ص ٥٤ طبعة دار البيان الكويت سنة ١٩٦٨ م .

وبديهي أن عمر بن الخطاب (١) العالم الفقيه ما كان يفعل ذلك
لولا علمه أنه رخصة من الله في هذه الحالة .

٤ - وكما أذن الاسلام للرجل أن يتزوج بمن يحبها ويرضاها
من النساء فقد أعطى المرأة أيضا هذا الحق . . . وأوجب على ولي
أمرها استئذانها في زواجها سواء كانت بكرا أم ثيبا صغيرة في
السن أم كبيرة . . . ويشترط الحصول على رضاها بغير ضغط
ولا إكراه (كما كان يفعل أهل الجاهلية وبعض الأسر الجاهلة في
عصرنا الحاضر) فإذا أكرهت على ذلك اعتبر الزواج باطلا في شرع
الله . . .

فقد جاء في البخاري أن الخنساء بنت جذام جاءت إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالت : يا رسول الله . . ان أبي تعدي
على وزوجني بمن لا أرضاه . . فقال لها الرسول : فهل تجيزين
ما صنع أبوك ؟

قالت : ما لي رغبة فيما صنع أبي .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا لا تكاح له . .
فانكحي من شئت » .

وكان أبوها قد جاءه ابن عمها ففضله على الشاب الذي تحبه
وهو لبابة بن المنذر ففضى الرسول بطلاقها من ابن عمها الذي
لا تحبه وزوجها أبا لبابة (رواه البخاري وابن ماجه) .

وهذا هو الامام بن القيم الجوزي المتوفى سنة ١١٣٥ م
يتحدث عن حق المرأة في الاسلام فيقول :

« ان البكر العاقل الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من

(١) المرجع السابق .

ملكها الا برضاها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه بدون رضاها
 .. ومعلوم أن اخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من
 تزويجها بمن لا تختاره بغير رضاها ، .

فتصور أن الفقه الاسلامي منذ ١٤ قرنا من الزمان ينص على
 حق المرأة في اختيار الزوج الذي تحبه وتفضله ويعتبر تزويجها
 بغير رضاها باطلا في حين أن بعض الآباء في القرن العشرين ما زال
 يزوج بناته بغير رضاهن ويجبرهن على ذلك ..

٥ - ولكي يحفظ الاسلام للزواج قدسيته ويصونه من العبث
 فقد نهى المسلم نهيا قاطعا عن اللهو واللعب بكلمة الزواج .. وإذا
 وعد المسلم فتاة بالزواج منها فليس من حقه أن يتراجع أو يتهرب
 بحجة أنه كان يقصد اللعب والمزاح وأكثر من هذا إذا كان الرجل
 متزوجا ثم تفوه بكلمة الطلاق فليس من حقه أن يتراجع بحجة انه
 كان يمزح .. وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة ليس فيهن لعب .. من تكلم بشيء منهن لاعبا فقد
 وجب عليه : الطلاق والعتاق والنكاح » (متفق عليه) .

٦ - الزواج بالبكر والثيب :

ويحث رسول الله الشباب المسلم على التزوج بالشابة البكر
 وذلك بهدف مكافحة العنوسة بين البنات .. وفي ذلك يقول
 الرسول :

« عليكم بالأبكار فانهن أكثر حبا وأقل صخباً » (رواه مسلم) .

ويقول لصاحبه : الا من بكر تداعبها وتداعبك » . وفي رواية
 أخرى تضاحكها وتضاحكك وقيل أيضا : (فهلا بكرا تعضها
 وتعضك ، .

(أخرجه ابن ماجة ومسلم والنسائي)

وفى نفس الوقت فان الاسلام لم ينس الأيم أى التى سبق لها الزواج وطلقت أو توفى زوجها ٠٠ وشجع المسلم على زواجها وجعل ثوابه عن اعالتها وأولادها عظيما ٠٠ وقد خص القرآن الأيم بوصيته فقال تعالى : « وأنكحوا الأيامى منكم » .

ومعروف أن جميع زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ما عدا عائشة كن أيامى وأول زواج له فى شبابه كان من السيدة خديجة فكانت لديه أفضلهن ٠٠ ولم يتزوج عليها حتى ماتت ٠٠ وكان من زوجاته الأخريات من توفى عنها زوجها فى الجهاد معه ٠٠ ومنهن من كانت عجوزا مدبرة لا تصلح للرجال وهذا وحده يبين لنا أحد الأهداف النبيلة للزواج فى الاسلام .

٧ - ولا يترك الاسلام أمره بالزواج مطلقا ٠٠ فهناك من لا يقدر عليه لظروفه المادية وهؤلاء يقول الله تعالى لهم :

« وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » .

ورسول الله يقول : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له خير وجاء » وذلك لأن الصوم يكسر من شدة الغريزة الجنسية (رواه مسلم)

٨ - ولكى ييسر الله على المعسرين بالزواج فقد أمر الاسلام المسلمة الكريمة أن لا تنظر الى المادة فى تزويج بناتها وأبنائها بل ينظرون أولا الى الدين والخلق وفى ذلك يقول تعالى : « ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » .

والرسول يقول : « اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنه فى الأرض وفساد عريض » (رواه الترمذى) .

ويقول : « تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » (أخرجه الحمسة الا الترمذى) .

٩ - العوامل الوراثية :

يبحث الاسلام على مراعاة العوامل الوراثية فى اختيار الزوجة . . وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » (رواه ابن ماجة) .

ويقول أيضا : « تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا اليهم » (رواه الحاكم والبيهقى) .

١ - ومن وسائل الحيلة وحسن الاختيار اجراء الفحص الطبى قبل الزواج : وهو يشمل عمل الأشعة على الصدر لاستبعاد السسل . . وفحص الدم لعامل روسوس (R.H.) وللزهرى ، والسكر وفحص المنى للحوية أو العقم . وغير ذلك من الفحوصات الحيوية التى يجب أن لا يتهاون الزوجان المسلمان فى اجرائها حتى تنشأ حياتهما على غير غش ولا خديعة .

٢ - وقد اكتشف علم الوراثة أن الكثير من الأمراض والعاهات ينتقل الى الأبناء من جيل الى جيل . . ومن هذه الأمراض الكثير من الأمراض العقلية كالشيزوفرنيا كما لوحظ أن مرض السكر يسرى فى عائلات معينة وكذلك الزهرى الوراثى ومرض نزيف الدم (Haemophilia) والتشنجات العصبية .

وكثير من العاهات الجسمية ينتقل بالوراثة ومنها الحول والصلع وقصر النظر الشديد واللعثمة فى الكلام وعمى الألوان .

٣ - وقد أثبت العلم أن الكثير من الأمراض الأخلاقية أيضا يمكن أن ينتقل بالوراثة : ومن هذه الأمراض ادمان المخدرات وادمان

الحمر ومنها اللواط والانحرافات الجنسية ومنها الميل الى الشر والاجرام . ويعمل الطب هذه الأمراض بأنها ترجع الى اضطراب في الهرمونات ولهذا السبب قد تنتقل بالوراثة . وفي هذا يقول رسول الله :

« اياكم وخضراء الدمن .. فانها تلد مثل ابيها وعمها وخالها » .

قالوا ما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الجميلة في منبت السوء » .

(رواه الدار قطنى والواقدي)

٤ - وقد حرم الاسلام زواج الأخوة في الرضاعة اذا زادت الرضعات عن عشر رضعات لأن هذا يجعل الأخوة مثل أخوة الدم وزواج الأخوة ينتج نسلا ضعيفا وقد يكون مشوها .

٥ - ويكره الاسلام زواج الأقارب وفي ذلك يقول عمر رضي الله عنه : « لا تزوجوا الأقارب فتضووا » أى يضعف نسلكم ..

وقد ثبت في علم الوراثة أنه كلما زادت صلات القرابة العائلية بين الزوجين كلما زاد احتمال انتقال عيوبهما الجسمية والخلقية الى الأولاد .

وفي نفس الوقت فكلما بعدت صلات الدم بينهما فان انتاجهما تظهر فيه الحسنات دون السيئات .. مثال ذلك اذا كان الأب أحول والأم قصيرة النظر فان أطفالهما يجمعون بين الحول وقصر النظر اذا كان الزوجان على صلة قرابة قوية أما اذا بعدت صلات الدم بينهما وخاصة اذا كان كل من الزوجين من جنس مختلف (كأن يكون الأب عربيا والأم أجنبية) فان الأطفال غالبا ما ينجون من ظهور العاهتين .

٦ - وقد نهى الاسلام عن ثلاثة أنواع من النساء :

(أ) المجنونة لأنها لا تحتل المسؤولية وقد تورث الجنون لأولادها .

(ب) المريضة مرضا مزمنيا ومعديا ولا يرجى الشفاء منه كالجدام والبرص .

(ج) والعفلاء أى التى فى جهازها التناسلى عاهة خلقية تمنع النكاح والخلفة .

وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أربع لا يجزن فى النكاح المجنونة والمجنومة والبرصاء والعفلاء » . (أخرجه مالك)

وجاء فى السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج من امرأة من غفار فلما خلا بها وجد بكشعها بياضا فأمرها أن تجمع عليها ثيابها ثم ردها الى أهلها . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« ايما امرأة غر رجل بها جنون أو جذام أو برص فلها المهر أصاب منها وصادق الرجل من غره » (أخرجه مالك) .

٧ - ومما ينسب الى فقهاء الاسلام قولهم : -

« لا تتزوج شهبره ولا نهبره ولا هندره ولا هبزره » والشهبره هى الزرقاء البدينة والنهيرة الطويلة المهزولة والهندرة العجوز المدبرة والهبره القصيرة الدميمة .

٨ - وأخيرا فان رسول الله يصف للمسلم المؤمن الزوجة
المتالية فيقول صلى الله عليه وسلم :

« ما استفاد المؤمن بعه تقوى الله خيرا من زوجة صالحة ان
أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته وان أقسم عليها أبرته وان
غاب عنها حفظته في نفسها وماله » • (متفق عليه) •

٨ - النكاح الصحيح في الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

« نساؤكم حرث لكم

فانوا حرثكم انى شئتم »

(البقرة - ٢٢٣)

النكاح المصحى فى الاسلام

فى مطلع هذا الفصل من الكتاب بينا كيف اهتم الاسلام بتثقيف أبنائه ثقافة جنسية سليمة وكاملة ٠٠ ثم تناولنا القواعد العامة التى وضعها الاسلام لاختيار الزوجة وبناء الأسرة ٠ وهنا نبحث كيف وضع الاسلام للعلاقة الجنسية منهجا ونظاما دقيقا يسبق به أحدث النظريات والدراسات العلمية فى القرن العشرين ٠

ولا شك أن اهتمام الاسلام بالعلاقة الجنسية يرجع الى دورها الخطير فى استقرار الأسرة وسعادتها وفى تجنبها المشاكل والعقد والأمراض اذا أحسن استخدامها ٠٠ وهذه هى بعض تعاليم الاسلام فى هذا الباب :

١ - فالمذاهب السابقة للإسلام كانت تنظر الى هذه العلاقة على انها نجس وخبث وشر لا بد منه مهما كانت فى الحلال ٠ فجاء الاسلام بعكس ذلك ورفع من شأن العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته واعتبرها حسنة تكتب له فى الآخرة وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« ما من رجل يأخذ بيد زوجته يراودها الا كتب الله تعالى له حسنة فان عاقبها فعشر حسنة فان أتاها كان خيرا من الدنيا وما فيها » ٠

- وسمع رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« وفى بضع أحدكم صدقة » فقال يا رسول الله يأتى أحدنا

شهوته ثم تكون له صدقة « قال الرسول : نعم : أرأيتم لو وضعها في حرام لكان عليه بها وزر . فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر » . (رِوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ) .

٢ - ومن أول تعاليم الاسلام في هذا المجال مراعاة المحبة والوافق العاطفي بين الشريكين كشرط لاقامة علاقة جنسية سليمة ودائمة . . فبغير هذا التعاطف والمحبة تنقلب نعمة الجنس الى نقمة . . وقد استنكر رسول الله على الذي يسيء معاملة زوجته ثم بعد ذلك يدعوها الى فراشه فيقول :

« يظل أحدكم يضرب زوجته ضرب العبيد ثم يدعوها الى فراشه فيقبلها ويعانقها ولا يستحي » . (أخرجه ابن ماجه) .

٣ - ويأمر الاسلام الرجل أن يتجمل لزوجته كما يحب منها أن تتجمل له . . وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اغسلوا ثيابكم . وخذوا من شعوركم واستاكوا ، وتنظفوا فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » .
ومن أقوال فقهاء المسلمين في ذلك :

« هيئة الرجل للمرأة مما يزيد في عفتها » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب التجمل في منظره وملبسه في غير خيلاء ولا اسراف .

ويوصي أصحابه بقوله : « أحسنوا ركابكم حتى تكونوا شامة في الناس » .

٤ - وفي نفس الوقت فان الاسلام يوصي الرجل المسلم بالاهتمام بزيينة زوجته ومظهرها وان يأتي لها بخير ما يستطيع من

الملبس حتى تبدو جميلة في عينه فلا ينصرف عنها الى غيرها ، وقد روت السيدة عائشة عن رسول الله قوله :

« النساء لعب الرجال فليزين الرجل لعبته ما استطاع فان ذلك أدعى لشهوته وأملؤ لعينه » .

٥ - وحرصا من الاسلام على بقاء الجاذبية بين الرجل والمرأة فقد نهى كلا من الجنسين عن التشبه بالجنس الآخر سواء في ملبسه أو في أخلاقه وتصرفاته .. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (رواه البخارى) .

والقصد من ذلك أن تظل لكل من الجنسين شخصيته المستقلة وجاذبيته نحو الجنس الآخر .. هذا علاوة على مكافحة التخنث واللواط في الرجال ومكافحة الاسترجال في النساء .

٥ - ومعظم كتب التربية الجنسية الحديثة تنهى بأن يباشر الرجل زوجته دون أن يسبق ذلك ملاطفة عاطفية وتمهيد جنسى .. وتقرر أن الكثير من الزوجات تصاب بالبرود الجنسي والأمراض النفسية والعصبية لأن الزوج لا يفهم هذه الحقيقة أو يعطيها حقها . وقد سبق الاسلام الى تقرير هذه القاعدة العلمية .

فالاسلام يعتبر الرجل الذى يفغل هذه الحقيقة كأنه بهيمة لا يحس ولا يدرك مشاعر غيره وفي هذا يقول رسول الله :

« لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول » .

قيل وما الرسول يا رسول الله . قال : « القبله والكلام » .

وعن جابر « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة

قبل المداعبة » ولم يكن رسول الله يقصر ملاطفته لزوجاته قبل المباشرة فحسب ولكنه كان دائم الملاطفة والملاعبة لهن في كل وقت حتى وهو ذاهب الى الصلاة وكان يقبلهن ويداعبهن وهو صائم وفي ذلك تقول السيدة عائشة :

(كان رسول الله ينال منى القبلة بعد الوضوء ثم لا يعيد وضوءه) .

٦ - وتذكر كتب التربية الجنسية أن الزوجين عليهما أن ينوعا من الأوضاع الجنسية حتى تأخذ العملية الجنسية طابع التغيير والتجديد وحتى لا يمل أحد الزوجين من الآخر . وقد جاء بعض الصحابة يسألون رسول الله في الأوضاع المختلفة التي تتبعها الشعوب الأخرى كاليهود والفرس فنزلت آيات القرآن تبيح لهم اختيار الوضع الذي يشاءونه بغير قيود أو حدود فيقول تعالى :

« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » . .

٧ - وبفضل الصراحة والروح العلمية التي واجه بها الاسلام المسائل الجنسية فقد كان الصحابة يأتون الى رسول الله يسألونه في أخرج أمور الجنس وهو يجيبهم بغير استنكار ولا استخفاف . . فكانوا يسألونه عن تقبيل الفرج وعن الاستمتاع بالنظر اليه .

عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله انى لأحب أن أنظر الى عورة امرأتى ولا ترى منى (أى أحب أن أنظر اليها ولا تنظر الى) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ولم ذلك . . ان الله جعلك لباسا لها وجعلها لباسا لك . . وأنا أرى ذلك من أهلى ويرويه منى) (المطالب الغالية ج ٢ ص ٢٩) . (رواه الطبراني والترمذى) .

٨ - ويحرم الاسلام الشذوذ الجنسى مع المرأة أى اتيانها في الدبر بل تؤتى في المكان الطبيعى الذى جعله الله للنسل والتناسل وفى هذا تقول الآية : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ويقول الرسول : « استحيوا من الله ولا تأتوا النساء فى أدبارهن » (رواه ابن ماجه والترمذى) ولا يقتصر ضرر هذا الشذوذ على منع النسل فحسب بل انه يشمل جميع الأضرار التى من أجلها حرمت اللواطه فى الطب والعرف والدين فعلاوة على الأذى النفسى للمرأة فانه يحدث تشققا فى الشرج والتهابات شديدة . أما الرجل فقد يصاب فى مجرى البول بالتهابات وغالبا يصعد الميكروب الى البروستاتا وقد يسبب له العقم وذلك لأن الشرج ملئ بالميكروبات التى لا يوجد مثلها فى باب الرحم (المهبل) كما وان الرجل قد يأخذ هذه الميكروبات لكى ينقلها بدوره الى رحم المرأة وقد يصيبها هى بالعقم .

٩ - ويأمر الاسلام الرجل أن يتلطف بالزوجة أثناء انجماعة وأن يعمل على اشباعها جنسيا . . وأن يجتهد ألا يقضى حاجته قبل حاجتها وإذا سبقها فليحاول الصبر حتى تأخذ دورها . . وفى هذا يقول الرسول :

« إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها . . ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها » .

(رواه أنس بن مالك - المطالب العالية ج ٢ ص ٣٠)

١٠ - ويحرم الاسلام على الزوجة تحريما قاطعا أن تماطل زوجها أو أن تتهرّب منه بأى عذر غير شرعى إذا دعاها الى فراشه . . وذلك لان حرمان الزوج من الحياة الجنسية المنتظمة لابد أن يدفعه

دفعاً الى الكبت أو الشعور بالحرج وقد يدفعه ذلك الى الزنا والتطلع الى سواها فالزوجة في هذه الأحوال مسئولة عن انحراف زوجها . .
ولذلك كان الاسلام حاسماً كن الحسم في هذا الموقف اذ يقول رسول الله :

« والذي نفسى بيده ما من رجل يدعو زوجته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها » (البخارى ومسلم) .

١١ - وكما أمر الاسلام الزوجة أن لا تماطل زوجها أو تهجر فراشه فقد أمر الزوج أيضاً أن لا يهجر فراش زوجته ما لم يكن هذا الهجر عقاباً مقصوداً ولفترة محدودة . . وفيما عدا ذلك فلا يحق له هجرانها بحجة الانشغال بأمور الدنيا وبأمور الدين . . فان ذلك يدفع المرأة الى اهمال نفسها وحياتها وقد يدفعها الى الانحراف ان كانت صغيرة السن .

انظر الى هذه القصة الرائعة وحكم الاسلام دين الفطرة فيها :
عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أى علوها قليلة) فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وقال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبداً . . وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً . وقال آخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . . فجاء رسول الله اليهم وقال . . أنتم الذين تقولون كذا وكذا . . أما والله انى لأخشاكم الله وأتقاكم له لكننى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » (رواه البخارى ومسلم) .

وعن عائشة أن (الحولاء) زوجة الصحابي عثمان بن مظعون
جاءت تزورها وقد تغيرت أحوالها فقالت لها عائشة :

« مالك يا حولاء متغيرة اللون لا تتمشطين ولا تتطيبين » ..

فقالت الحولاء : « وكيف أتطيب وأتمشط وما وقع علي زوجي
ولا رفع عني ثوبا منذ أمد بعيد » فتضاحك نساء النبي من كلامها ..
فلما عاد رسول الله قالت عائشة :

يا رسول الله سألت الحولاء عن أمرها فقالت ما رفع عني
زوجي ثوبا منذ مدة .. فغضب رسول الله من ذلك وأرسل اليه
وقال له : ما بالك يا عثمان .. قال عثمان : اني تركته كي أتخلي
للعباداة حتى فكرت في أن أتبتل ما بقي من عمري ولو اذنت لي
يا رسول الله لاختصيت .. ؟ قال الرسول : أقسمت عليك
ألا رجعت فواقعت أهلك ..

قال : يا رسول الله اني صائم ..

قال : اذا أفطر ..

فقام عثمان طائعا واتى اهله ثم وقف رسول الله وخطب في
الناس في مسجده قائلا :

« ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والنوم .. اني انام
وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس
مني » (متفق عليه) ..

وفي اليوم التالي رجعت الحولاء الى عائشة وقد اغتسلت

وامتشطت وتطابت فضحكت عائشة وقالت : ما بالك يا حواء .

فقالت : ان زوجي آتاني بالأسس ..

وهذا مثل حي على حكمة الاسلام وواقعته في المسائل الجنسية
وما يعطيها من اهتمام وتقييم .

١٢ - ويرى فقهاء الاسلام ان الرجل لا يجب أن يغيب عن زوجته فوق أربعة أشهر وهذه القصة تبين لنا العقلية المتفتحة التي ينظر بها المشرعون المسلمون الى مسألة الجنس : فبينما كان الخليفة عمر بن الخطاب يمر في إحدى جولاته بالليل اذ سمع امرأة تنشد قائلة :

تطاول هذا الليل وازور جانبه

وليس الى جنبى خليل اداعبه

فوالله لولا الله لا رب غيره

لزلزل من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياة تكفنى

وأكرم زوجي أن تنال ركايبه

وذهب عمر يسأل عن شأنها وقد همه أمرها .. فعلم أن زوجها غائب مع جنود المسلمين في الحرب .. فذهب عمر الى ابنته حفصة يسألها :

يا حفصة كم تصبر الزوجة على بعد زوجها ..

فنجلت ولم ترد .. فقال عمر :

« يا بنية .. اجيبي وانقذى أباك من عذاب اليم » ..

فقلت : « تصبر شهرين يا أمير المؤمنين .. وتجالد نفسها
بعد الثالث وتفقد صبرها بعد الشهر الرابع » .

فجمع عمر الصحابة وتشاوروا وأصدروا قرارا أن لا يغيب
محارب عن أهله أكثر من أربعة أشهر .. فانظر كيف كان لتعاليم
الاسلام والصراحة التي واجه بها مسائل الجنس المعقدة الأثر في
هذه الحلول المتفتحة للمشاكل وانظر الى حكمة عمر في أنه لم يسأل
زوجته في هذا الشأن بل ذهب الى ابنته الشابة الحديثة العهد
بالزواج لكي يسألها ..

ومن تعاليم الاسلام الى الرجل المسلم انه اذا رأى امرأة ووقع
في نفسه الإعجاب بها والرغبة بها فعليه أن يذهب الى امرأته فيواقعها
فان ذلك يصرف عنه التعلق بالأخرى وفي ذلك يقول الرسول صلى
الله عليه وسلم : « اذا أحدهم أعجبته المرأة فوقع في قلبه فليعمد
الى امرأته فليواقعها فان ذلك يرد ما في نفسه » (رواه مسلم) .
وفي هذا ما يبين لنا مدى واقعية الاسلام في معالجته لمشاكل
الجنس .

العادة السرية فى رأى الدين والعلم

لابد لنا هنا من وقفة صريحة فى قضية العادة السرية حيث اختلفت فيها الآراء الى الحد الذى يحدث البلبلة والاضطراب النفسى والدهنى لدى المراهقين والشباب .

فبعض المربين والآباء اذا سئلوا من قبل المراهق يقولون انها شديدة الضرر بالصحة وتؤدى الى الجنون وفقدان الحيوية وضعف النظر والارتقاء الجنسى .

وبعضهم يبالغ فى العكس فيهبون الأمر ويجعله فى صورة مرغوبة ومحبة وكلا الاتجاهين غير سليم وضار .

ومن هنا كان الواجب على الآباء والمربين معرفة رأى الدين والعلم فى هذا المجال حتى لا يخرجوا عنه .

أما رأى الدين : فان العادة السرية لم يرد شئ عنها فى القرآن الكريم وكذلك لم يرد عنها شئ فى الحديث النبوى : والله تعالى يقول فى سورة الأنعام : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » فالحرام هو ما حرم فى الكتاب والسنة وحدوده واضحة ومعروفة ولا ينبغي الزيادة عليها اجتهداداً من البشر ، والملاحظ أن بعض الناس يلجأ الى الأحاديث الموضوعة والمكذوبة فى هذا المجال لتأييد رأيه . ومن ذلك قولهم « ناكح يده ملعون ويأتى يوم القيامة ويده حبلى » . وهو كلام موضوع ولا يوجد فى أى مرجع صحيح من مراجع الحديث .

والخلاصة ٠٠ أنه لا يوجد في القرآن والسنة ذكر للعادة السرية لا بالتحريم أو الإباحة .

أما رأى العلم : فتقرر الأبحاث الطبية أن العادة السرية منتشرة في أنحاء العالم بين أكثر من ٩٠٪ من الذكور و ٧٠٪ من الاناث .

• وأنها تحدث ابتداء من مرحلة المراهقة حتى سن الزواج .

الرأى الطبى انها ليست ضارة اذا حدثت بصورة معتدلة ودون أن يسبقها تهيج جنسى مفتعل وهى بذلك تصبح نوعا من تفرغ الشحنة الجنسية وإراحة الأعصاب من التوتر وهى بلا شك أهون من أضرار الزنى ٠٠

أما أضرارها فتتضمن فى الآتى :

- ١ - المبالغة والاكثار دون مبرر .
- ٢ - افتعال التهيج الجنسى عن طريق غير طبيعى كالصور والمشاهد الجنسية .
- ٣ - الشعور بالذنب وتأنيب الضمير الذى ينجم عن سوء التوجيه والارهاب المبالغ فيه .

٩ - البرود الجنسي عند المرأة المسلمة

حديث شريف

« والذى نفسى بيده ٠٠ ما من رجل يدعو زوجته الى
فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا
عليها حتى يرضى »

(رواه مسلم والبخارى)

« خير النساء الغلظة على زوجها العفيفة بفرجها »

(البخارى)

البرود الجنسي عند المرأة المسلمة

من خلال عملي منذ زمن بعيد كطبيب للأسرة المسلمة كانت تعرض على الكثير من حالات الخلاف وسوء التفاهم التي تهدد كيان الأسرة .

والكثير من هذه المشاكل اذا أهمل أو عولج بجهالة يؤدي الى الطلاق وخاصة بين الشباب الحديث عهد بالزواج .

ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن كلا الزوجين لا يستطيع البوح صراحة بالأسباب الكامنة وراء هذا الخلاف أمام الأهل والأقارب الذين يرغبون في الإصلاح والوفاق مما يجعلهم يتخبطون في الظنون والحلول . . وربما كان طبيب الأسرة أقرب الناس الى تفهم هذا الوضع وأقدرهم على التصدي للحل وخلاصة المشكلة في شكوى الزوج أن زوجته مصابة بالبرود الجنسي والعاطفي فهي لا تظهر له من عواطفها وأنوثتها ودلالها ما يشعره بأنها تبادله حبا بحب . . وشوقا بشوق . . أو أنه موضع محبة واعزاز . . ثم تأتي المسألة الأهم . . فهو يشكو من أن زوجته لا تتجاوب معه جنسيا . . فاذا طلبها الى فراشه تكاسلت أو ماطلت حتى يغلبه النوم . . وقد تخلق الأعذار الواهية مثل الكسل عن الغسل وبلل الشعر في اليوم التالي أو التعب والارهاق عن أعمال النهار . . وقد تكون الحجة أوهى من ذلك . . مثل التعلل بحراة الجو صيفا أو برودة الطقس شتاء . وحتى لو بادلته الفراش خوفا من اغضابه فانما تفعل ذلك بطريقة باردة فاترة وكأنما تؤدي واجبا مفروضا .

ويضيف الكثير من الأزواج الى ذلك عدم اهتمام الزوجة بأنوثتها وزينتها وملابسها سواء داخل البيت أو خارجه .. مما يجعله يزهد من الرغبة فيها والتطلع اليها ..

وهذه الأمور كلها لها رد فعل قاس على نفس الزوج ومعنوياته وخاصة اذا كان في مرحلة الشباب ولا بد أن يشعر بجرح في كبريائه ورجولته ..

وتزداد هذه الحالة شدة اذا كان الزوج متسدينا لا يريد أن يشعر بالفراغ الجنسي الذي يدفع غيره من الأزواج الى التطلع الى الحرام .. والنتيجة الحتمية أنه يفقد حبه لزوجته بالتدريج ..

وقد يقسو عليها أو يسبب لها المشاكل في كل صغيرة وكبيرة وتصبح الحياة بينهما مستحيلة دون أن يكون هناك سبب ظاهر أو محدد ..

وقبل أن نبدأ في ذكر الحل والعلاج يجب أن نسأل أنفسنا أولا : لماذا تصاب المرأة المسلمة بالذات بالبرود ؟

تكثر هذه الحالة في الأسر المسلمة المتدينة والمحافظه .. حيث تربي الفتاة منذ الصغر تربية فيها التخويف من الجنس الآخر .. وتمنع من الاختلاط بالشباب في كل مراحل العمر .. هذا علاوة على التعتيم على القضية الجنسية وما يزيد الأمر سوءا اذا كانت الأسرة تمارس عادة ظهور البنات .. فكل هذه الظروف تجعل البنت منذ الطفولة تخاف الجنس وتتحاشى مجرد التفكير فيه مما يصيبها في النهاية بالبرود العاطفي والجنسي .

علاج هذه الحالة :

كبداية نقول ان كل زوجين مسلمين يجب أن يعرفا جيدا أن

هذه المشكلة حالة مؤقتة وليست عاهة مستديمة ولا مرضا مزمنًا ..
وان علاجها يكمن في أمرين هامين :

أولهما : التوعية الجنسية .. وثانيهما : العلاج بالزمن ..
ولو كان العلاج بالبتير والطلاق لهدمت جميع بيوت المسلمين لأن
هذه المشكلة موجودة في أكثر الأسر المسلمة وتمثل العنصر الرئيسي
وراء كل خلاف بين الأزواج *

وكثير من الأزواج الشباب يتصور أنه لو طلق زوجته وتزوج
بأخرى فقد يتغير حظه وتكون الزوجة الجديدة أكثر استجابة لرغباته
الجنسية وأكثر حرارة في الفراش ولكنه سرعان ما يكتشف أنها
قضية عامة في أكثر النساء وأنها ليست حالة خاصة بزوجته دون
غيرها من النساء وفي أغلب الأحيان يأتي هذا الاكتشاف بعد فوات
الآوان وبعد أن يكون قد دمر زواجه الأول وجبه الأول وجرح
متاعر الزوجة الأولى وما أصدق قول الشاعر :

**نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول**

يجب على كل شاب مسلم وفتاة مسلمة أن يقرأ كتب التربية
الجنسية بعناية. ويدرسها دراسة جدية .. وبديهي أن تبدأ هذه
الدراسة قبل الزواج بوقت كاف ولكن هذا لا يمنع أن تبدأ هذه
الدراسة بعد الزواج أيضا فلا يزال في العمر متسع للدراسة مع
التطبيق العلمي على الحياة الزوجية ..

وبعد هذه المقدمة نقول ان الحلول تتوقف على ثلاثة أطراف
شركاء في هذه القضية : الأهل .. الزوج .. الزوجة ..

أولا - الأهل وتربيتهم للبنت والولد :

لقد شرحنا في هذا الكتاب موقف الإسلام من قضية التربية الجنسية للفتى والفتاة . وبيننا خطر التعقيم والتجاهل وواجب البيت والمدرسة في شرح قضايا الجنس بالتدريج بحيث تكتمل كل المعلومات قبل مرحلة المراهقة . كذلك شرحنا موقف الإسلام من قضية الاختلاط وبيننا الفرق بينه وبين الخلوة وشرحنا أهمية الاختلاط النظيف الهادي منذ الطفولة في تهيئة الفتى والفتاة لحياة زوجية سليمة خالية من العقد وفي إتاحة الفرص لكل منهما لاختيار الزوج المناسب له .

أيضا بيننا خطر عادة ظهور البنات وإن كانت هذه العادة والحمد لله قد اختفت تقريبا في الأسر المتعلمة والثقافة وقيمت في بعض الأسر القليلة الحظ من الثقافة والتعليم . هذا من ناحية التربية والتعليم . وبقي واجب الأهل وخاصة الأبوين إذا وجهوا بمشكلة مثل هذه لابنهم أو ابنتهم . يجب أن تهتم الأم بالذات بمشكلة ابنتها والأب بمشكلة ابنه . ويتكلمان بصراحة عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء خلافاتهما وعليهما أن يغوصا في أعمال المشكلة ولا يكتفيا بالمسائل السطحية التي لا يغني حلها عن الحل الجذري للسبب الأساسي وبديهي أن الحل سوف يكون بالتنوعية أساسا . ومن هنا يجب أن يكون لدى الأبوين أيضا وعي بمشاكل الشباب والا فإن فاقد الشيء لا يعطيه .

ثانيا - واجب الزوج :

كثير من الشباب في عصرنا هذا يتأثر بالأفلام السينمائية ويتصور أن الزوجة المثالية ما يراه في ممثلات السينما من حيث الأنوثة الرقيقة والعواطف الجياشة والاهتمام بزينة وملبسها . وهذا في الواقع تمثيل في تمثيل . ولا يوجد الا قلة من النساء التي

تجتمع بين مسئولية البيت وتربية الأولاد الى جانب الوظيفة اذا كانت موظفة .. ثم تستطيع بعد ذلك أن تعطي زوجها كل ما يتمناه أو يتصوره من نفسها .. فيجب على الزوج أولا أن يضع جميع هذه الاعتبارات في ذهنه حتى يعذر زوجته بعض العذر .. ولا يتصور أنها لا تحبه اذا قصرت في بعض حقوقه .

— وعليه أيضا أن يفهم أن هناك فارقا كبيرا بين الفتاة المتدينة التي تربت في ظل الدين والعبادة منذ نعومة أظفارها وبين المرأة اللعوب التي جربت الرجال وتعرف كيف ترضى أى رجل .

— والشباب المسلم مطالب أكثر من الفتاة المسلمة بالقراءة والاطلاع على كتب التربية الجنسية باعتبار أن الفتاة أكثر حياء وأقل جرأة على تداول هذه الموضوعات واذا كان جاهلا بهذه الأمور فعليه أن لا يلوم زوجته على جهلها أو تقصيرها فالتقصير مشترك وإن كان اللوم على الرجل أكبر .

— وقد ذكرنا في هذا الكتاب واجبات الزوج المسلم نحو زوجته حتى يهيئ لها حياة جنسية سليمة .. وقلنا أن عليه أن يتزين لها كما يحب أن تتزين له وأن يلتزم بالتمهيد والمداعبة قبل المباشرة .

بل عليه أن يهيئ الجو الشعاعى الهادئ كان يخرج معها في نزهة جميلة وجلسة شاعرية لا هذا مما يهيئ لها الرغبة في مبادلته العواطف والمودة . ويجب أن يساعدها في مل البيت أو يعفيها من بعض مسئولياتها الأخرى حتى ترتاح نفسيا وجسديا .. أما اذا كانت الزوجة موظفة فهذا وضع خاص يحتاج الى معاملة خاصة .. فهي تعمل مثله .. وتتعب مثله .. وتشاركه في التعاون على أعباء الحياة .. من هنا فعليه أن يكون شريكها أيضا في أعباء البيت .. وأن يدبر لها خادمة تساعد .. المهم أن يعرف الزوج الشاب

أن الاجتهاد البدنى والذهنى من أهم أسباب ضعف غريزة الجنس
عند المرأة .

ثالثا - واجب الزوجة :

يجب أن تفهم المرأة المسلمة جيدا أن التدين لا يعنى القبح
.. وأن الاحتشام لا يعنى الاسترجال .. وأن حسن العبادة لا تعنى
فقدان الأنوثة .. لقد سمعت فتاة مسلمة تقول لزميلاتنا انها لا تحب
أن تبدو جميلة حتى لا ينظر اليها الرجال .

وسمعت أخرى تفخر أمام زميلاتنا بأنها مثل الرجل فى
الخشونة وجفاء الطبع لأنها تحب أن تكون جادة دائما .. وأعرف
كثيرات من النساء اللاتى اشتهرن بالتأنق والعناية بملبسهن
وزينتهن ثم اقتنعن بالحجاب فاذا بهن يتحولن الى الاهمال فى
المظهر والملبس حتى أصبحت السيدة منهن لا تتميز عن الخدم
والسوقة .

ومن العبارات التى أصبحت شكوى عامة على لسان الكثير
من الأزواج المسلمين قولهم (أنا متزوج عسكرى) وهذا التعبير
الغريب يدل على أن الكثير من نساء المسلمين قد فهمن التدين فهما
خاطئا والتبسست عليهن معانى الفضيلة والعفة والاحتشام بمعانى
القبح والخشونة والاسترجال .

فهل يا ترى نسين وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم فى
هذا الميدان حيث يقول :

« ان الله جميل يحب الجمال » .

ويعصف الزوجة المثالية بأنها التى تسره اذا نظر ويوصى
المسلمين بالتزوج بالمرأة « الودود » أى التى تظهر المودة والملاطفة

والأنوثة لزوجها بل يوصيهم بالمرأة (الغلطة) أى التى تشتهى الرجل وتحب المجامعة والعناق . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « خبر نساءكم العلة على زوجها العفيفة بفرجها » . (رواه البخارى) .

والاسلام ينزل لعنته على المرأة المسترجلة فيقول صلى الله عليه وسلم : « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (متفق عليه) . وليس التشبه هنا قاصرا على الزى وحده . . ولكن أهم من هذا يتناول طبيعة المرأة وأنوثتها .

— يجب على المرأة المسلمة أن تعتنى بمظهرها وملبسها سواء فى البيت أو خارجه وإذا اختارت الحجاب فلتضع همها فى التائق به والعناية بلبسها ولها أن تضع الزينة فى وجهها ويديها . . دون تبرج ولا اسراف . . ولكن أيضا دون تقصير ولا اهمال . .

وأنوثة المرأة من أهم عناصر نجاح الحياة الزوجية . فالزوج لا يريد أن يتزوج امرأة مسترجلة بل يريد أن يشعر دائما بأنه موضع اهتمام زوجته ودلالها عليه ولهفتها على لقائه . فعلماء النفس يقولون ان الرجل طفل كبير . . يحب التدليل والملاطفة والاهتمام من شريكة حياته وإذا حرم من ذلك انقلب الى طفل مشاغب مخرب .

أما المرأة الموظفة فعليها أن تختار الوظيفة التى لا ترهقها كثيرا لان الاجهاد البدنى والذهنى من أهم أسباب فقدان المرأة لأنوثتها وشهوتها ويضعف رغبتها فى الجنس . . والحذر كل الحذر من الوظائف التى تستغرق معظم ساعات النهار مهما زاد راتبها لأن هذا يحطم الحياة الزوجية ويبعد الهوة بين الزوجين . وقضية عمل المرأة وساعات دوامها ليست قاصرة على المرأة المسلمة . . بل هى مشكلة عامة . . وفى أوروبا اليوم دعوة تطالب بتقليل ساعات العمل للمرأة ولو كان يتبع ذلك نقص فى أجرها وذلك

حتى يتوفر لها الجهد والطاقة لزوجها وأولادها ، وكم نتمنى لو
تتبنى الحكومات الاسلامية تشريعات بجعل ساعات العمل للمرأة
المسلمة لا تزيد عن ٤ ساعات بدلا من ٦ كل يوم وفي يقيني ان
هذا لن يؤثر على سير العمل أو يقلل من الانتاج .

كان هذا هو الجانب الأول من جوانب القضية .

بقى الجانب الأهم وهو البرود في فراش الزوجية . .

**وسوف اكتفى هنا برأى الاسلام وتعاليم الرسول صلى الله
عليه وسلم :**

فالاسلام يحرم على الزوجة تحريما قاطعا أن تماطل زوجها
أو أن تتهرب منه بأى عذر غير شرعى إذا دعاها الى فراشه . . وذلك
لأن حرمان الزوج من الحياة الجنسية المنتظمة لابد أن يدفعه دفعا
الى الكبت أو الشعور بالحرمان . وقد يدفعه ذلك الى الزنا والتطلع
الى سواها فالزوجة فى هذه الأحوال مسئولة عن انحراف زوجها . .
ولذلك كان الاسلام حاسما كل الحسم فى هذا الموقف اذ يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو زوجته الى فراشه فتأبى
عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » .
(البخارى ومسلم) .

ويقول أيضا : « لعن الله المسوفات » قيل وما المسوفات
يا رسول الله . قال : « التى اذا دعاها زوجها الى فراشه تقول سوف
أحضر سوف أفعل حتى يغلبه النوم فتبيت والملائكة تلعنها » .
(رواه الطبرانى) .

ويقول أيضا : « اذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتائه وان كانت
على التنور » . (رواه الترمذى وابن حبان والطبرانى) .

وقوله أيضا : « ثلاثة لا تقبل منهم صلاة ولا تصعد الى السماء ولا تجاوز رؤوسهم : امرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه الحدث » (رواه ابن خزيمة) •

وعن أبي عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة أن تنام حتى تعرض نفسها على زوجها » : قالوا : « وكيف تعرض نفسها على زوجها » •

قال : « تخرج ثيابها وتدخل معه في لحافه فتلزع جلودها بجلده فاذا فعلت فقد عرضت » (اسناده لأحمد بن منيع - المطالب العالية ج ٢) •

هذه هي تعاليم الاسلام الى المرأة المسلمة حفاظا على حياتها الزوجية وعلى محبة زوجها لها •

ختان المرأة عادة خطيرة على المجتمع الاسلامى والاسلام برىء منها

يتصور كثير من الجهلة والعوام ان الاسلام قد أمر بختان المرأة .. وهذا خطأ كبير فختان المرأة عادة قديمة جدا قبل ظهور الاسلام .. وقد كانت شعوب أفريقيا وآسيا يختنون النساء وبدرجات متفاوتة .. وقد وجد الختان فى موميات الفراعنة والفينيقيين .. كما أنه كان مشهورا عند عرب الجاهلية . وعندما دخلت تلك الشعوب الاسلام ظل الكثير منهم يحتفظ بعاداته القديمة ومنها الختان .. بحيث أصبحت الأجيال المتعاقبة تتصور أن هذه من تعاليم الاسلام .

ونظرا لخطر هذه العادة على المجتمع الاسلامى وعواقبها الوخيمة فسوف نشرح هنا رأى الدين ورأى الطب وعلم الاجتماع .
رأى الدين فى ختان المرأة : من المقتوع به أن الاسلام لم يأمر بختان المرأة ..

١ - ويقول فضيلة الشيخ سيد سابق فى كتابه فقه السنة :
« ان أحاديث الختان للمرأة ضعيفة لم يثبت عنها شئ » (١) .

٢ - ويقول السيد محمد رشيد رضا فى مجلة المنار : « ليس فى الختان خبر يرجع اليه ولا سنة تتبع واحتج القائلون بأنه سنة

(١) فقه السنة ج ٦ .

يحديث ورد عن أحمد والبيهقي « الختان سنة في الرجال مكرمة في النساء » . ورواه الحجاج بن أرطاة « مدلس » (٢) .
وفي رواية عن الدارمي أن وفدا من النساء جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم ان سيهن امرأة-صنعتها ختان البنات فقال لها ينهاها عن المبالغة : « لا تنهكي فانه أحظي للمرأة وأحب للبعل » (الدارمي أدب ١٦٧) وقد ضعفه الدارمي .

فهذه الأحاديث النبوية بفرض صحتها لا تأمر بالختان بل تجعله مكروها وتجعل الحف والمبالغة منهيا عنها شرعيا وسوف نشرح المغزى العلمي لقول الرسول : «أحظي للمرأة وأحب للبعل» .

ـ رأى الطب والعلم فى الختان :

من المعروف طبيا أن الأعصاب الجنسية فى المرأة تكون مركزة فى البظر Clitoris كما أن الأعصاب الجنسية للرجل تكون مركزة فى رأس الذكر فالختان كما تمارسه القابلة يعنى قطع البظر . وفى بعض الأحيان قطع جزء من الشفرة .

وهذا يعنى علميا حرمان المرأة من معظم أعصاب الحس الجنسى فهو فى تأثيره على أنوثة المرأة وعلى رغبتها فى الجنس واستجابتها له (orgasm) يشبه الى حد كبير تأثير الخصى على الرجل . فهو نوع من اهدار آدميتها والقضاء على مشاعرها وأحاسيسها . . ويصيبها بالبرود الجنسى . . وكما ذكرنا فى باب البرود الجنسى عند المرأة المسلمة فإن هذه احدى أسباب الطلاق وتفكك الأسر فى الاسلام .

ـ بقى أن نضيف الى هذه ظاهرة خطيرة منتشرة فى البلاد التى

(٢) مجلة المنار ٢٥ اكتوبر ١٩٠٤ . وقد أعيد نشره عدة مرات واستشهد به الأطباء .

تمارس عادة ختان البنات ٠٠ وهى اضطرار الرجال الى تعاطى المخدرات كالأفيون والحشيش بقصد اطالة الجماع حتى يستطيع اشباع زوجته جنسيا ٠

وقد أجمع علماء الاجتماع على أنه لا أمل فى القضاء على ظاهرة المخدرات فى العالم الاسلامى الا بعد القضاء نهائيا على ظاهرة ختان البنات ٠

— ولا ننسى أن طهارة البنات لها مضاعفات صحية وطبية أخرى غير التأثير الجنسى ٠ فالذى يمارسها قابلات جاهلات وقد يلتهب الجرح ويتلوث ٠٠ ويصل التلوث الى الرحم وقنوات المبيض وقد يسبب عقما دائما للبنات ٠٠ وكثير من القابلات بعد قطع الشفرة يأمر الفتاة بضم رجليها بشدة مما ينجم عنه التصاقا وضيق فى باب المهبل ، وهذا بدوره يسبب عسر الولادة بحيث تحتاج الفتاة الى عملية شق المهبل حتى لا يختنق الجنين أثناء الولادة ٠

وهذا قليل من كثير من أضرار هذه العادة البغيضة ٠٠ وإذا كانت مصر قد خطت خطوة قانونية بعدم الترخيص للقابلات بالطهارة فالأجدر أن يمتد هذا التشريع الى عقوبة الأبوين أو الأسرة التى تطاهر ابنتها ٠٠ وحتى لو لم يطبق هذا القانون فإن وجود القانون سوف ينبه الناس الى خطر هذه الجريمة فى حق بناتهم ٠

١٠ - النظافة الجنسية في الاسلام

« ان الله يحب التوابين ويحب

المتطهرين »

(البقرة - ٢٢٢)

النظافة الجنسية في الاسلام

لقد اهتم الاسلام بنظافة الجسم عامة وأعطى كل عضو حقه من الاهتمام ابتداء من شعر الرأس حتى أطراف القدمين ثم أعطى الأعضاء التناسلية اهتماما خاصا باعتبارها أكثر الأعضاء تعرضا للتلوث والمرض فمن تعاليم الاسلام في هذا المجال ما يأتي :

١ - الاستنجاء :

أي غسيل السبيلين بالماء بعد التبول والتغوط وعدم الاكتفاء باستعمال الورق الجاف كما هو الحال في أوروبا وكثير من البلاد غير الإسلامية . . . وتقضى السنة باستعمال الماء أولا لازالة النجاسة ثم يجفف البلل من الماء بشيء طاهر جاف ولو كان ورقة (وقيل أن يعرف الورق كان الناس يستعملون حجرا جافا اذا كانوا في الفلاة) .

وفي هذا يقول رسول الله : « تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه » . (متفق عليه) . ومعنى التنزه هو التطهر والاستنجاء .

ولهذه العادة الكثير من الفوائد الصحية وخصوصا في حالة المرض : ففي مرض السكر أو البول السكري يحتوى بول المريض على كمية كبيرة من السكر ، فاذا تركت آثار البول على العضو بعد التبول يجعله عرضة للالتهابات والتقيح ثم تنتقل الميكروبات الى

مجرى البول فتسبب التهابه وكثيرا ما تنتقل هذه الميكروبات الى الزوجة عند الجماع فتسبب لها التهاب الفرج والرحم وقد يؤدي الى العقم .

ويشمل الاستنجاء غسل الشرج أيضا بالماء ثم تجفيفه بالورق وتظهر أهمية هذه العادة أيضا عند إصابة الشخص بالطفيليات والديدان فهناك مثلا ديدان (الاكسورس) وهى ديدان صغيرة تخرج بكميات كبيرة مع البراز ، فاذا لم تنظف الشرج جيدا فان هذه الديدان تستطيع أن تعيش حول فتحة الشرج على بقايا البراز وتتكاثر فى هذه المنطقة محدثة التهابا شديدا فى الجلد ثم تنتقل بويضات الديدان الى السراويل والملابس والأيدى فتعدى الشخص السليم أثناء الأكل . . وهذه الديدان وكثير غيرها لا يجدى معها المسح بالورق وحده بل لايد من استعمال الماء ثم المسح بالورق .

ومن حكم الاسلام الرائعة فى هذا المجال ان المسلم لا يستنجى (أى يغسل دبره أو قبله) بيده اليمنى بل يجب أن يكون ذلك بيده اليسرى لأن اليد اليمنى لتناول الطعام والسلام على الناس فيجب أن لا تكون عرضة للميكروبات . وفى هذا تقول السيدة عائشة : « ان الرسول كان يأكل بيمينه ويسلم بيمينه أما الاستنجاء فبيساره » . وفى عصرنا الحاضر أصبحت الشطافة التى يندفع منها الماء بقوة تغنى عن استعمال اليد فى الاستنجاء وهى لازمة فى كل بيت مسلم .

٢ - الختان للرجال :

وذلك لقول رسول الله :

« أربع من الفطرة الختان وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الابط » . (أخرجه الستة) .

وقد شرع الختان في اليهودية والاسلام والختان كثير من الفوائد الصحية والجنسية :

١ - فهو يمنع الأقذار عن الذكر . . لان هذه الأقذار تتجمع تحت القلفة وتصبح بيئة لتوالد الميكروبات والروائح الكريهة .

٢ - ويقلل الختان من احتمالات اصابة الذكر بمرض الزهري حيث ثبت أن ميكروب هذا المرض يتخير القلفة بالذات للنمو بها .

٣ - كما أن القلفة نفسها كثيرا ما تتعرض أثناء الاحتكاك والمجاعة للتسلخ والجروح ثم تصبح عرضة للالتهاب .

٤ - كذلك ثبت أن الختان يقلل من امكانية اصابة الذكر بالأورام الحميدة والسرطان بأنواعه .

٥ - ومن أهم فوائد الختان للرجل هو مساعدته على الاطالة أثناء المجاعة وتعليل ذلك أن المنطقة الأكثر حساسية في العضو الذكرى هي الرأس ففيها تتركز خلايا الجنس والأعصاب وعند وجود القلفة حول الرأس فانها تمنع عنه الاحتكاك الخارجى مما يجعل الذكر شديد الحساسية عند أى تلامس . أما اذا قصت القلفة وأزيلت من حول الرأس فان هذا الجزء الحساس يصبح أقل حساسية بسبب احتكاكه الدائم بالملابس مما يفقد الخلايا العصبية جزءا كبيرا من حساسيتها ، ولهذا فان الختان يجعل الرجل أكثر قدرة على الاطالة فى المجاعة .

ومرة أخرى نؤكد على أن أمر الاسلام بالختان قاصر على الرجال فقط ولا يتناول النساء (اقرأ موضوع ختان المرأة) .

٤ - ويحرم الاسلام المباشرة أثناء الحيض :

وفى ذلك يقول تعالى :

« ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله • ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » •• (البقرة - ٢٢٢) ولهذا الامر أكثر من حكمة طبية وجنسية :

(أ) وفى فترة الحيض يفرز جسم المرأة هرمونا يختلف عن الذى يفرزه فى الفترة العادية •• وهذا الهرمون يجعل المرأة فى حالة نفسية ومعنوية غير عادية وبعض النساء يصاب فى هذه الفترة باضطرابات عصبية وتكون كارهة للمجامعة وفى تركها فى هذه الفترة احترام لمشاعرها وظروفها •

(ب) وفى هذه المرحلة أيضا تكون أعضاء المرأة التناسلية كالرحم والمبيض والبطر فى حالة احتقان شديد وهذا يجعلها عرضة للجراح الصغيرة والتسلخات غير المرئية أثناء المجامعة وقد يسبب ذلك دخول الميكروبات التى تسبب التهابات ينجم عنها العقم •

(ج) أما بالنسبة للرجل فانه قد يصاب بالالتهابات لأن الدم النازل من الرحم يعتبر فاسدا وهو مزرعة للميكروبات التى قد تصيب مجرى البول •

ولكن الاسلام رغم نهيه القاطع عن الجماع فى فترة الحيض فهو ينهى الرجل عن مقاطعة المرأة واهمالها •• وعندما نزلت الآية فى قوله تعالى :

« ولا تقربوهن حتى يطهرن » ••

ظن بعض الصحابة أن معناها مقاطعة الزوجات وعدم لمسهن

أو مشاركتهن الفراش .. وقد نهاهم الرسول عن ذلك فقد كان الرسول يقبل زوجاته ويلطفهن ويداعبنهن وينام معهن في نفس الفراش ونفس الثوب أثناء الحيض .

جاء الصحابي الجليل (مسروق) الى عائشة رضى الله عنها في منزل النبي فقال : السلام على النبي وأهل بيته .. فقالت عائشة ... أبو عائشة ؟ مرحبا . قال : أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي قالت : انما أنا أمك وأنت ابني .. قال ما للرجل من امرأته وهي حائض .. قالت : كل شيء الا فرجها .. والاسلام في ذلك يسبق أحدث أساليب التربية الجنسية الحديثة .. ففي فترة الحيض تكون المرأة شديدة الحساسية .. ورغم كراهيتها للمجمعة فهي تكون أشد حاجة للاطفة الزوج وتعاطفه معها .. فان هذا يرفع معنوياتها ويسرى عنها فما أحكم الاسلام وتعاليمه .

٥ - الطهارة بعد المباشرة :

والقصد بالطهارة غسيل جميع أعضاء الجسم أى الاستحمام وليس القصد من الاستحمام هنا هو النظافة وحدها . فقد يكون الانسان نظيفا قبل الجمعة ولكن من المعروف طبيا أن الانسان بعد الجمعة يفرز جسمه كمية كبيرة من مادة الادرينالين .. وهذه المادة تفتح مسام الجلد وتنشط غدد العرق للافراز فتظهر للانسان رائحة خاصة تكون عادة كريهة .. وأكثر الناس لا يحسون برائحة عرقهم ولكن غيرهم يحس بها في الحال خاصة اذا تلامس الجسمان كما في العلاقة الجنسية .

ولهذا السبب فقد سن الاسلام الطهارة قبل المعاودة الجنسية أيضا وفي ذلك يقول الرسول :

إذا جامع أحدكم وأراد أن يعاود فعله بالطهارة فان ذلك أنشط . (صحيح مسلم) .

ومعنى هذا الحديث أن الرجل إذا أراد أن يعاود المجامعة مرة أخرى بعد الأولى مباشرة فيحسن به أن يستحم قبل الثانية . فهذا الاستحمام يعيد له نشاطه ويزيل عنه رائحة عرقه ويجعله فى أحسن حالاته النفسية والجنسية .

٦ - والى جانب الاستحمام بعد المباشرة فإن الاسلام يأمر بغسيل الأعضاء الجنسية أى (الاستنجاء) بعد المباشرة لمن يريد النوم بدون طهارة ويحسن أن يكون ذلك بعد العملية الجنسية مباشرة . . . ولهذا الأمر فائدة طبية كبيرة . . . فمعظم الميكروبات التى تعيش فى الأجهزة التناسلية والتى يمكن أن تنتقل من أحد الزوجين الى الآخر هى من النوع الضعيف (Delicate) الذى يمكن القضاء عليه بمجرد الغسيل بالماء قبل أن يتمكن من اختراق الجلد والأغشية المخاطية .

وقد جاء فى البخارى عن ابن عمر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيرقد أحداً وهو جنب ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : « توضأ واغسل ذكرك ثم نم » .

٧ - ويأمر الاسلام المرأة بالغسل بعد الحيض :

وذلك لقوله تعالى :

« ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله » وقد سألت بعض النسوة رسول الله عن غسل المحيض فشرحه قائلاً : « تتخذ احداً كن ماءها وسدرتها فتطهر فتتحسن الطهور ثم تصب الماء أعلى رأسها فتدلكه دلماً شديداً حتى يبلغ شئون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها » فسألت احداًهن وكيف تطهر بها ؟ قال : « سبحان الله

تطهرى بها » ٠٠ فقالت عائشة تزيدها شرحا : « تتبعى أثر الدم »
(رواه مسلم)

ومعنى هذا الحديث غسل الجسم كله غسلا جيدا ثم غسل
الفرج والمهبل أيضا من الداخل لازالة ما بقى فيه من آثار الدم حتى
لا يكون مرتعا للميكروبات ثم تطيب المهبل بوضع قطن معقم له
رائحة طيبة فيه حتى يزول كل أثر لدم الحيض .

٨ - ويحرم الاسلام الزنا تحريما قاطعا :

وحقيقة أن جميع الشرائع والقوانين تحرمه ٠٠ ولكن الاسلام
ينفرد بأنه جاء بأشد العقوبات وأكثرها ردعا فى هذا المجال الى
جانب أنه قد هيا للمسلم كل السبل ليعيش حياة جنسية سليمة
وكاملة فلا يحتاج الى الانحراف أو الزنا . فسمح له بتعدد الزوجات
وسمح له بالطلاق وسوف نأتى الى فائدة الطلاق والتعدد وأثرهما
فى منع الزنا . ومن الناحية العلمية فإن أضرار الزنا نوعان : أضرار
اجتماعية وأخرى صحية فهو يؤدى الى تحطيم الأسر وموت الإخلاص
والثقة والترابط العائلى ٠٠ كما يؤدى الى جرائم العرض والشرف والى
ظهور الاتجار بالجنس والرقيق الأبيض وأخيرا يؤدى الى اختلاط
الأنساب والأطفال غير الشرعيين وكثيرا ما يحدث فى أوروبا أن
يتزوج الرجل امرأة ثم يكتشف بعد الزواج أنها أخته من أبيه وأمه
عن طريق الزنا ولم يكن يعلم ذلك .

أما الأضرار الطبية : فهى انتشار الأمراض التناسلية عامة
كالزهرى الحاد والزهرى الوراثى ومرض السيلان والعقم الجنسى .
وأخيرا مرض الايدز القاتل الذى انتشر هذه الأيام .

٩ - ويحرم الاسلام الشلوذ الجنسى واللواط : وقد ذكرنا أضرارهما
الصحية . وقد لوحظ أن مرض الايدز ظهر أول أمره بين
الشواذ .

١١ - الحكمة الطبية فى تشريع الطلاق وتعدد الزوجات

حديث شريف

« أبغض الحلال عند الله الطلاق »

(متفق عليه)

الطب الوقائى

الحكمة الطبية فى تشريع الطلاق وتعدد الزوجات

لقد تحدث علماء المسلمين كثيرا عن حكمة الاسلام فى السماح بالطلاق وتعدد الزوجات وكان تركيز أكثر الباحثين على النواحي الأخلاقية والاجتماعية التى أوجبت هذه التشريعات . وفى هذا البحث نركز على الأسباب الطبية والجنسية التى تحتم إباحة الطلاق أو التعدد كحل صحى لكثير من المشاكل التى قد تنشأ فى الحياة الزوجية .

أولا - اختلاف الطبيعة الجنسية للرجل والمرأة :

فالمعروف أن الرغبة الجنسية والقدرة عليها تختلف من إنسان إلى آخر اختلافاً بينا ، ويتوقف هذا الاختلاف على كمية الهرمونات التى تفرزها الغدد الجنسية . فمن الناس من يحب المباشرة الجنسية مرة أو مرتين فى اليوم الواحد وإذا حرم من هذه الرغبة أصيب بالضغط العصبى والشعور بالحرمان .

ومن الناس من لا يستطيع بطبيعته المباشرة الجنسية أكثر من مرة أو مرتين فى الشهر كله .

ومن الجنسين أيضاً من يستجيب جهازه العصبى منذ اللحظات الأولى للمباشرة ومنهم من لا يستجيب إلا بعد فترة تغيب طويلة ومنهم العاطفى الذى يحتاج بشدة إلى العواطف والتقبيل

والتجهيد قبل المباشرة ومنهم البهيمى الذى لا يحس بالعاطفة أو يرغب فيها حتى أثناء المباشرة .

ولسنا نقول هنا ان هذه الأسباب والتناقضات فى طبيعة أى من الزوجين تبرر الطلاق أو تبرر تعدد الزوجات . فكتيرا ما تعالج بعض هذه الحالات بالتثقيف الجنى حتى يتلاءم كل من الزوجين مع طبيعة الآخر . وقد تعالج بالأدوية المهدئة أو المنبهة اذا لم تكن الحالة مزمنة أو مستعصية ولكن هناك بعض الحالات تفشل فيها كل هذه العلاجات ويصبح من المحال على أحد الزوجين الاستمرار على هذا الوضع بل يصبح اجباره على الاستمرار فيه ضد طبيعته باعثا له على الانحراف والزنا أو يحدث له اضطرابات عصبية وعقد عصبية وكثيرا ما تعرض على الأطباء حالات متناقضة وشديدة التباين . زوجة شديدة الشبق والشهوة ، وزوج ضعيف الانتصاب أو سريع الانزال أو زوج شديد الشهوة ، وزوجة شديدة البرود وكثير من هذه الزوجات المتناقضة تستطيع التوفيق والتواءم سواء بالأدوية والعلاج أو بتقديم بعض التنازلات .

ولكن يجب أن نعرف أن الكثير منها ينتهى بأحد أمرين : ام الطلاق أو الانحراف والزنا .

ثانيا - العقم فى المرأة أو الرجل :

والعقم الذى نتحدث عنه هنا ليس العقم المؤقت أو العقم الذى يمكن علاجه بالأدوية أو العمليات الجراحية أو بأى وسيلة طبية . ولكن هناك حالات يعجز الطب والعلم أمامها . وأغلب حالات العقم (٧٠ ٪) تكون فى النساء فى حين انها فى الرجال (٣٠ ٪) فقط . وفى هذه الحالات يصبح الخيار أمام الزوجين ان شاء أن يعيشا بغير أطفال عن رضى ، وان شاء أن يتزوج الرجل بامرأة

ثانية (اذا كان العقم من الزوجة فقط) لتجنب له الأطفال • وكثيرا ما يتم ذلك عن تراض ووافق بين الزوجين ودون أن يكون سببا فى المشاكل والضغائن بل غالبا ما يكون باختيار الزوجة نفسها وتشجيعها • وهذا بلا شك حل انساني ومنطقي لمشكلة لا مفر من مواجهتها بأسلوب واقعى ، أما اذا كان العقم من الزوج فان طلاق الزوجة عن تراض ووافق (اذا أرادت) وزواجها من آخر قد يكون حلا مرضيا •

ثالثا - حالات المرض المزمن :

الذى يعوق أحد الزوجين عن أداء وظيفته الزوجية ومن هذا الارتخاء الجنسي المزمن عند الرجل وقد ينشأ الارتخاء عن إصابة أو مرض فى العمود الفقرى وقد ينشأ عن تلف أو مرض فى الغدة النخامية وقد يحدث فى مرض السكر المتقدم والالتهابات المزمنة فى الجهاز التناسلى كالسيلان والسل والزهرى المتقدم وبعض الأورام الخبيثة والأمراض التى تصيب الأعصاب ، ومن هذه الأمراض المزمنة أيضا الجنون والسل الذى لا يشفى والجذام والشلل والسرطان • وجميع الأديان متفقة على أن الارتخاء الجنسي يبيح الطلاق ولكن الاسلام هو الوحيد الذى يبيح الطلاق للأمراض الأخرى كالجنون والجذام والبرص وبديهي أن هذه الحالات تسرى على الرجل كما تسرى على المرأة •

ولسنا نقصد من هذه الأمثلة ان أى الزوجين اذا أصابه مرض ميئوس منه بعد زواجه كان معنى ذلك أن يتخلى عنه شريك حياته ويشركه بغير رعاية ولكن الله قد شرع تعدد الزوجات لمثل هذه الحالات بحيث تبقى الزوجة المريضة فى كنف زوجها يرعاها • وفى نفس الوقت لا تحرم الزوج الحياة الطبيعية كأي انسان سليم • فهذا خير من أن نترك المشكلة بدون حل •

وهنا قد يقول قائل : ماذا يكون الحل الاسلامي اذا أصاب المرض الزوج وكانت الزوجة شابة سليمة ، وكثيرا ما يتساءل بعض الأوروبيين لماذا لا تكون هناك مساواة فتعطي المرأة نفس الحق الذي تعطيه للرجل أى تعطيها الحق فى تعدد الأزواج ونرد على ذلك فنقول : ان تعدد الأزواج ما هو الا زنا والزنا قد حرّمته جميع الشرائع وليس الاسلام وحده ، ولكن الشرع قد أباح للزوجة فى هذه الأحوال أن تطلب الطلاق اذا أرادت لكى تبدأ حياة زوجية جديدة . كما أحل لها أن تصبر على حظها فى الدنيا اذا أرادت . ولكنه لا يحل لها بأى حال من الأحوال الانحراف أو الزنا بحل ثالث كما هو متبع فى المجتمعات الأوروبية .

ثالثا - الأمراض الموروثة فى الدم :

وهي الأمراض التى ينقلها أحد الزوجين الى أولادهما ، فهذه حالات يكون كل من الزوجين سليما وخاليا من الأمراض ولكنه يحمل فى نطفته أحد العوامل الوراثية التى تنتقل الى أبنائه فتقتلهم وهم أجنة فى الرحم أو اذا ولدوا ظهرت عليهم هذه العاهة المستديمة مدى حياتهم وقد تقتلهم . وبعض هذه الأمراض الوراثية لا تظهر فى الطفل الا اذا كان السخل موجودا فى نطفة الأب وبويضة الأم كليهما معا . واذا ما تزوج كل منهما شخصا آخر بعيدا عن الأسرة أمكن أن ينجب أطفالا أصحاء وهذه الظاهرة العلمية هي ما يسمى بالصفات الوراثية المتنحية .

ونستعرض هنا بعض الأمراض الوراثية على سبيل المثال

لا الحصر :

(أ) مرض أنيميا البحر المتوسط *Thalassemia* وفى هذا المرض يكون الأب والأم سليمين ولكن جميع أطفالهما يصابون بتكسر سريع فى كرات الدم الحمراء مما يسبب لهم فقر دم شديد

بحيث يحتاجون الى عملية نقل دم كامل على فترات منتظمة مدى الحياة وهو مرض خطير وقاتل في كثير من الأحيان .

(ب) **مرض نزيف الدم الوراثي Hemophillia** وفي هذا المرض فان جميع الأطفال الذكور المولودين يصابون بحالة نزيف دم لأقل جرح يصابون به ، وغالبا يستمر هذا النزيف دون توقف حتى الوفاة ، وإذا عاش الطفل فان حياته تظل مهددة عند أقل خدش وهذا المرض الوراثي ينتقل في النساء فقط ولكنه يصيب أطفالهم الذكور دون الاناث . وهو قاتل ولا علاج له .

(ج) **مرض روسوس RH** وهو المسمى بمرض تكسر الدم الوراثي وينتج هذا المرض اذا كان دم الأم سلبيا لعامل روسوس وكان الزوج ايجابيا . ففي هذه الحالة ينتج دم الأم مواد مضادة لدم الجنين بحيث يتكسر دمه وهو في الرحم ويموت . واذا نجا الطفل وولد فانه يصاب بتكسر دمه بعد الولادة وبعض هؤلاء الأطفال يحتاج الى عملية نقل دم كاملة مرة كل شهر على الأقل . وقد أصبح بالامكان في العصر الحاضر تجنب أضرار هذا المرض بنوع من التطعيم للأم بعد الولادة مباشرة .

(د) وهناك مجموعة كبيرة من الأمراض التي ثبت انتقالها بالوراثة أيضا مثل مرض السكر وارتفاع الضغط وتصلب الشرايين وبعض الأمراض النفسية والعصبية كالصرع والجنون ففي هذه الحالات قد يرث الطفل الاستعداد للمرض من أبويه أو من أخواله أو أعمامه وقد تصل اليه العاهة من أجداده .

١٢ - الاسلام وتحديد النسل

حديث شريف

« اعوذ بالله من جهد البلاء .. كثرة العيال مع قلة الشيء »

(رواه النسائي)

الاسلام وتحديد النسل

قضية تحديد النسل هي احدى المشاكل الاجتماعية التي برزت في عصر الحضارة الحديثة مع زيادة التعداد وتغير أساليب التربية وتكاليف الحياة وأعبائها . ففي المجتمع الزراعى أو البدوى القديم حيث كان الناس يعيشون على الفطرة كانت زيادة النسل معناها يد « جديدة » تعمل فى الحقل أو فى رعى الغنم . ومعناها زيادة فى الخير وفى دخل الأسرة دون زيادة فى المسؤوليات والواجبات . وكان معدل الأسرة فى تلك العصور بين ستة الى عشرة أطفال .

أما فى عصرنا الحاضر . عصر التوسر الحضارى والعمل ذهنى . والدراسات الطويلة المعقدة ، فإن الطفل يظل عالة على أهله منذ مولده حتى تخرجه من الجامعة ، ثم مقدرته على العمل وكسب عيشه ، وهو بحاجة دائمة الى رعاية خاصة ومكثفة من أبويه .

ولا تقتصر رعاية النشء فى عصرنا الحاضر على الانفاق المادى وحده ، بحيث يقال ان الأغنياء معفون من مشكلة تحديد النسل ولكن الطفل المعاصر فى هذا المجتمع المعقد المتطور يحتاج الى رعاية نفسية ومعنوية وأخلاقية وتربوية الى جانب الرعاية المادية . ومع ذلك ، فمن الحقائق المعروفة أن الطبقة الفقيرة والقليلة الحظ من العلم هى أكثر طبقات المجتمع نسلا ، وأن الأغنياء والمتعلمين أقل انجابا .

ولعل السبب في ذلك تلك الفكرة الساذجة المنتشرة بين عوام النساء بأن أفضل وسيلة لاحتفاظ المرأة بزوجها أن (تلخمه بكثرة الأولاد) وهى تظن أن هذا سوف يزيده ارتباطا بها أو يزيده فقرا فلا يفكر في زواج جديد ، والواقع أن العكس هو الذى يحدث ، فكلما ترهلت المرأة وتشوه جسمها من كثرة الحمل ازداد اتجاه الرجل الى التفكير فى الزواج بامرأة أصغر وهنا وأفضل صحة ولياقة بدنية وإذا عجز ماليا عن اعادة زوجتين فى وقت واحد فقد يطلق زوجته الأولى ويتركها هى وأولادها تحت رحمة الأقدار .

وقد أثبتت الأبحاث الاجتماعية الحديثة أن الكثير من الأطفال والشباب المنحرفين والذين يرتكبون أبشع الجرائم الأخلاقية هم ضحية الحرمان من اهتمام الأبوين وعطفهم وتربيتهم منذ الصغر . وأن أحد الأسباب الرئيسية فى ذلك هو كثرة الأطفال ومن هنا يرى الأخصائيون الاجتماعيون أن المعدل المعقول للأطفال فى الأسرة الحديثة من اثنين الى أربعة .

الاسلام وتنظيم النسل :

والاسلام الذى اهتم بكل قضايا الأسرة المسلمة قد جاء بالتشريعات التى تصلح لكل زمان ومكان ، ولكل بيئة ومجتمع ، وهذا هو رأى الدين فى قضية تحديد النسل : لقد حجب الاسلام فى النسل وبارك الأولاد ذكورا واناثا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تزوجوا تناسلوا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » وجاءه رجل يسأله فى تزوج امرأة لا تنجب الأطفال فقال له الرسول « تزوجوا الودود الولود » أى أن الزوجة المنجبة خير من العقيم . (رواه ابن ماجه) .

ويقول أيضا : « لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فانى مكائر بكم الأمم » (رواه الطبرانى) . ولكن هذه الأحاديث تتعلق بالتشجيع

على النسل عامة ولا تتعلق بعددهم ولا بكثرتهم وهي لا تتعارض مع تحديد النسل بعدد معين .

فقضية تحديد النسل قد حسمها الاسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث سمح بالعزل (والعزل) معناه العلمى منع نطفة الرجل من الوصول الى بويضة الأنثى لاختصاصها ، وهذا أمر قد سمح به الاسلام وأجازة فقهاء الشرع لأنه لا يدخل فيه قتل ولا واد ولا اضرار بروح .

وقد كان الصحابة يلجأون الى العزل والقرآن ينزل فلا يمنعهم . وقد جاء فى الصحيحين عن جابر « كنا نعزل على عهد رسول الله قبله ذلك فلم ينهنا عنه » وفى صحيح مسلم « كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل » .

— وكانت طريقة العزل الوحيدة المعروفة فى ذلك العصر أن ينزل الرجل ماءه خارج الرحم وهي طريقة غير مضمونة ولا أكيدة فى منع الحمل اذ قد تفلت من الرجل قطرة تؤدى الى الحمل خطأ . وقد جاء فى (أصحاب السنن) فى هذا المجال أن رجلا أتى الرسول وقال : « يا رسول الله .. ان لى جارية وأنا أعزل عنها ، وأنى أكره أن تحمل وأنا أريد ما يريد الرجل .. وان اليهود تحدث أن العزل هو المؤودة الصغرى » فقال صلى الله عليه وسلم : « كذبت اليهود ، لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه » ومغزى هذا الحديث أن العزل لا يعتبر واداً وأن الشرع يبيحه كوسيلة لتحديد النسل ، علماً بأنه طريقة غير أكيدة .

ومن أهم مبررات تحديد النسل فى الاسلام الخوف من كثرة الأطفال وعدم مقدرة الأم على رعايتهم . فقد جاء فى صحيح مسلم : أن رجلاً قال للرسول صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله انى أعزل عن امرأتى » فقال صلى الله عليه وسلم : « ولم تفعل ذلك ؟ »

قال « أشفق على أولادها » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :
« لو كان ضارا لضر فارس والروم » .

ومن الأمور المكروهة في الاسلام أن تحمل المرأة أثناء فترة
الرضاعة وقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم (الغيلة) ومعناها
اللغوى الهلاك والفساد لأنه يهلك صحة الطفل الرضيع بانقطاع
حليب الأم وانشغالها عنه بالحمل الجديد . وفي ذلك يقول صلى
الله عليه وسلم : « لا تقتلوا أولادكم سرا فان الغيل يدرك الفارس
فيد عثره » . (رواه أبو داود) .

ومعروف أن مدة الرضاعة في الشرع حوالي (عامين كاملين) .
ومعنى ذلك أن الاسلام يحث على عدم الحمل قبل فوات عامين بعد
الولادة السابقة .

وقد تحدث فقهاء المسلمين عن العزل وتحديد النسل فالامام
الغزالي يبين لنا منذ عدة قرون مبررات العزل في الاسلام فجعلها
خمسة مبررات وجعل أولها الخوف على جمال المرأة أن يتشوه من
كثرة الحمل والولادة ، فانظر الى أى مدى هذا التفتح والواقعية .
وسائل العزل في العلم الحديث :

لقد توصل العلم الحديث الى عدة طرق فعالة للعزل ، فمن
ذلك اللولب الذى يوضع داخل الرحم فى مكان تعلق البويضة
بالجدار فيؤدى بطريقة ميكانيكية الى منع الحمل وهذه الطريقة
الميكانيكية كانت أيضا معروفة على عهد الرسول حيث كانت القبائل
تضع نواة أو حجرا صغيرا فى أرحام نوقها لمنعها من الحمل أثناء
السفر الطويل ، هناك أيضا الحجاب الحاجز الذى يوضع على مدخل
الرحم .

ولكن أحسن الطرق وأسلمها هى حبوب منع الحمل التى
وظيفها الرئيسية منع تكون البويضة وهناك نوع جديد من هذه

الحبوب تزرع الحبة الواحدة منه تحت الجلد فتؤدى الى منع الحمل
خمس سنوات متوالية .

وفى بعض الدول الفقيرة التى تضخمت فيها مشكلة التفجر
السكاني مثل الهند والصين يلجئون الى اجراء عملية جراحية
بسيطة للرجال وذلك بربط القنوات التى تمر بها نطفة الرجل .
وتحدث هذه العملية عمقا مؤقتا للرجل ولكنها لا تؤثر على حياته
الزوجية الطبيعية .

وفى تلك البلاد لا تحتاج العملية الى طبيب مختص ولا الى
مستشفى معين ، بل يجريها حلاق الصحة فى دكانه بعد أن يدرب
من قبل المختصين وهى لا تكلف كثيرا ، وقد يضطر الرجل الى هذه
الوسيلة اذا كانت المرأة لا تحتمل صحيا وسائل منع الحمل الأخرى
أو اذا كانت موارد الأسرة لا تسمح لشراء حبوب منع الحمل .
ويجب أن يفهم جيدا ان جميع هذه الوسائل تدخل فى باب العزل
المباح شرعا .

المبررات الطبية لتحديد النسل :

بعد أن ذكرنا المبررات الاجتماعية والاقتصادية التى تدعو الى
تحديد النسل فهناك مبررات طبية تحتم على كل أسرة مسلمة أخذ
هذا الموضوع الخطير مأخذ الجد والاهتمام مهما أتيح لها من رخاء
ويسر ، وهذه بعضها :

أولا - الخوف من تشوه النسل :

فقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن فترة الاخصاب السليم
للمرأة هى بين سن العشرين والثلاثين .

وأن المرأة التى تنجب الأطفال وهى صغيرة جدا وإيضا التى
تنجب وهى كبيرة السن يكون أطفالها عرضة للعيوب الخلقية

والوراثية ، أو عيوب في الشخصية والعقلية وقد لوحظت هذه الظاهرة في الأسر الكثيرة الانجاب حيث يكون (آخر العنقود) أقل من مستوى أخوته صحيا أو ذهنيا وقد يكون متخلفا عقليا ، ومن العاهات المنتشرة في هؤلاء الأطفال وجود ثقب في القلب أو انشقاق في الشفة والحلق أو عدم نزول الخصية ، وفي الدول المتقدمة اذا تزوجت المرأة بعد سن الخامسة والثلاثين لأى طرف كان ، يوضع حملها تحت الملاحظة الطبية الدقيقة وتعمل لها فحوصات مستمرة خوفا من ظهور عاهة في الجنين .

ثانيا - تشوه جسم المرأة واصابتها بالأمراض :

فالحمل المتكرر يستهلك صحة الأم ويسبب ترهل جسمها ويعرضها للكثير من الأمراض مثل هبوط القلب والسكر والتهاب المرارة وتضخم الكبد والدوالي ، كما أنها حتما تصاب بالسمنة والشرمل وسقوط الرحم أو انقلابه ، وكل هذه العوامل تؤدي بالتالى الى تأثير غير مباشر على صحة الجنين .

ثالثا - وهناك أمراض في الأم توجب تحديد النسل منذ البداية :

فمن ذلك اذا كانت مريضة بمرض مزمن مثل السكر ، أو مرض القلب مثل روماتزم القلب أو اضطراب النبض ، أو ارتفاع الضغط أو مرض السل ، فمثل هؤلاء النساء يحسن أن تكفى بطفل أو اثنين على الأكثر ، ومن هذه الأسباب ضيق الحوض بحيث لا تلد الا بعملية القيصرية .

كما أن هناك حالات يكون الحمل فيها خطرا على حياة الام مثل تسمم الحمل المتكرر الذى قد تكون نتيجته اما التشحية بحياة الام أو حياة الجنين لانقاذ حياة الام .

هل تحديد النسل في صالح الاسلام والمسلمين :

لقد فشلت جميع محاولات تحديد النسل في العالم الاسلامي رغم ما أنفق عليها من أموال باهظة لسبب رئيسي واحد : وهو اعتقاد الكثيرين من العوام ان تحديد النسل حرام !! وللأسف ان بعض الناس يصدر الفتاوى بغير علم ولا دراسة .

وكثيرا ما نسمع في أيامنا هذه من يقول أن الدعوة الى تحديد النسل هي دعوة مغرضة ودخيلة على المسلمين ، وأن الأعداء يصيدونها اليها لكي يقل نسل المسلمين ويتغلبوا علينا . وهذا كلام بدائي وساذج ويرفضه العقل والمنطق السليم .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه قائلا : « أعوذ بالله من جهد البلاء » قالوا : وما جهد البلاء يا رسول الله . قال : « كثرة العيال وقلة الشيء » (رواه النسائي) . وهذا ينطبق على أحوال كثير من الأسر المسلمة اليوم .

وعندما ظهر الاسلام كان تعداد المسلمين قلة بين سكان العالم، ولكن كان الفرد منهم بألف من غيرهم من الشعوب والديانات وذلك بفضل ما توفر لهم من التربية المحمدية والتعاليم القرآنية . وبهذا وحده ، وليس بالكثرة والعدد سادوا الدنيا وهزموا أعتى جيوش العالم ووصلت فتوحهم من الصين حتى الأندلس .

واليوم ، وقد أصبح تعداد المسلمين قرابة الألف مليون مسلم أى قرابة ربع سكان الكرة الأرضية ، ولكنهم فى حال من الضعف والتفكك بحيث أصبحت بلادهم محتلة وجيوشهم مقهورة وخيرات بلادهم منهوبة وأصبح ينطبق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها » قالوا : « أو من قلة فينا يومئذ يارسول الله !! » قال :

« كلا بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » • (رواه أبو داود وأحمد) •

وختاما نقول : ان القوة التي يتطلبها الاسلام لأبنائه لا تكون بالكم والعدد وانما بالكيف والتنوعية ، وان الاسلام لا يريد لأبنائه أن يكونوا غثاء كغثاء السيل • والشرية الاسلامية اذ تتطلب الكثرة انما تتطلبها قوة لا هزيلة • وعندما تصبح الكثرة على حساب الجودة فان الجودة تصبح أصلح للمسلمين من الكثرة واذا قلنا أن كل اصلاح يبدأ بالأسرة أولا ، كان لنا أن نقول ان أحد واجبات الأسرة المسلمة في العصر الحديث هو تحديد النسل بما أذن الله ورسوله به من وسائل لكي تتوفر للأبوين المسلمين الطاقة للعناية بأولادهم ولانجاب جيل جديد يربونه على نهج رسول الله وهدى القرآن •

جيل يكون الواحد فيه بألف من أعدائهم ••
ولا يكون فيه الألف بواحد ••

الإجهاض ورأى الشرع فيه

لقد نهى الاسلام عن قتل الأبناء فالله تعالى يقول :

« ولا تقتلوا أولادكم خشية اطلاق نحن نرزقهم وإياكم » ويشمل هذا الأمر الجنين الحى فى بطن أمه أو الطفل المولود الكامل الولادة . ولكن هناك أسبابا طبية وعلمية قاهرة قد تقتضى إسقاط الحمل فى أى مرحلة من مراحلها .

فمن ذلك أن تتعرض حياة الأم للخطر اذا ترك الحمل مستمرا كما فى حالة تسمم الحمل ومنها اذا ثبت أن الجنين سوف يولد مشوها بعد تعرضه لمرض معدي وهو فى بطن أمه مثل الحصبة الألمانية أو الزهري الوراثي ، ففي هذه الأحوال وبناء على رأى الطبيب المختص فإن الشريعة تأمر بارتكاب أخف الضررين والضرورات تبیح المحظورات ويؤذن للطبيب بانهاء الحمل بعد اقرار الوالدين .

متى تبعث الروح فى الجنين :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك . ثم يكون مضغة مثل ذلك . ثم ينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد » (رواه البخارى ومسلم) .

فمعنى هذا الحديث الشريف أن الروح لا تدب فى الجنين الا بعد الأربعين يوما الثالثة أى بعد ١٢٠ يوما (مائة وعشرين) أما قبل هذا التاريخ فلا يعتبر انسانا حيا ، وبناء على ذلك فقد أجاز

بعض فقهاء الاسلام اسقاط الجنين (للضرورة) اذا لم يكتمل مائة وعشرين يوما من الحمل . وهذا الرأى يتلاقى مع رأى الطب فالجنين لا يكتمل خلقه طبيا الا بعد تمام الشهر الثالث أى بعد تسعين يوما أما قبل هذا التاريخ فانه يكون نطفة فى دور التشكيل وتكون حياته حياة فسيولوجية فقط كآى خلية من خلايا الجسم ، أو مثل الحيوان المنوى الحى والبويضة الحيه .

وقد فصل الامام (*) على هذا الرأى بوضوح لا يجعل مجالا للشك . . . فى مجلس عمر تذاكر الحاضرون العزل . . فقال رجل : يزعمون أنه الموهودة الصغرى . فقال الامام على : لا تكون موهودة حتى تمر عليها الأطوار السبعة حتى تكون سلالة من طين . ثم تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تكسى لحما ثم تكون خلقا آخر . . فقال عمر : صدقت أطلال الله بقاءك .

(*) فقه السنة (باب الزواج) .

١٣ - الاسلام وطفل الأنابيب

الإسلام وطفل الأنابيب

مع تقدم العلم الحديث .. والتطور المذهل الذى أدخله الإنسان على الأجهزة والمختبرات العلمية .. فقد أصبح طفل الأنابيب حقيقة شائعة . وسوف تلعب فى المستقبل القريب دورا خطيرا وحاسما فى حياة الكثير من الأسر .. وسوف يأتى وقت ليس ببعيد حين يسأل الطفل زميله فى المدرسة فى برادة : « هل أنت صناعى أم طبيعى ؟ » أو هل أنت طفل أنابيب ؟ .. وحتما سيكون بين كل مائة طفل فى المدارس عشرة أطفال من هذا النوع اذ دلت الإحصاءات على أن نسبة العقم ١٠ ٪ بين الأسر ..

ولما كانت هذه القضية ذات علاقة مباشرة وهامة جدا بالدين والشرع وذلك لارتباطها بالأبوة والبنسوة .. وعلاقات الأسرة وتماسكها .. وقواعد الزواج والأنساب والمواثيق .. فلا بد أن يكون لنا نحن المسلمين رأى واضح فى كل صغيرة وكبيرة منها يكون مبنيا على مبادئ الشريعة الإسلامية .. وتعاليم ديننا السمحاء .

العقم فى الرجل والمرأة :

العقم أنواع عديدة .. وليست كل حالة عقم تحتاج الى العلاج بطفل الأنابيب .. فقبل اكتشاف هذه الطريقة كانت نسبة كبيرة من حالات العقم تعالج بنجاح بوسائل طبية أو بعمليات جراحية

بسيطة . ولكن العقم الذى نتحدث عنه هنا هو الذى تفشل فيه جميع الطرق العلاجية الأخرى . ليس له حل سوى طفل الأنابيب . . . ويمثل العقم فى الرجال ٤٠ ٪ من أسباب العقم كما يمثل فى النساء ٦٠ ٪ .

وأسبابه فى الرجال وجود علة فى نطفة الرجل . فقد تكون الحيوانات المنوية معدومة وغير موجودة وهو أمر نادر جدا . . . وقد تكون هناك نسبة كبيرة من هذه الحيوانات ميتة أو مشوهة . . . فإذا زادت هذه النسبة عن ٤٠ ٪ كان احتمال العقم واردا . . . وهذه الحالات أمكن التغلب عليها حديثا بواسطة طفل الأنابيب . . . اذ يؤخذ منى الرجل وتفصل عنه الحيوانات السليمة وتوضع فى الأنبوب على بويضة الزوجة لضمان حدوث التلقيح . فإذا تكون الجنين يمكن نقله الى رحم الأم مباشرة .

اما العقم فى المرأة فأهم أسبابه أحد أمرين : اما وجود انسداد فى قناة المهبلى . مما يمنع البويضة من النزول للاخصاب . واما لعل أو ضعف فى الرحم نفسه بحيث لا يتمكن الجنين من التعلق بجداره لكى يتغذى وينمو .

كيف يصنع طفل الأنابيب :

تؤخذ بويضة الأم عند تكوينها بواسطة حقنة تدخل من جدار البطن مباشرة الى قناة المهبلى . فتشفط البويضة من خلال الحقنة ثم توضع فى أنبوب (حضانة) ويطلب من الزوج اعداد عينة من السائل المنوى التى توضع على البويضة مباشرة . ويمكن مراقبة التحام الحيوان المنوى بالبويضة ثم انقسام الجنين الى خلايا متعددة تحت الميكروسكوب وبعد ٤٨ ساعة يمكن نقل هذا الجنين الى الرحم مباشرة وزرعه داخله .

وهذه هي المرحلة الحساسة جدا والتي تحتاج الى الدقة والمهارة .

الرحم الظئر : اذا وجدنا بالتجربة أن رحم الأم لا يقبل تعلق الجنين به ونموه بداخله فقد تغلب العلم الحديث على هذه بأن يزرع الجنين في رحم امرأة أخرى تتبرع لحمل هذا الجنين (سواء بأجر أو بغير أجر) ويظل الجنين في رحمها طوال مدة الحمل الطبيعية وتحدث لها جميع أعراض الحمل من وهم وإدرار الحليب وكبر الثديين وخلافه .. وفي الموعد المحدد تلد ولادة طبيعية . وقد اصطلح على تسمية هذه الحالة بالرحم الظئر ..

حكم الاسلام في طفل الأنابيب :

- بديهي أن تكوين الجنين من نطفة الأب الشرعي وبويضة الأم الشرعية أمر مقبول شرعا بإجماع آراء المشرعين والعلماء المختصين المسلمين .. وهذه قضية مسلم بها ولا جدال حولها ..

- وفي نفس الوقت فإن تكوين الجنين من نطفة أب آخر أو بويضة أم أخرى أمر مرفوض شرعا . وقد ظهرت في أوروبا الآن بنوك تحتفظ بأنواع من النطف والبويضات لعمل أجنة تحت الطلب نظير أجر معين .. وقد عارضتها الكنيسة واعتبرت الابن غير شرعي .

- ولكن القضية التي يدور حولها الخلاف بين المشرعين والأطباء هي الرحم الظئر .. فقد أفتى بعضهم أن الجنين حتى يكون شرعيا لابد أن يخرج من رحم أمه وليس من رحم امرأة أخرى . وحجتهم في ذلك قوله تعالى : « ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم » .

ويقول أصحاب هذا الرأي ان الجنين سوف يتغذى من دم امرأة أخرى .. وسوف ينمو ويتكون جسمه من عصابات جسمها .

وهذا الرأى فى نظرى خطأ ٠٠

وأول هذا الخطأ أن استعمال الآية القرآنية جاء فى غير موضعه ٠٠ فالقصد منها هو منع انتساب أحد الى غير أبويه الشرعيين ٠٠ ومنع اختلاط الأنساب فى حين أننا فى هذه الحالة نعرف عن يقين نقطة الأب وبوينة الأم الأصليين فلا اختلاط فى الأنساب ٠

وإذا كان الجنين قد زرع فى رحم امرأة أخرى غير أمه فان دور الرحم الظئر هنا هو نفس دور الحاضنة التى تغذى الطفل من لبنها أو دور الأنوبة التى ينمو الطفل فيها ويعيش فترة هامة من حياته ويتغذى تغذية صناعية ٠

والرحم الظئر ليس حالة نادرة فى قضية طفل الأنابيب بل ان نصف حالات العقم التى ذكرناها ليس لها سوى هذا الحل فكيف نحرم هذه الأسر من هذه النعمة التى تقدمها الحضارة للانسان ولا تتعارض مع نص شرعى ٠٠

ان الفتوى بالتحريم والاباحة أمر خطير جدا ولا يجب أن تلقى الفتاوى بغير علم ولا دراسة ٠٠ ويجب أن يكون الرأى الأول فى مثل هذه الأمور لرجل العلم المختص المسلم حتى لا تضيق على الناس فى حياتهم ويأسوا من دينهم ٠٠ وتضطربهم حاجة الحياة العصرية وضرورتها الملحة الى اعتبار الدين بعيدا عن الواقع ٠٠ فيتركون دينهم لأهله ويصبح هذا الدين مهجورا ٠٠

زرع المبيض آخر صيحة فى علاج العقم :

بعد التطور الهائل فى ميدان الجراحة المجهرية ٠٠ وبعد ما توصل اليه الانسان من زرع أعضاء كاملة من انسان متبرع أو من انسان حديث الوفاة الى انسان آخر فنقلوا القلب والرئة والكبد ٠٠

وبعد أن قطع طفل الأنابيب شيوطا كبيرا من النجاح ٠٠ بعد هذا كله ظهرت آخر ضيحة في علاج العقم وهي زرع المبيض وأنبوب فالوب حيث نجحت أول عملية من نوعها سنة ١٩٨٥ في مستشفى سانت لوك بأمريكا على يد الجراح المجهرى الدكتور شيرمان سيلبر . ومن المنتظر أن تعمم هذه العملية بعد نجاحها وتأخذ مكان طفل الأنابيب في علاج الكثير من أسباب العقم ٠٠

والنقطة الحساسة في هذه القضية هي كيف ننظر الى هذه القضية ٠٠

لقد قبل المشرعون عملية نقل القلب والرئة وإى عضو في الجسم للضرورة والقاذا للحياة . ولكن نقل المبيض قضية أخرى ٠٠ لأن البويضة التى تنشأ لن تكون بويضة الأم الأصلية ٠٠ والجنين الذى ينشأ فى رحمها سيكون جنين المرأة المعطية صاحبة المبيض وليس جنينها ٠٠ فاذا زرعتنا مبيض امرأة شقراء فى امرأة سوداء مصابة بالعقم فان الجنين سيكون أشقر مثل أمه ٠٠

فما هو حكم الشرع فى هذه الحالة ٠٠ أعتقد أننا يجب أن نثريث طويلا قبل أن نصدر حكما فى هذه القضية أيضا .

سابعاً ٠٠

الاسلام وتنظيم مهنة الطب العلاجي

اولا : الاسلام اول دين سماوى يحرر العلم والطب من نفوذ رجال الدين وينفى عنهم الحق المقدس فى علاج المرضى بالطبوس والصلاة ٠٠ وهو اول دين يعترف بالعلم والطب والدواء ٠٠

وقد تبدو لنا هذه مسألة بسيطة فى عصرنا الحاضر . ولكن لو درسنا ظروفها الحقيقية والتاريخية لعلمنا انها من أعظم فضائل الاسلام على الطب الحديث ٠٠ فقد كانت الأديان السابقة للاسلام لا تعترف بالطب والدواء ٠٠ وتجعل العلاج فى أيدي رجال الدين وحدهم ولا يسمح لأحد غيرهم بممارسة العلاج ٠٠ وكانت النظرية السائدة أن صلاة الايمان لها تأثير مادى على جسم المريض فتطرد من جسمه شيطان المرض ٠٠ وأن الله قد أعطى رجال الدين المقدرة على الشفاء .

وقد جاء فى انجيل متى ١٠ : وفى لوقا ٢٠ : ٩

يقول بولس : « ومن مزيته التى لا يفاضله فيها نبي ولا رسول انه أفضى بالقدرة على اتيان المعجزات والشفاء الى تلاميذه ثم جدد منحها لهم بعد قيامه من الموت وصعوده الى السماء وأورث كنيسته تلك القدرة أيضا ، » .

وجاء في رسالة جيمس اصحاح ٥ رقم ١٤ :

« أوجد بينكم شخص مريض ؟ فليدع اذن شيوخ الكنيسة
وليصلوا عليه وليدهنوه بالزيت باسم الرب » .

وفي رقم ١٥ :

« ثم ان صلاة الايمان سوف تبرىء المريض ولسوف يرفعه
الرب الى أعلا واذا كان ارتكب أوزارا فسوف تغفر له » .

لقد كتب الكثير عن فترة الحكم الشيوعى فى أوروبا فى
العصور الوسطى وما قبلها وذكر كتاب « تاريخ الطب » ان العلاج
كان فى أيدي رجال الدين وحدهم ولا يسمح لأحد غيرهم بممارسة
علاج المرضى والا اتهموا بالدجل والشعوذة والسحر وكانت الكنيسة
تأمر بحرق الأطباء والعلماء أحياء أو وضعهم على الخوازيق حتى
الموت . وفى نفس الوقت فقد كان العلاج الوحيد الذى يقدمونه
للمريض يتلخص فى ثلاثة أمور هى :

إضاءة الشموع حوله لطرد شيطان المرض وإقامة صلاة الغفران
حتى يتخلص من ذنوبه ودهن جسده بالزيت .

وذلك لأن الاعتقاد السائد عن المرض هو ان المريض قد ارتكب
ذنبا فدخله شيطان المرض وأنه اذا قوى ايمانه وتاب عن ذنوبه خرج
الشيطان من جسده .

ومن العجيب حقا أن هذه التقاليد والعقائد قد ظلت سائدة فى
أوروبا حتى عهد قريب جدا أى فى القرن التاسع عشر . وفى هذا
يقول الفيلسوف البريطانى برنارد شو فى كتابه « حيرة الأطباء »
The Doctor's Dilemma « وأبناء الطائفة الانجيلية المسيحية
يطيعون هذه التعاليم طاعة عمياء ، فكانوا يستشفون عن الأطباء
ويوكلون العلاج الى العناية الالهية لأنهم يأخذون الكتاب المقدس

ماخذ جد تام . ولم يمكن التخلص من هذا الاعتقاد الذى كان سائدا فى المسيحية فى بريطانيا حتى القرن التاسع عشر الا بسن قانون يقضى بحبس الأب الذى يموت ولده دون أن يعرضه على الطبيب بالحبس مدة ستة أشهر .

وتذكر الدكتورة سبهريد هونكة فى كتاب « فضل العرب على العالم » : « كانت العناية بالصحة والمرض فى العصور الوسطى منوطة برجال الكنيسة والأديرة . فكان الرجال المشخنون بالجراح الملهمة يضطرون الى الانتظار طويلا استعدادا للتقرب من سر الاعتراف وللإقرار بخطاياهم وذنوبهم جميعا وتناول الخبز الذى يسمونه جسد الرب قبل أن ينالوا اسعافا أوليا ويكتشفهم مأوى أو ملجأ ، وكان الكهنة يمرون على المرضى يرشونهم جميعا بالماء المقدس ويصلون عليهم . . ويأمرونهم بتصفية أمورهم الدينية والدنيوية بالاعتراف بآثامهم التى أدت الى مرضهم فاذا شفى أى من هؤلاء (لى سبب كان) جاء الى الكاهن انذى يقول له : (ها . . انك قد عوفيت فلا تخطئ مرة أخرى لئلا يصيبك ما هو أعظم) .

ثم جاء الاسلام بمفاهيم جديدة للمرض والعلاج والطب والدواء . .

١ - فاعتبر أن المرض من قضاء الله وقدره يصيب المؤمن كما يصيب الكافر ولكن المؤمن له على الصبر على البلاء وتحمله ثواب وحسنة عند الله .

٢ - ونفى أن يكون للإيمان والصلاة تأثير مادى أساسى مع عدم انكاره أثرهما فى رفع معنويات المريض .

٣ - ونفى عن رجال الدين بل عن الرسول نفسه المقدرة على الشفاء .

٤ - وحث على احترام الطب والعلم والأطباء والإستعانة بهم وبكل دواء جيد ومتطور فى الشفاء .

٥ - وأعلن أن محاولة الوقاية من المرض لا تعتبر هرباً من قدر الله بل ان الشفاء بأى وسيلة هى من قدر الله .

وعندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأقام دولته ابتداءً المرضى يطلبونه لزيارتهم حتى يتباركوا به ويشفيهم بدعائه ولكنهم فوجئوا بالرسول بعد أن دعا لهم يقول لأهل المريض: استدعوا له الطبيب .

فقالوا متعجبين : وانت تقول يا رسول الله ؟ فقال : نعم تداووا عباد الله فان الله لم ينزل داء الا انزل له دواء الا داء واحداً .

قالوا : ما هو قال الهرم (أى كبر السن) . (رواه البخارى) .

وجاء جماعة من الصحابة يسألون الرسول : يا رسول الله هل فى دواء نتعاطاه وقاية نتخذها هل تمنع هذه من قدر الله فقال صلى الله عليه وسلم : بل هى من قدر الله . (الترمذى وابن ماجه وأحمد والحاكم) .

من هنا نرى ان الاسلام كان أول دين سماوى يححر الطب والعلم من سيطرة السلطة الدينية ويكسر عنه قيود التقاليد والخرافات والأفكار التى تعوق البحث العلمى وتقيده . . . وهو أول دين يحفظ للأطباء مكانهم من الاحترام والتقدير .

ثانياً - الاسلام أول من نظم مهنة الطب العلاجى وشرع للرخص الطبية :

رأينا كيف حرر الاسلام مهنة الطب العلاجى من نفوذ رجال الدين ووضح العلاقة بين رجل العلم ورجل الدين فجعل لكل منهما مكانه واختصاصه . . . والآن لننظر كيف نظم الاسلام مهنة الطب العلاجى :

١ - فقد أمر الاسلام أنه لا يزاول مهنة الطب الا من كان له علم بها ودراية وأمر بعقوبة أى نصاب أو محتال يمتحن الطب دون شهادة واعتباره مسئولاً عن أى ضرر يصيب المريض نتيجة للعلاج الخطأ وفى ذلك يقول رسول الله : « من تطب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن » (أخرجه أبو دواد والنسائى) . فهذا الحديث نص صريح على ما يمكن أن نسميه فى عصرنا بالاجازة الطبية فمعناه أن من يعالج الناس (ولم يعلم منه طب قبل ذلك) فهو مسئول عن نتيجة عمله أمام القانون .

وبفضل هذا التشريع كان المسلمون أول من سنن قانون الرخص الطبية فى التاريخ .

٢ - وهذا الحديث النبوى يشتمل أيضاً على قاعدة أخرى لا تقل خطراً عن القاعدة الأولى وهى (مسئولية الخطأ المهني) .

فالقوانين فى عصرنا الحديث تحمى الطبيب المختص من مسئولية الخطأ المهني طالما لم يكن هناك عنصر الإهمال أو سوء القصد . وهذا هو ما يقرره نص الحديث . اذ يحدد الرسول المسئولية على من لم يعلم من الطب قبل ذلك أى من ليست لديه شهادة طبية .

٣ - ومن أهم القواعد العلمية الخطيرة التى يقررها الاسلام : أنه لا يأس أبداً من شفاء المريض . . وأنه لا يوجد فى الدنيا كلها مرض ميتوس من علاجه . . وإذا كانت هناك أمراض لم يستطع العلم علاجها حتى اليوم فذلك راجع الى قصور فى علمنا وأن علينا أن نجتهد ونبحث حتى نجد لها دواء شافياً . . وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم ينزل داء الا أنزل له دواء . . فإذا أصاب دواء الداء برأ ياذن الله » . (البخارى) .

٤ - والاسلام يشجع التخصص فى مهنة الطب حتى يتقن كل طبيب فرع تخصصه فقد كان رسول الله اذا رأى أكثر من

طبيب يزورون مريضا يسألهم : « ايكم أطب بهذا » أى ايكم أكثر تخصصا وعلميا بهذا النوع من المرض وكان اذا علم أن أحدهم أكثر دراية بالمرض قدمه على الآخرين .

٥ - ومن القواعد العلمية التى يتعلمها الأطباء ألا يبدؤوا فى علاج المريض قبل التحقق من تشخيص المرض ومعرفة أسبابه لأن العلاج فى هذه الحالات هو مجرد ازالة الأسباب . وقد نص الاسلام على هذه القاعدة أيضا . جاء الشمردل طبيب بنى نجران الى رسول الله وقال له :

« بأبى أنت وأمى ، يا رسول الله .. انى كنت الطبيب والكاهن لقومى فى الجاهلية فما يجعل لى » فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تدأوا أحدا حتى تعرف داءه » .

ثالثا - الاسلام لم يتعرض لتفاصيل العلاج :

الطب العلاجى هو فن تشخيص المرض وتقرير العلاج اللازم له سواء كان ذلك بالأدوية أى الطب الباطنى أو بالعملية أى الجراحة .

ورغم أن الاسلام كما رأينا قد وضع قواعد عريضة ووافية فى مجال الطب الوقائى فهو لم يتحدث عن العلاج ولم يأت فى القرآن أى نصيحة بتناول دواء معين لأى مرض معروف .. فالاسلام لم ينزل لعلاج المرض . والقرآن ليس كتاب طب أو صيدلة وليست هذه مهمة الأديان .. والملاحظ للأسف الشديد أن الكثير من كتاب المسلمين بدافع الحماس للاسلام وللرسول يحاول نسبة كل شئ اليه ولو كان شيئا لم يقره الرسول لنفسه كالمقدرة على شفاء المرضى أو حتى وصف الدواء لهم .. ومن الحقائق المقررة أن لكل رسول معجزته الخاصة فكما كان للمسيح عليه السلام معجزة احياء الموتى وشفاء المرضى فان معجزة محمد رسول الله عليه السلام هى المعجزة التشريعية التى ما زالت خالدة حتى يومنا هذا .

وقد حث الاسلام على احترام الطب والأطباء ٠٠ وعلى البحث عن الطبيب الفاهم واتباع تعاليمه والحرص على دوائه ٠

وكثيرا ما كان يسأل الرسول : « هل في الطب خير يا رسول الله » فيقول : « نعم أنزل الدواء الذي أنزل الداء » ٠

وكان رسول الله نفسه لا يداوى نفسه إذا مرض بل كان يستدعى الأطباء لعلاجهم وفي هذا تقول السيدة عائشة : « ان رسول الله كان يسقم لله آخر عمره فكانت تفد عليه أطباء العرب والعجم فتنعت له الانعام وكنت أعالجه بها » (رواه عروة) من هذه الحقائق نرى أن الاسلام قد وضع جميع التشريعات الوافية لتنظيم مهنة الطب واهتم بالجانب الوقائي ووضع له دستورا كاملا لأن الطب الوقائي يتناول صحة المجتمع والجمامير العريضة فهو يدخل في رسالة الأديان باعتبار أن صحة الأديان من صحة الأبدان ٠ أما الطب العلاجي فقد اكتفى الاسلام بتنظيمه وتحريره من القيود التي كانت تعوق البحث الطبى ٠ أما العلاج بالوصفات الطبية أو العمليات الجراحية فليست من عمل الدين ولا رسالته ٠

والواقع أن الاسلام قد أدى بهذا للطب الحديث أعظم خدمة ٠ فالطب العلاجي يتغير دائما باكتشاف الأدوية الجديدة والأجهزة العلمية وما كان الله ورسوله ليرضى أن يقيد أمة الاسلام والانسانية كلها بعلاج معين يلتزمون به في كل العصور فلا يتطورون ولا يجتهدون في الدراسة والبحث ولا يستفيدون من الاختراعات الحديثة ٠ أما الطب الوقائي فانه حقائق ثابتة وقواعد دائمة تصلح لكل زمان ومكان ومن هنا كان اهتمام الاسلام بها ٠

والآن قد يقول قائل ان الرسول قد وصف بعض الأدوية للمرضى مثل العسل والحجامة والحمية وهذه قد تعتبر من أبواب العلاج ٠ والواقع أن الرسول في هذه الأمور كان يعبر عن لغة

عصره فهو لم يأت في هذا بشيء جديد بل كان يعبر عن أدوية معروفة وموجودة واقتصر على النهي عن ما يضر الناس منها مثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« الشفاء في ثلاثة شربة غسل وشرطة محجم وكية نار وانهى أمتي عن الكى » وينصح الرسول بعدم الحجامة لضعاف الجسم وكبار السن لأن ذلك يزيدهم ضعفا فيقول صلى الله عليه وسلم : (اذا بلغ الرجل من أمتي الخمسين فليكل الحجامة) أى فليتركها كما أوصى بعدم التوسع فى الكى وعدم استعماله الا للضرورة القصوى اذ يقول « آخر الدواء الكى » ويقول « ولا أحب أن أكوى » ومعروف أن الحجامة والكى كانا العلاجين الرئيسيين المعروفين للإنسانية على مدى ألف عام وحتى عهد قريب لعدد كبير من الأمراض .

ومن الأوامر القاطعة التى جاء بها الاسلام فى الطب العلاجى نهيه عن العلاج بالمحرقات كالحمر لقول الرسول : « ما جعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليهم » .

ومن الطرائف التى تحضرنا فى هذا المجال ان الأطباء فى أوروبا كانوا على مدى مئات من السنين يصفون الكحول كعلاج وحيد لحالات الذبحة الصدرية (Angina) . باعتبار انه موسع للشريان التاجى للقلب وذلك قبل أن يعرف أى دواء آخر . ثم اتضح فى السنوات الأخيرة فقط أن الكحول لا يوسع شرايين القلب وليس له تأثير عليها وأن الشعور بزوال الألم هو شعور وهمى وقد يكون قاتلا وهو ناتج عن تخدير مراكز الألم فى المخ وهكذا يصدق حديث رسول الله : « ما جعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها » .

ثامننا ٠٠

الاسلام أول من جاء بالأسلوب العقائدى لخلق المجتمع الصحى

وهو أسلوب انفرد به الاسلام وحده . وكان أول من جاء به فى صلب تعاليمه ٠٠ ولم يطبقه الا الاسلام فى دولة الرسول بالمدينة ثم فى عهود الخلافة الاسلامية من بعده ٠٠ ثم نقلته الصين وبعض البلاد الشيوعية فى عصرنا هذا بنجاح مذهل وحاولت أن تنسبه الى نفسها .

ويتلخص هذا الأسلوب فى الاستفادة من تأثير العقيدة (أى عقيدة) فى نفوس الناس لاقتناعهم باتباع التعاليم الطبية والارشادات الصحية والزامهم بطاعتها طاعة مطلقة وذلك يجعلها جزءا لا يتجزأ من تعاليم هذه العقيدة .

الأسلوب العقائدى

فى مكافحة الامراض

لقد نجحت العقائد على مر العصور فى تغيير حياة الانسان تغييرا جذريا ، فكان لها فعل السحر وأتت بما يشبه المعجزات فى طرقات قياسية : بالعقائد توحدت شعوب متنافرة متفرقة وبالعقائد

بعنت النهضة واليقظة والقوة في شعوب كانت خاملة متخلفة
وانواع العقائد المعروفة اربعة :

- أولها العقيدة الدينية كاليهودية والمسيحية والاسلام
- ثم العقيدة العنصرية كالنازية والفاشية والتتارية والصهيونية..
- ثم العقيدة الاقتصادية كالشيوعية والرأسمالية
- ثم أخيرا العقيدة الوطنية

ولا شك أن أقوى العقائد جميعا كانت دائما العقيدة الدينية
لأنها لا ترتبط بالحياة الدنيا وحدها • ولكن أيضا بالحياة الأخرى
• مما يجعل معتنقيها أشد تقبلا لأوامرها وتضحية في سبيلها
وتقيدا بها •

ويعتبر الاسلام أصدق وأقوى مثل على التأثير العقائدى فى
حياة الشعوب والأفراد لأنه العقيدة الوحيدة التى نزلت منذ اللحظة
الأولى فكرا وتطبيقا وتشريعا وتنفيذا ودينا ودولة فى وقت واحد •

وقد استطاعت تعاليم الاسلام فى سنوات قليلة أن تغير كل
شئ فى حياة عرب الجزيرة البدو الرحل • وأن تجعل هؤلاء الجبهة
الجياح المتنافرين أعظم أمة عرفها التاريخ فى شتى نواحي الحياة :

اجتماعيا : أصبحوا مثلا على الوحدة والتعاون والتراحم وحسن
الخلق •

وعسكريا : أصبحوا مثلا على الشجاعة والانضباط العسكرى
وعبقرية التخطيط الحربى •

واقتصاديا : أصبحوا من أغنى الأمم وأكثرها عدالة فى
التوزيع حتى كانت أموال الزكاة والصدقة لا تجد من يحتاج إليها من
فقراء المسلمين فتد الى بيت مال المسلمين •

وفي مجالات العلوم أيضا : لقد بلغ المسلمون شأوا عظيما في العلوم الانسانية كعلوم التشريع والسياسة والحكم وعلم الاجتماع وعلوم النفس وفي علوم الدنيا كالفلك والهندسة والكيمياء .

وإذا كانت العقيدة الاسلامية قد فعلت بالناس كل هذه المعجزات فجعلتهم يبذلون ارواحهم ودماءهم وأموالهم رخيصة في سبيل نصرتها .. فكيف تفعل بهم لو طبقت أوامرها في مجال الصحة ونظافة البيئة ؟ .

لقد بينا في هذا الكتاب أن تعاليم الاسلام لم تترك بابا واحدا من أبواب الطب الوقائي الا ووضعت فيه قواعد واضحة وصريحة ومحددة . وما علينا الا أن نشرح للناس تلك الأوامر والحكمة الطبية من ورائها .. وأن نذكرهم بوجوب اتباعها وبحرمة مخالفتها .. ويومئذ سنحصل على نتائج مذهلة في مكافحة الأمراض التي تفشت في بلادنا .

فلو علم المسلم أن اهمال نظافة جسمه وملابسه حرام ومخالف للدين .

وأن القاء الزبالة في الشوارع والبيوت حرام ومخالفة لنص صريح ..

وأن عرض الطعام في المتاجر أو البيوت دون وقاية من الذباب حرام ..

وأن تلوث الطريق بالنجاسة كالبول والبراز أو الزبالة أو حتى بالقاء شوك أو عظم في طريق الناس حرام .

وأن التبول والتغوط والقاء النجاسة في الماء الذي يستعمله الناس يجلب لعنة الله والملائكة .

وأن المسلم المؤمن بالله إذا مرض بمرض معد ولو كان
الانفلونزا فعليه أن يعتزل مجالس الناس حتى لا ينقل العدوى الى
المسلمين رحمة بهم .

وإذا ظهر الوباء بأرض وكان فيها فلا يفر منها حتى لا يكون
حامل ميكروب فينقل العدوى الى البلد الآخر .

وأن المسلم المؤمن لا يزنى ولا يتعاطى الخمر ولا المغيبات حفاظا
على صحته ودينه .

كل هذا الى جانب عشرات التعاليم الوقائية والصحية التى
يأمر بها الاسلام فلو أن هذه التعاليم العقائدية الصحية نقلت الى
الناس بفهم وأمانة عن طريق مدرسى الدين فى المدارس وأئمة المساجد
فسوف يكون لها فعل السحر فى مكافحة عشرات الأمراض التى
تفتك بأممنا العربية والاسلامية وسوف نصبح فى مقدمة الأمم
فى الصحة العامة .

اثر العقائد فى السلوك الصحى

أوامر الدين أقوى من أوامر الطبيب :

فلنجعل النظافة عقيدة وسلوكا لا مجرد أوامر طبية :

من طبيعة النفس البشرية أنها تستجيب للأوامر الدينية
أكثر مما تستجيب للأوامر المدنية . . وتلتزم بتعاليم السماء أكثر
مما تلتزم بتعاليم البشر . فالعقيدة الدينية لها فى النفس مكانة
مقدسة تجعل الناس طيع أوامر الدين لا خوفا من النار والعقاب
فحسب ولكن عن محبة وتطوع وبنفس راضية ثم تقبل على تنفيذ

هذه التعاليم باخلاص واتقان ٠٠ ومهما كانت أوامر وزارة الصحة وارشادات التثقيف الصحي فلن يكون لها في نفوس الناس نفس الاستجابة والحماس للتنفيذ كما لو جاءتهم في قالب عقائدى ٠

وقد يقول قائل أن الشعوب المتخلفة وحدها هي التي تحتاج الى الاقناع عن طريق الدين والتخويف بالنار لكي تنفذ قواعد النظافة الصحية العامة ٠٠ أما الشعوب المتعلمة وذات الوعى الصحي فان أوامر الأطباء ومفتشى الصحة تغنى عن تعاليم الدين فى هذا المجال ٠

وهذا خطأ كبير ٠٠ فمشتان بين أن تكون الصحة والنظافة عقيدة وسلوكا اجتماعيا ودينيا لشعب من الشعوب وبين أن تأتي عن طاعة لأوامر الطبيب أو حتى اقتناع بفائدتها ٠٠ ولا يتوقف هذا التأثير على الشعوب المتخلفة وحدها ٠٠ ولا على الجاهل الأمل فقط ولكن النظرة الحديثة فى جميع دول العالم قد أصبحت اليوم تعطى للتربية العقائدية دورها وأهميتها فى توجيه الجماهير ٠٠ وهذا هو برنارد شو فى كتابه القيم حيرة الطبيب يقول عن تأثير الدين فى إنجلترا وإيرلندا :

« لو استطاع أحد اقناع قساوسة بلادنا أن يلقنوا رعاياهم ومريديهم أن من أكبر الكبائر وأشد الاهانات المهلكة التي يمكن أن يرتكبوها فى حق العذراء المباركة أن يضعوا صورتها فى بيت لا يكون دائما فى المستوى الرفيع من النظافة ٠ أقول لو استطاع أحد أن يقنع قساوستنا بهذا فربما صنعوا فى عام واحد أكثر مما يمكن أن يصنعه جميع مفتشى الصحة فى إيرلندا فى عشرين عاما ٠٠ »

ولا يقتصر تأثير العقيدة على البلاد التي تؤمن بالأديان وحدها بل على البلاد اللادينية أيضا كالصين وروسيا والبلاد الشيوعية ٠٠

فقد أصبحوا أيضا يربطون بين عقيدتهم والتعاليم الصحية ..
ويعتبرون الشيعى المخلص لعقيدته هو الذى يراعى صحته والذى
يعمل على نظافة بيئته وعلى منع انتشار العدوى بين مواطنيه حتى
لا يقل الانتاج وبهذه الطريقة وحدها استطاعت الصين أن تقضى على
الذباب وعلى جميع الأوبئة وتمنع المخدرات وكل هذا بالعقيدة وحدها
ودون اتفاق أموال أو ميزانية على الدعاية والارشاد الطبى .

وقد سبق الاسلام كل المبادئ المعروفة .. وكل الديانات فى
الربط بين النظافة والعقيدة .. ولكنه ينفرد عن كل دين بجعل
تعاليمه الصحية جزءا لا يتجزأ من العبادات .. فمن ذلك أنه لا صلاة
بغير وضوء .. ولا اسلام بغير غسل .. ولا ملبس الا الطاهر ..
الى جانب مئات من التعاليم الصحية التى فصلناها .. ومعنى ذلك
بلغت العصر أن المسلم لا يدخل الجنة ولا يقبل منه اسلامه .. أو
تقبل منه صلاة ما لم يكن نظيفا يطبق قواعد الصحة .

دور النظافة والوعى الصحى فى مكافحة الأمراض :

الطب الوقائى يعتمد أساسا فى منع الأمراض على عاملين :

الأول : هو التوعية الصحية أى النظافة والسلوك الصحى .

الثانى : حملات التطعيم الشاملة .

وبرغم تطور الطب الحديث .. ورغم الاكتشافات الهائلة التى
توصلت اليها الانسانية فى التطعيم الوقائى من الأمراض وما أنفقت
من ملايين الجنيهات فى هذا المجال فما زال الوعى الصحى والنظافة
فى المقام الأول من حيث الفاعلية فى الوقاية من معظم الأوبئة ، بل
انها فى معظم الأمراض تغنى عن التطعيم .

وترجع اهمية النظافة فى عصرنا الى عدة اسباب :

اولا : ان النظافة وحدها تغنى عن التطعيم فى منع الأمراض الوافدة مثل الكوليرا والتيفود والحمى الصفراء ومنع انتشارها اذا دخلت ، وجميع البلاد المتطورة لا تلزم مواطنيها بالتطعيم العام من هذه الأمراض الا عندما يسافرون الى بلد متخلف لا تتوافر فيه النظافة وتوطن فيه هذه الأمراض .

ثانيا : لان التطعيم العام باهظ التكاليف ولا يخلو من الاخطار والمضاعفات فى بعض الأحيان كما أن كل طعم معين يؤثر على مرض معين أما النظافة فهى وقاية من كل الأوبئة مجتمعة .

ثالثا : ورغم التطورات العلمية الحديثة فهناك بعض الأوبئة والحميات والأمراض لم يتوصل الطب حتى الآن الى تطعيم معين ضدها مثل التهاب الكبد المعدى والدوسنتاريا والبلهارسيا وغيرها كثير كما أن بعض الطعوم المعروفة كطعم الكوليرا غير أكيدة الفعالية فى الوقاية من المرض مما جعل الهيئات الصحية تفكر فى الغائها . .

من هذا كله نرى أن النظافة والوعى الصحى مازالت العامل الأول والرئيسى فى مكافحة المرض فى جميع بلاد العالم سواء منها المتطورة أم المتخلفة .

شروط نجاح الأسلوب العقائدى :

وبرغم كل هذه المزايا الظاهرة فان الحل العقائدى يعتبر من أصعب الحلول بل يعتبر مستحيلا اذا لم تتوفر له ثلاثة عوامل رئيسية :

اولا : وجود عقيدة قوية متأصلة فى نفوس الناس بحيث يستجيبون لأى أمر من تعاليمها . . فلا يصلح هذا العلاج فى دولة

غير عقائدية ولا تدين بعقيدة معينة تسير بها حياتها ٠٠ لأن الدعوة لا يمكن أن تبدأ من فراغ ٠٠

ويجب أن تشتمل هذه العقيدة على تعاليم صحية واضحة وصريحة وسليمة ٠٠ دون الحاجة الى حشر هذه التعاليم الصحية حشرا في مبادئ هذه العقيدة ٠٠ وقد سبق أن عقدنا مقارنة بين تعاليم العقيدة الاسلامية وغيرها من العقائد في المجال الصحي بما يظهر تفوق العقيدة الاسلامية في هذا المجال ٠

ثانيا : وجود قيادة عقائدية : بحيث تجمع بين الفكر العلمي الحديث وبين الروح العقائدية الأصيلة وبحيث تكون مقتنعة تماما ومؤمنة بما تنادى به وبأهمية الارتباط بين العلم والدين ٠٠ ويجب أن تتمثل هذه القيادة في أشخاص الساسة والمسؤولين ٠٠ وأن يكونوا هم أنفسهم القدوة الصالحة والمثل الأعلى في المشاركة في هذه الحملة ٠ فلا يكفي أن يجلسوا على المكاتب الوثيرة الفاخرة ويصدروا الأوامر والنشرات للناس للتوجه الى القرية والتطوع للعمل فيها ٠٠ وقد كان رسول الله يحرس اذا أمر الناس بشيء أن يبدأ بنفسه أولا ٠٠ فعندما أراد أن يبنى مسجده بالمدينة كان أول من حمل الحجارة على كتفه مثله مثل الآخرين ٠٠ وعندما أمرهم ببناء الخندق حول المدينة كان أول من ضرب بمعوله في الأرض ٠٠ ولحق الجهاد كان سباقا الى القتال ٠٠ وعندما كانوا يقولون له « نحن نكفيك يا رسول الله » كان يرد عليهم قائلا « ان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين الناس » ٠٠

هذا هو أسلوب القيادة العقائدية ٠٠ ولو اكتفى الرسول بالجلوس في مكانه واصدار الأوامر الى الآخرين لما نجحت دعوته ولما أطاعه الناس بمثل هذا الحماس ٠

ثالثا : تضافر جميع أجهزة الدولة في حملة مشتركة مع

القادة العقائدين فيجب أن تشترك في هذه الحملة جميع طاقات الأمة ووزاراتها .

١ - فوزارة الاعلام تقدم كل وسائلها من اذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح .

٢ - ووزارة التربية تقدم الطلبة أثناء العطلات وتقدم المدرسين .

٣ - ووزارة الأوقاف تجند رجال الدين وأئمة المساجد لهذه الحملة الطبية .

٤ - ووزارة الصحة تجند الأطباء ومفتشى الصحة وتبين لهم العلاقة بين الدين والصحة وأهمية الربط بينهما .

هذه هي عناصر النجاح في الحملة العقائدية وبغير هذا التركيز والاخلاص والتعاون لا يمكن لهذا الطريق أن ينجح أو يؤتى ثمرته بالسرعة المطلوبة .

وفي نفس الوقت اذا توافرت هذه العوامل الثلاثة فان الأسلوب العقائدى كفيل بالقضاء على جميع الأمراض السارية والوبائية في العالم العربى والاسلامى فى عام واحد فيحسب .

العقيدة الاسلامية

لم تفقد فعاليتها فى عصرنا الحاضر

كثير من الناس قد يعترض على الأسلوب العقائدى فى العلاج . . ويقول هؤلاء ان الاسلام قد فقد تأثيره فى عصرنا الحاضر على الناس . . وأن العقيدة الدينية لم يعد لها نفس السحر الذى كان لها فى صدر الاسلام عندما كانت تدفع بالناس الى الموت فى سبيلها راضين سعداء . .

ويرى أصحاب هذا الرأي أن أى دعوة الى الاصلاح الطبى فى عصرنا الحاضر تقوم على العقيدة الدينية مصيرها المحتوم الى الفشل الذريع للأسباب الآتية :

١ - انتشار الأمية : فى العالم العربى والاسلامى فلا تتوقع من الجاهل الذى لا يقرأ رسالة أن يتفقه فى شئون العقيدة والدين وهذا يفقد الاسلام جزءا كبيرا من تأثيره على الناس .

٢ - انتشار الخرافات والعادات الضارة بالصحة : ونسبتها الى الاسلام وهو منها براء وهذه نتيجة حتمية للجهل والامية .

٣ - الاتجاه الى الثقافة الأوروبية : وإهمال التعليم الدينى فى دور العلم والجامعات فقد أصبح الطبيب والمهندس والعالم لا علاقة لهم بالدين الا ما حفظوه فى المدارس الابتدائية والثانوية .

٤ - طغيان المادية الأوروبية على حياة الناس وأسلوب معيشتهم . . .

ونرد على هؤلاء بأن عقيدة الاسلام رغم كل ما تحيط بها ويعوقها من مظاهر الجهل والمادية والتقاليد الباطلة . . فهذه العقيدة ما تزال حية فى قلوب الناس ولا يمكن أن يمحوها أى عامل من هذه العوامل السطحية المؤقتة . . لقد رأيت بنفسى شعوبا اسلامية مثل الشعب التركى حيث يمنعون تدريس الاسلام فى المدارس ويعتبرون الدولة رسميا بلا دين . . وتقابلت مع مسلمين من بلاد شيوعية ملحدة مثل يوغوسلافيا وروسيا والصين . وبعض هؤلاء المسلمين شباب الجيل الجديد قد ولد ونشأ فى ظل الاتحاد فلا يعرف من الاسلام الا اسمه وأصبح الاسلام بالنسبة اليه وراثه أكثر منه دراسة . . وشاهدت أيضا الفلاح فى البلاد الاسلامية ذلك الفلاح الذى لم يمسك كتابا فى حياته كلها . . ولا يعرف عن القرآن الا أنه

حجاب يضعه في البيت أو يعلقه على صدر طفله .. ومع ذلك ..
ووبرغم ذلك كله ..

فما أن يصاب أحد من هؤلاء بمحنة أو أزمة .. أو يدعى إلى موقف مروءة أو نجدة .. أو يشاهد مسلما آخر يتعرض لكارثة أو ظلم .. أو يدعى إلى الحرب والقتال في سبيل وطنه .. إلا وكان تصرفه اسلاميا بفطرته وسليقته ..

لقد رأيت الأتراك واليوغسلاف المسلمين ييكون الدمع عندما حلت النكسة والهزيمة بالعرب في حرب ١٩٦٧ .. ورأيت فرحتهم وشعورهم بالعزة والكرامة عندما انتصر العرب في حرب سنة ١٩٧٣ ..

وهذا الجندي الفلاح العربي المسلم الذي لا يعرف القراءة .. ما أن سمع صرخة الله أكبر تدوى في حرب رمضان حتى أثارت في نفسه كل معاني التضحية والفداء للإسلام فانطلق يعبر الجولان والقتال غير عابئ بالرصاص في سبيل عقيدته ..

وإذا كان الاسلام والعقيدة الاسلامية قد فعلت ذلك بهم رغم هذه العوائق كلها فهل تعجز عن دفعهم إلى اتباع قواعدها الصحية ..

لقد ذكرنا شروط نجاح الأسلوب العقائدي وقلنا أنه يتوقف أولا وقبل كل شيء على عامل رئيسي هو وجود عقيدة قوية تشتمل ضمن تعاليمها على برنامج سليم متكامل للطب الوقائي .. وهذه هي عقيدتنا الاسلامية بيننا منذ عشرات القرون فلسنا بحاجة إلى عقيدة أخرى نستوردها أو نجربها كما استوردت الصين وكوريا العقيدة الشيوعية .. وكل ما تحتاج إليه هذه العقيدة لكي تستعيد فعاليتها وتأثيرها في الناس هو القيادة العقائدية التي تؤمن بها وتدعو الناس إليها وتضع في خدمتها أجهزة الاعلام وتحشد طاقات

الامة لها ٠٠ ويومئذ سيكون لهذه العقيدة فعل المعجزات فى هذه
الامة ولن يقتصر تأثيرها على مجال الطب وحده بل فى شتى مجالات
الحياة الأخرى ٠

بالأسلوب العقائدى وحده تخلصت الصين

من الذباب والأفيون والأمراض

تعتبر الصين الشعبية أصدق مثل فى العصر الحديث على
النجاح السريع الذى يمكن أن تحققه التربية العقائدية فى مجال
الطب الوقائى ونظافة البيئة ٠٠

وقد نجاء فى مجلة (الموجز الطبى) التى تصدر فى لندن
(Medecine digest Febr 1975) أنه عندما تسلمت الثورة الشيوعية
الحكم فى الصين سنة ١٩٤٩ كانت تلك البلاد مرتعا خصبا للمخدرات
والزبالة والذباب والأمراض ٠٠ وكانت الأوبئة تفتك بالملايين فى
مقدمتها الطاعون والكوليرا والجدرى ثم الجذام وشلل الأطفال
والسل والملاريا والقرحة الشرقية وديدان الانكلستوما والبلهارسيا
والفيلاiria ٠

وقد ركزت الثورة همها الاول على الوقاية قبل العلاج ٠٠
وعملت على استئصال الأمراض عن طريق حملة النظافة الصارمة ٠٠

وكونوا لذلك جيشا من المثقفين الصينيين العقائديين يتألف من
الأطباء الحمر ٠٠ ومما يسمونهم الأطباء الحفاة وهم أشبه بعقلاى
الصحة فى العالم العربى ٠٠ الى جانب طلبة المدارس والشباب
المثقف وربات البيوت ٠٠

ولم يكتف المسئولون فى القولة بإصدار الأوامر من مكاتبهم
٠٠ بل نزلوا معهم على رأسهم الزعيم ماو بنفسه ومعه الوزراء ورجال

الحزب وأهل الفكر والفن والمسرح ونجوم السينما .. وانتشر هؤلاء جميعا في المصانع والمقاول والشوارع والبيوت ومعهم (سطلون) الماء والفرشاة والصابون يكنسون ويمسحون ويزورون كل مواطن في موقع عمله لكي يعلموه طرق النظافة والمحافظة على صحة البيئة .

ويتلقى هؤلاء المثقفون العقائديون دورات تدريبية بين ثلاثة أسابيع وستة أشهر لتعليمهم أسلوب مخاطبة الجماهير ووسائل اقناعهم بدور النظافة في الوقاية من المرض وفي زيادة الانتاج وفي قوة الدولة ..

وخلال سنة واحدة من هذه الحملة المركزة قضت الدولة على ثلاثة أمراض رئيسية فتاكة هي : الطاعون والجدرى والكوليرا ..

وقد جاء في التقرير الطبي أن إصابة البلهارسيا كانت في القرى ٨٠٪ وفي المدن ٦٠٪ عند بداية الثورة . وفي سنة ١٩٦٥ أي بعد ١٦ عاما فقط من الثورة كانت البلهارسيا قد اختفت نهائيا من المدينة وهبطت الاصابة في القرية الى ٤٪ .. وفي سنة ١٩٧٥ عند نشر هذا التقرير لم يعد في الصين ملاريا ولا فيلاريا ولا بلهارسيا ..

وقد سبقت الصين جميع دول العالم المتطورة ومنها أمريكا في التخلص من مرض شلل الأطفال اذ لم تظهر فيها حالة واحدة منذ عشر سنوات ..

وقد نشرت البعثة الطبية الدولية التي أصدرت هذا التقرير انها لم تجد في الصين كلها ذبابة واحدة ولم تجد فيها ناموسة ولا فئرانا كما لم تجد في الشوارع كلبا واحدا من الكلاب الضالة .. فكيف حدثت هذه المعجزة ..

لقد زرت الصين في صيف سنة ١٩٧٠ .. وكان اهتمامي

الأول مركزا على الأسلوب العقائدي الذي قضت به الصين على الأمراض ٠٠ ولم يذهلنى مستوى النظافة فقد قرأت عنه الكثير قبل الزيارة ٠

ولكن لفت نظرى أن فى أيدي العمال والفلاحين نسخا من كتاب أحمر صغير يحملونه أينما ذهبوا ويحفظون تعاليمه عن ظهر قلب ٠٠ ويعملون به فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتهم ٠٠ فهو بالنسبة اليهم بمنزلة القرآن لدى المسلمين ويشتمل هذا الكتاب على تعاليم ماو الزعيم الصينى العقائدية ٠٠ وسألتهم عما جاء فى هذه التعاليم عن الطب الوقائى ٠٠ فترجموا لى فقرة صغيرة من سطر واحد تقول « ان الشيوعى المؤمن حقا هو الذى يتبع تعاليم النظافة » ٠

بهذه الفقرة العقائدية الصغيرة قفزت الصين هذه الفقرة الهائلة فى مجال الطب الوقائى ٠٠

وقد لاحظت فى الحال أن هذه الفقرة من تعاليم ماو مأخوذة بلقطتها ومعناها من تعاليم رسول الله ٠٠ الذى قال صلى الله عليه وسلم منذ ١٤ قرنا من الزمان « النظافة من الايمان » ٠٠ ومعنى هذا الحديث ان المسلم الصادق الايمان هو الذى يتبع تعاليم النظافة ٠

ومن المعروف ان ماوتسى تونج قد قرأ الكثير من تعاليم الاسلام عندما كان يؤلف كتابه الأحمر ٠

وقد ذكر أحد كبار المسئولين العرب أنه عندما زار ماوتسى تونج فى بكين أخذ يسأله بحكم خبرته وتجاربته عن نصيحته الى الأمة العربية فى صراعهم ضد اسرائيل والاستعمار ٠٠ فقال له ماو :

اتسألنى عن الطريق وقد تعلمنا منكم ٠ فقال له : كيف ذلك ؟ ٠٠ قال : ان فى تاريخكم الاسلامى من الامثلة والكفاح

العقائدى ما كان خير هاد لنا فى ثورتنا ضد كل عوامل التخلف فى الداخل وضد أعدائنا فى الخارج . . ولو عدتم الى تاريخكم لوجدتم فيه كل الحلول دون الحاجة الى حلول من عندنا .

كيف نتخلص من البلهارسيا والانكلستوما بالأسلوب العقائدى

تعتبر البلهارسيا والانكلستوما من أخطر الأمراض المستوطنة فى العالم العربى والاسلامى . فحيث يوجد ماء وزرع يوجد هذا المرض بكثرة .

وقد قدرت نسبة الإصابة بهذه الديدان فى بعض القرى فى مصر والسعودية والعراق والسودان وأندونيسيا بخمسة وتسعين فى كل مائة من سكان هذه القرى .

ويستطيع الطبيب أن يكتشف البلهارسيا والانكلستوما من لحظة دخول المريض عليه . . فمريض البلهارسيا يدخل صارخاً متألاً من شدة المفص الكلوى والتهابات مجرى البول . . هذا علاوة على الضعف العام ومظاهر الاجهاد أما مريض الانكلستوما فيعرف من وجهه الشديد الصفرة مثل وجوه الموتى بسبب فقر الدم وما يصاحب ذلك من هزال وضعف الذاكرة وتبلد الذهن .

ولكى تأخذ فكرة عن جسامة الأضرار التى تسببها هذه الديدان للاقتصاد العربى والاسلامى فلتنظر الى آخر تقرير أذاعته احدى الهيئات الصحية العالمية المشتركة مع وزارة الصحة المصرية عن أثر البلهارسيا فى مصر . فقد قدرت هذه الأبحاث ما يصرف سنوياً فى مصر أو يضيع عليها فى شراء أدوية علاجية وفى رواتب أطباء لهذا المرض وفى شغل الأسرة فى مستشفيات المدن والقرى وفى تعطيل المرضى من فلاحين وعمال وموظفين عن العمل

وفي تأخر صحة الجندي الحديث التجنيد وعدم الاستفادة من طاقته قبل سنة كاملة من العلاج ٠٠ قدرت الخسارة السنوية في كل هذه المجالات مجتمعة بحوالى ٥٠٠ مليون أى نصف بليون جنيه مصرى تضيع على مصر سنويا بسبب البلهارسيا وحدها ٠٠

وقد نشر الدكتور فتحى الشريف عميد معهد الصحة بالاسكندرية احصائية عن تفاصيل اقتصاديات البلهارسيا فى مصر سنة ١٩٦٩ ٠٠ فبين أن ثمن الأدوية المستوردة وحدها ٢٠ مليون جنيه بالعملة الصعبة سنويا ٠٠ وأن البلهارسيا تحدث عجزا فى مجمل الطاقة الانتخابية للشعب المصرى يعادل ٣٣ ٪ وقبل السد العالى كانت البلهارسيا فى الوجه البحرى وحده ثم انتشرت الى الوجه القبلى بعد السد العالى ٠ وتقول الاحصائية أن ربع الشباب المصرى فى سن الخدمة العسكرية لا يصلحون فى الجيش بسبب البلهارسيا وحدها وتشطب أسماؤهم من التجنيد بسبب عدم اللياقة البدنية ٠

فاذا كانت هذه هى خسائر البلهارسيا فى بلد اسلامى واحد فكيف بالخسارة فى بلاد العالم الاسلامى كله ٠

ومن المعروف علميا ان السبب الرئيسى فى انتشار هذه الديدان وانتقالها من المريض الى السليم يرجع الى عادة التبرز أو التبول فى الماء ٠ فالفلاحون فى العالم الاسلامى يفضلون دائما التغوط على حافة التربة لسهولة عليهم بعد ذلك الاستنجاء والوضوء من مائها ٠ ومع انخراط أو البول تنزل بويضة الدودة بكميات كبيرة وتسبح فى الماء ارتعاش فيه مدة معينة وتتطور الى مراحل مختلفة من حياتها حتى تصبح جاهزة للعدوى ٠ فاذا استحم الانسان السليم فى هذا الماء أو شرب منه انتقلت اليه العدوى فى الحال ٠

وقد يأخذك أيها القارئ المسلم أشد العجب اذا علمت أن

القضاء على هذه الديدان قضاء نهائيا هو من أبسط الأمور وأيسرها
 ٠٠ بل انه لا يكلف ميزانية الدول أى زيادة فى الاعباء والانفاق
 ٠٠ هذا العلاج يتلخص فى كلمة صغيرة هى :

اقناع الفلاح بعدم التبرز والتبول فى الماء .

ويمكنه فى هذه الحالة أن يفعل ذلك فى مكان بعيد ويواريه
 بالتراب ٠٠ وإذا أراد الاستنجاء أو الوضوء فمن اناء صغير يحمل
 فيه الماء معه ٠٠

أقول لو توصلنا الى اقناع الفلاح بعدم التغوط فى الماء لانتهدت
 مشكلة البلهارسيا والانكلستوما الى الأبد ولن نحتاج الى المزيد من
 الادوية والمستشفيات والأطباء أو الى التوسع فى ميزانية العلاج .

لقد جربت الهيئات الصحية فى مصر التوسع فى العلاج
 ففشلت لأن المرضى كانوا بعد شفائهم مباشرة يعودون الى القرى
 ويتعرضون لعدوى جديدة .

وجربت القضاء على القواقع التى تعيش فيها يرقات
 البلهارسيا فى الترع ففشلت لأن القواقع تأتى من أعلى النيل فى
 السودان وسرعان ما تعود الى الظهور والتكاثر فى مصر بعد بضع
 سنوات علاوة على التكاليف الباهظة .

ولسنا نقول اننا يجب أن نوقف هذه المحاولات العلمية ٠٠
 ولكن الأسلوب الأجدى والحل الجذرى هو مخاطبة الفلاح مباشرة
 واقتناعه بعدم التبول أو التغوط فى الماء ٠٠ وفى تعاليم الاسلام
 وأحاديث رسول الله ما يمكن أن يحقق ذلك لو نهنا الناس اليه ٠٠

فالاسلام يعتبر من يتبرز فى الماء قد ارتكب اثما وعملا محرما .

ويصل الأمر بالاسلام فى التشدد فى ذلك الى حد اعتباره
 موجبا لعنة الله فرسول الله يقول :

« اتقوا الملاعن الثلاث .. التبرز في الماء وفي الظل وفي طريق الناس » . ويقول أيضا :

« من غسل سخيته في طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . ويقول أيضا : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه » .

ان الفلاح المسلم شديد الدين .. شديد الحرص على اطاعة تعاليم الدين .. ولو علم أن تبرزه في الماء وفي طريق المسلمين سوف ينزل عليه لعنة الله وملائكته وسائر المسلمين لما أقدم على ذلك أبدا ..

ولا ننسى أنه انما يفعل ذلك بدافع ديني لكي يكون قريبا من الماء فيستنجدى ثم يتوضأ منه .. ولو علم أن فعله هذا يضيع ثوابه ويفسد صلاته فليس بمستغرب أن تكون استجابته لهذه التعاليم الدينية أشد من استجابته لأوامر مفتشى الصحة ..

وقد يقول قائل أننا بالأسلوب العقائدي وبتعاليم الاسلام انما نخاطب الفئة المتدينة وحدها في القرية وهم لا يزيدون عن نصف السكان فماذا عن الباقي وكيف تقنعهم .

ونقول ردا على ذلك أن الأسلوب العقائدي يجعل الانسان ايجابيا لا يرضى بالضرر لنفسه أو لغيره واذا اقتنع بعض الفلاحين بأن التبول أو التغوط في الماء يجعله نجسا فلا يصلح للوضوء أو الشرب أو الاستحمام فسوف يجعلون من أنفسهم حاربا على الماء يمنعون اخوانهم الآخرين من التبول فيه .

ويوم يصل الاقتناع الى نصف أو حتى ثلث سكان القرية نكون قد نجحنا في القضاء على المرض .

تاسعا ..

حكمة التحريم والاباحة في الاسلام

بحوث بين الطب والدين :

في هذا الباب نتناول بالبحث العلمى الموسع حكمة الاسلام
في تحريم :

١ - الخمر .

٢ - المخدرات .

٣ - لحم الخنزير .

ثم نتناول موضوع التدخين وأسباب كراهيته في الاسلام ..
وأخيرا نتحدث عن العسل وفوائده وحكمة قوله تعالى : « فيه
شفاء للناس » ..

أولا - الخمر :

نعرف الخمر من ناحية مكوناتها (أو من الناحية الطبية)
بأنها كل سائل يحتوى على نسبة معينة من الكحول وتتراوح
المشروبات الروحية في هذه النسبة . فهي في البيرة لا تزيد على
٣ ٪ ويزداد الكحول الى ٢٥ ٪ في المشروبات الأقوى ويصل التركيز
الى ٥٠ ٪ في المشروبات الروحية المركزة .

ومن المعروف طبيا أن بعض الادوية والأملاح الضرورية لصحة الانسان كأدوية السعال تذاب فى مادة الكحول ٠٠ وكذلك بعض أنواع المياه الغازية مثل الكولا ٠٠ وتسمى المادة المذابة المستخلص الكحولى ٠٠

ولا تدخل هذه الادوية والسوائل علميا ولا شرعيا فى باب الخمر لأن مادة الكحول فيها غير حرة لا تؤدى الى السكر ٠

وتعريف الخمر فى الاسلام :

انها كل مادة مسكرة ٠ وذلك لقول رسول الله : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » وهذا يوسع المعنى لكى يشمل أى مادة تؤدى الى السكر أو الادمان ولو لم تكن خمرا ٠

كيف تؤثر الخمر فى الانسان :

يتوقف تأثير الخمر على عاملين : العامل الاول : كمية الكحول وتركيزه فى الدم ٠ فاذا شرب الانسان كاسين من البيرة فان نسبة الكحول تصل فى دمه الى ٥ مجم فى كل ١٠٠ سم من الدم وهى نسبة كافية لاجداث التأثير المطلوب عند المبتدئين ٠ ويزيد تأثير الكحول بالتدريج كلما زاد تركيزه فى الدم ٠ فاذا وصل التركيز الى ٥٠ مجم كحول فى ١٠٠ سم دم فان الانسان يفقد قوة التركيز الذهني ٠٠ ويفقد السيطرة على عواطفه أو التحكم فيها ٠٠ وقد ينخرط فى الضحك فى مواقف الجسد والحزن ٠ وقد ينخرط فى البكاء دون مبرر ٠٠ ولكنه غالبا يستطيع السيطرة على عضلاته وأطرافه أثناء المشى فى هذه المرحلة فلا يترنح ٠

فاذا زاد تركيز الكحول فى الدم الى ١٥٠ مجم فى كل ١٠٠ سم فان الانسان يتمايل فى الهواء من السكر ويفقد السيطرة على عضلاته

وأطراف جسمه ، وبديهي أن كل مراكز الفكر العليا تتعطل في هذه الدرجة عن العمل .

العامل الثاني : هو استجابة الجهاز العصبي للانسان .

فقد لوحظ أن الناس يتأثرون بالجرعة الأولى بدرجات متفاوتة . . فمنهم من يعثره افعال شديدة وهياج ومنهم من يخلد الى السكون أو النوم من نفس الجرعة . .

ويرجع الخطر الأكبر من الحمر في أن الجهاز العصبي يعود على الكحول بالتدريج . . بحيث أن الكمية التي تؤدي بالانسان في المرات الأولى الى الشعور بالراحة بعد تعب أو باللذة أو نسيان الهموم ، فانه لا يكفيه في المرات التالية أن يتناول ضعفا أو ثلاثة أضعافها ليحصل على نفس التأثير . . وهذا هو ما يؤدي به الى الادمان .

ولذلك فإن العلم الحديث يكذب كل من يدعى القدرة على الاعتدال في الشرب بصنقة دائمة .

اثر الكحول على الجهاز العصبي للانسان :

يقرر العلم الحديث أن مخ الانسان يتكون من مراكز مختلفة ، فالوظائف الراقية توجد في المراكز العليا من المخ . . والوظائف الأقل رقيا توجد في المراكز الأسفل منها .

وأعلى المراكز في مخ الانسان هي التي تختص بالارادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعي . . ثم تأتي أسفل منها مراكز العقل والتفكير . . ثم مراكز الحكم على الأشياء ثم مراكز الذاكرة . . وأسفل من هذه تأتي المراكز المسيطرة على العواطف والأحاسيس .

ويسرى مفعول الخمر من أعلى الى أسفل ٠٠ أى أنها تؤثر على الوظائف الأرقى فى المخ أولا ٠٠ ولذلك فإن أول شيء يتأثر فى الانسان بالكميات القليلة جدا من الخمر هو الارادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعى فاذا زادت الكمية تأثرت قدرته على التركيز الذهنى وهكذا ٠

أثر الخمر على الشخصية :

لقد جاء فى تقرير المجلس الوطنى لمكافحة الخمر فى بريطانيا ان شرب الخمر مدة طويلة يؤدي الى تحلل الشخصية ٠٠ ويسبب ضعف الارادة وشرود الذهن ٠٠ ودمن الخمر لا يمكن الثقة بأقواله ولا بوعوده ولو فى صحوته ٠٠ كما لا يمكن الاعتماد عليه فى المسائل المالية أو القيادية ٠

فهو سريع التائر سريع الغضب ، كثير الهواجس والأوهام وأغلب هؤلاء المدمنين يصبح فاشلا فى عمله مشاغبا وعنيفا فى بيته عديم الثقة فى زوجته وأولاده ٠٠ !!

أثر الخمر على أعضاء الجسم الأخرى :

لكى نعرف الضرر الصحى للخمر يمكنك احضار خلية حية نشيطة الحركة مثل الأميبا والنظر اليها تحت الميكروسكوب وهى تتحرك وتاكل فاذا وضع فى الماء كحول بنسبة ١٪ فإن هذه الخلية يقل نشاطها وتمتنع عن الطعام ٠٠ واذا زيدت الكمية فانها تصاب بالتسمم وتموت وهذا هو ما يحدث فى خلايا أجسامنا عند شرب الكحول ٠

١ - تأثير الكحول على القلب والأوعية الدموية :

يسبب الكحول بنسبة ١٪ في زيادة عدد نبضات القلب ١٠ نبضات في الدقيقة عن المعتاد مما يجهد عضلات القلب . ومنذ قديم الزمان كان هناك اعتقاد شائع بين الأطباء والمرضى أن الكحول يوسع الشريان التاجي للقلب وكان الأطباء حتى عهد قريب ينصحون المرضى بضيق أوعية القلب والذبحة القلبية (Angina) بأن يتناولوا كمية قليلة من الكحول فيزول الألم ويستأنف المريض حركته . وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة خطأ هذه النظرية وضررها .

(أ) فقد ثبت أن الكحول ليس له تأثير مباشر على الشريان التاجي للقلب .

(ب) وأن ألم الذبحة القلبية يخف نتيجة لتأثير الكحول المخدر على مراكز الألم في المخ .

(ج) وأن كمية الكحول إذا زادت أحدثت تسمما في عضلا القلب واجهادا - من هذه العوامل مجتمعة فقد يشعر المريض بزوال الألم وبالراحة الوهمية فلا يلزم الفراش فيتعرض للصوت .

وهكذا جاءت البحوث العلمية لتؤكد حكمة الرسول في قواه :
« لم يجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها » .

وهكذا أصبح الأطباء ينصحون أي انسان معرض للذبحة القلبية بالاقلاع عن السجائر والخمر .

٢ - تأثير الكحول على خلايا الدم :

للدّم وظيفتان رئيسيتان : فبواسطة الكرات الحمراء يمتص الدم الأوكسجين من الرئة ويتخلص من ثاني أكسيد الكربون . وبواسطة الكرات البيضاء يقاوم البكتريا والميكروبات التي تصل الى

الجسم . واذا وضعت قطرة كحول فى ماء بنسبة ١ ٪ على نقطة دم فان الكرات الحمراء تتحول الى صفراء ويقل نشاط الكرات البيضاء ، ومعنى ذلك فى جسم الانسان الحى أن يقل امتصاص الدم للأكسجين فتصاب خلايا الجسم بما يشبه الاختناق وتتعب العضلات بسرعة كما تقل مقاومة الجسم لشتى أنواع الأمراض والميكروبات .

وقد أجرت احدى الهيئات الطبية فى بريطانيا بحثا على فريقين من عمال (السكة الحديد) أحدهما : تناول قليلا من الكحول قبل العمل ، والآخر : لم يشرب الكحول فوجدت : أن الفريق الأول تمب بسرعة وكان انتاجه أقل .

٣ - تأثير الكحول على الكبد :

يتسبب الكحول فى المرض المعروف بـ (تليف الكبد الكحولى) وهو مرض منتشر فى أوروبا ونادر جدا فى البلاد الاسلامية وفيه يموت عدد كبير من خلايا الكبد الحية وتتحول الى نسيج ليفى ، واذا كانت نسبة التليف كبيرة أدى ذلك الى الوفاة المبكرة . وقد أجرى عالم نمساوى كبير بحثا على نسبة الوفيات فى أوروبا وأمريكا من حالات تليف الكبد ، فوجد أن هذه النسبة قد قلت الى النصف خلال سنوات الحرب العظمى الثانية عندما كانت الخمور شحيحة ولا يحصل الانسان عليها الا مع بطاقة التموين ، وكذلك كانت الحالة فى أمريكا عندما كانت الخمور ممنوعة .

٤ - النخر ونقص الفيتامينات :

ويصاحب شرب الخمر نقص شديد فى الفيتامينات فى الجسم خصوصا فيتامين (ب) بأنواعه وفيتامين (س) مما يؤدى الى ظهور مرض (البلاجرا) و (البرى برى) و (الاسقربوط) ، وتظهر هذه

الحالة بشكل رعشة في اليدين وثقل في اللسان وضعف في العضلات واضطراب في حساسية الجلد وقد يؤدي الأمر الى شلل الأطراف وتضخم في القلب .

بعض المعتقدات الخاطئة عن الخمر :

يعتقد كثير من الناس أن القليل من الخمر يفيد ولا يضر .
فهناك اعتقاد سائد بأنها تفتح الشهية للطعام
وأنها تبعث الدفء في الجسم عند البرد الشديد
وهناك من يعتقد أنها تزيد النشاط الجنسي كما يدعى بعض الناس أنها تخلق
جوا اجتماعيا مرحا .

وقد رأينا أن نبين هنا رأى البحث العلمي الغير متحيز في كل
واحدة من هذه المعتقدات :

١ - تأثير الخمر على شهية الطعام :

هناك اعتقاد سائد بأن الخمر بكميات قليلة وخصوصا البيرة
تفتح الشهية للأكل وقد وجد العلم أن هذا الشعور يرجع الى
التأثير النفسي فقط بسبب تخدير المراكز العليا في المخ
ويعتقد الفسيولوجي للكحول على المعدة وجد أنه يزيد الحموضة . . .
ويسبب الخمر في حركة الهضم والامتصاص كما يؤدي الى التهابات
المزمنة في غشاء المعدة وهذه بدورها قد تؤدي الى القرحة
وكثير من الناس يصابون بالقى مهما قلت كمية الكحول التي يشربونها .
ومن المعروف أن الشعوب التي تكثر من شرب البيرة تصاب
بالامساك المزمن وتربى كروشا كبيرة بسبب نمدد المعدة من الكميات
الضخمة من السوائل التي يشربونها .

٢ - تأثير الخمر على الكلى والجهاز البولي :

من المعتقدات الشائعة أيضا أن البيرة والخمر مدررة للبولى وأنها تساعد على طرد الحصوة والرمل وغسيل مجرى البولى .
وحقيقة الأمر أن البيرة يدخل فى تركيبها بعض الأملاح والأحماض الكاوية مثل حامض السيليك الذى يحفظها من التعفن . وبذلك تصبح عملية ادراج البولى نوعا من ارهاق الكلى واتلاف نسيجها ، وكثير من مدمى الخمر يصابون باحتباس البولى أو بعدم السيطرة على التبول .

٣ - الخمر والتأثير الجنسى :

هناك اعتقاد شائع بأن الخمر تنشط الغريزة الجنسية .
وحقيقة تأثير الخمر على الجنس ينقسم الى قسمين :

الأول : عن طريق التأثير على المراكز العليا فى الجهاز العصبى بتخديرها مما يزيل الشعور بالخلج أو الخوف والتردد مؤقتا (فى حالة وجود الخوف والتردد فقط) .

الثانى : عن طريق التأثير على المراكز السفلى فى المخ مما يضعف القدرة الجنسية ويؤدى الى الارتخاء والهبوط الجنسى .

وهذان التأثيران متعارضان بصورة خطيرة . فالأول قد يزيد الرغبة الجنسية والثانى يضعف المقدرة وهذه الحالة تؤدى الى الكثير من العقد النفسية والجنسية عند شاربى الخمر وكثيرا ما تهدم الحياة الزوجية . فمعظم مدمى الخمر مصابون بالارتخاء الجنسى وكثير منهم يضرب زوجته أو يطعن سمعتها وسلوكها تغطية لعجزه .

٤ - هل تزيل الخمر البرد وتبعث الدفء :

هذا الاعتقاد الشائع أيضا غير صحيح ٠٠ والذي يحدث أن الأوعية الدموية في الجلد والوجه تتمدد عند تناول كمية قليلة من الخمر ٠٠ ويتدفق فيها الدم فيسبب احمرار الجلد والوجه مما يسبب (التوهيم) بأن الجسم قد ارتفعت حرارته ولكن الواقع أن هذا التمدد في الأوعية يؤدي الى خروج الحرارة الداخلية من الجسم وهبوط حرارته هذا الى جانب أن الكحول يحدث تخديرا في مراكز تنظيم الحرارة بالمنخ وفي القطب الشمالى يحظر على أعضاء بعثات الاستكشاف تناول الخمر لأنها قد تؤدي الى هبوط الحرارة الداخلية وتجمد الأعضاء والوفاة المفاجئة !!

٥ - الخمر والتأثير الاجتماعي

يرى كثير من الناس أن تناول الخمر يجعل الانسان اجتماعيا يحب الناس والجلوس مع الأصدقاء وأنه يصبح أكثر مرحا ودودا ٠٠ وربما كان في ذلك بعض الحقيقة للهولة الأولى ٠٠ ولكننا لو تعمقنا في دراسة الأسباب لوجدنا أن الخمر تسبب بعض التخدير في العقل الواعي مما يقلل شعور الانسان بواقعه ويقلل من تحفظه في الكلام فينطلق لسانه بغزارة ويبدو اجتماعيا ودودا ٠٠ وهذا نوع من الحلول السلبية لمشاكل الحياة ٠٠ ومن أخطر مظاهره أن هذه الروح الاجتماعية المرحية لا يعقبها أى تصرف ايجابى لخدمة الغير أو المودة والنجدة .

واذا كان الهدف هو خلق روح اجتماعية وجعل الانسان ودودا يحب الناس فليكن ذلك بالأسلوب الايجابى (لا السلبي) وعن طريق الدين والعقيدة لا عن طريق تخدير الناس ونسيانهم لواقعهم .

٦ - هل هناك شارب خمر معتدل :

من الملاحظ أن جميع من يشربون الخمر يدعون دائما أنهم معتدلون وأنهم يستطيعون المحافظة على هذا الاعتدال مدى حياتهم وكثيرا ما تجد انسانا يتطوح فى الهواء سكران ثم يدعى ويقسم أنه غير سكران وأنه معتدل فى الشرب . . وردا على هذه المغالطات :

فقد نشرت جمعية منع المسكرات فى نيويورك احصائية تقول ان بين كل عشرة أشخاص يشربون الخمر ثلاثة يصابون بالادمان وينقلبون الى مرضى صحيا واجتماعيا .

أما السبعة الباقون فهم عرضة للافراط فى الشرب أكثر من مرة الى حد فقدان أحدهم السيطرة على جسمه أو على أخلاقه .
وقد وجد أن ثلاثة من هؤلاء السبعة قد تعرضوا لحوادث سيارات بسبب الافراط فى الشرب فى بعض المرات .

وأن اثنين منهم تعرضوا لخلافات عائلية أو خسارة فى العمل بسبب الافراط فى الشرب مرة أو أكثر .

وبذلك يصبح مجموع من يتعرضون للتفريط فى الخمر وبكل ما يتبعه من مشاكل سبعة بين كل عشرة يشربون أى ٧٠ ٪ .

وهذا وحده يسقط حجة من يدعى الاعتدال فى الخمر ويجعل الحل العلمى الوحيد للمشكلة هو منعها منعاً قاطعاً وليس مجرد الاعتدال فى الشرب كما يدعى بعض فلاسفة الغرب .

الخمر كمشكلة اجتماعية واقتصادية فى أوروبا :

ولا تكاد الخمر أن تكون مشكلة ذات بال فى العالم الاسلامى . . وذلك بفضل الحسم القاطع الذى واجهها به الاسلام . . أما فى باقى العالم وخصوصا فى أوروبا وأمريكا فهى تشكل مشكلة

اجتماعية واقتصادية خطيرة ٠٠ ففي كل بلد متطور نجد عشرات الهيئات المختصة في الدعوة ضد المسكرات وفي علاج المدمنين كما نجد الكثير من المستشفيات ودور النقاة المختصة بهذه المشكلة ٠

وقد نشر المجلس الوطني للمسكرات في أمريكا سنة ١٩٦٦ إحصائية يذكر فيها أن في أمريكا وحدها ٦ ملايين رجلا وامرأة يدمنون الخمر الى حد التسمم وأن الخمر تسبب في :

١٠ ٪ من حالات الجنس والاضطراب العقلي التي أدخلت المستشفيات ٠

٣٠ ٪ من حالات الطلاق وتشرذم الأطفال ٠

٢٥ ٪ من حوادث السيارات

٦٥ ٪ من أسباب البطالة أو التهريب من العمل ٠

وبلغت خسائر أمريكا في هذه السنة بسبب الخمر وحدها ٢٥٠ بليون دولار ٠

الاسلام والخمر :

يعتبر الاسلام الدين الوحيد الذي جاء بأمر قاطع في النهي عن الخمر ٠٠ وقد اتبع الاسلام في ذلك أسلوبا فريدا في نوعه سبق به أحدث الطرق العلمية والنفسية بعدة قرون ٠٠ وبلمخص هذا الأسلوب في أمرين :

اولا : التدرج في المنع حتى لا يشق على الناس

ثانيا : ربط الأوامر بالأحداث الواقعية مستفيدا من التأثير النفسي والسيكولوجي فان أول آية نزلت عن الخمر كانت عندما قال عمر : « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » فنزل قوله تعالى

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » . (سورة البقرة ٢ آية ٢١٩) .

وهنا قال بعض الناس حرمت الخمر وانتهوا عنها .

وقال آخرون : يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله وعز وجل . فسكت رسول الله عنهم . . وكان بعضهم يحضر الصلاة وهو سكران فلا يدري ما يقول ، وعاد عمر يدعو ربه : « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » فنزلت الآية الثانية : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » . (النساء ٤ الآية ٤٣) .

فقال بعضهم حرمت الخمر . .

وقال بعضهم لا نشربها قرب الصلاة فسكت رسول الله عنهم . . ثم دعا عمر ربه « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » فنزلت الآية الثالثة الحاسمة :

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (سورة المائدة الآيتان ٩٠ ، ٩١) .

فلما نزلت هاتان الآيتان جاء الناس إلى الرسول فقال لهم « حرمت الخمر » .

ومن أحاديث الرسول في الخمر قوله « اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر » (الحاكم عن ابن عباس الترغيب ج ٤ ص ٢٩٨) .

« من لقي الله مدمن خمر لقيه كما يبد الوثن » (رواه ابن حبان
عن ابن عباس - الترغيب ج ٤ ص ٢٩٧)
وقوله : « من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم يوم
القيامة » .

وعن عائشة : « كل مسكر حرام وما أسكر الفرق منه فمك
الكف منه حرام » (فقه السنة ج ٩ ص ٥٢ ط أولى) .

الخمر في الحدود الشرعية :

لم ينزل في القرآن حد على الخمر . . ذكر العيني في شرح
الكنز عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر
بالجريد والنعال . . نسبه الى الشافعي . . وروى عن الامام أحمد
عن أبي سعيد قال : جلد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الخمر بنعلين ، فلما كان على عهد عمر جعل بدل كل نعل سوطا ،
(شرح العيني على الكنز ج ١ ص ٢٣٠) .

وأول من حد على الخمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه . . فقد
ضرب بالجريدة وبأطراف النعال . .

وعندما فتح الله على المسلمين بلاد الشام ومصر وفارس كانت
الخمر متوفرة في تلك البلاد يشربها أهل الذمة ويبيعونها في الأسواق
والخمارات فلم يتعرض الخليفة لهم احتراماً لشعائهم . .

ولكن بعض الشباب والجنود المسلمين ابتدوا على عهد عمر
يشربون الخمر مستخفين بهذا الحد الهين . . وزاد الأمر على عمر
حين ابتداء بعضهم بتأويل كتاب الله لتعليل فعلهم . .

فمنهم من قال ان الخمر لم تحرم علينا لأن الله قال فاجتنبوه
ولم يقل حرم عليكم . .

(١) رواه مسلم عن ابن عمر وذكره العيني في شرح الكنز ج ٣٠ ص ٢١٨ .

ومنهم من قال ان الله قد أنزل الحدود في كل معصية الا الخمر
ولو كانت حراما لأنزل الله فيها حدا معروفا .

وقال آخرون ان الله قال « فهل أنتم منتهون » ، فلم يعزم علينا
أى لم يأمرنا أمرا ..

وقد كبر على عمر هذا التأويل لكتاب الله واعتبره معصية أكبر
من شرب الخمر فجمع عمر الصحابة فرأوا :

أن من يحاول تأويل كتاب الله في الخمر حكمه كحكم المرتد
عن الاسلام يحل دمه على المسلمين ..

وأما من أقر بأن الخمر حرام وشربها فحكمه كمن يقذف
المحصنات لأن شارب الخمر لا يعي ما يقول وقد يسب ويقذف
وعقابه ثمانون جلدة ..

وبذلك أنهى عمر فتنة كادت أن تطل على الاسلام في أول
عهده ..

وعندما تولى عثمان الحكم عاد الى حد أبى بكر .. فكان يضرب
على الخمر أربعين اذا كان لأول مرة ومن عاد يضربه ثمانين .

علاج مشكلة الخمر :

ان الطريق الصحيح لعلاج مشكلة الخمر هو الجمع بين :

- التربية الدينية .
- والتثقيف الصحى
- فالطب وحده لا بد أن يفشل كعلاج .
- كما أن الوعظ الدينى وحده لا يحقق النتائج المرجودة دون
الاقناع العلمى والطبى .

• أول قاعدة في هذا العلاج هي « الوقاية خير من العلاج » •

ومعنى ذلك منع الخمر منعاً قاطعاً في المجتمع الإسلامي وذلك يشمل منع بيعها والاتجار فيها ومنع صنعها أو استيرادها وما أصدق قول رسول الله : « لعن الله الخمر ، وشاربها وساقها ، ومبتاعها ، وبائعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه وأكل ثمنها » (رواه ابن ماجه عن ابن عمر - الترغيب ج ٤ ص ٢٩٣) •

إن الإنسان بطبيعته يكون في أحسن حالاته الصحية إذا عاش على الفطرة التي خلقنا الله عليها •• وليس في فطرة الله مخدر ولا منه ولا خمر •• ولو نشأ الشباب والجيل الجديد في مجتمع لا يرى فيه الخمر ولا يسمع عنها فإنه لن يحس بفقدان شيء ، وسوف ينشأ في حياة صحية سليمة •

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن مدمن الخمر يبدأ هذه العادة محاربة لاهله أو أصدقائه •• وقد لا يكون بين هؤلاء سكير ولا مدمن للخمر ولكن استجابة الناس لهذه المسكرات تختلف من جسم إلى آخر ومن شخصية إلى أخرى ، فمنهم من يكتفى بجرعات صغيرة ويتوقف عند حد معين ومنهم من يصاب بالادمان بعد أول تجربة •• وكثيراً جداً ما يتحول الشخص المعتدل إلى مريض مدمن عندما تصادفه مشكلة كبيرة في حياته أو صدمة نفسية •• وكل واحد من هؤلاء المدمنين يعتبر في الطب مريضاً بالجسم والعقل والروح في وقت واحد •• ولذلك كان العلاج الأول هو العلاج الجذري أي منع الخمر من المجتمع منعاً قاطعاً •

وقد لوحظ بالتقصي والبحث العلمي أن معظم حالات شرب الخمر ترجع إلى أسباب ثلاثة :

السبب الأول : هو الاعتقاد السائد بين الناس بأن للحمر

الطب الوقائي - ٢٧٣

فوائد جنسية أو اجتماعية أو أنها ضد البرد . . . وقد سبق تفنيده
هذه المعتقدات فعلاجها يكون بالتحقيق الصحي والتوعية العلمية .

السبب الثاني : التخلص من مشاكل الحياة والهروب من
الواقع .

السبب الثالث : الفراغ والملل . وخير علاج لهذين العاملين
الآخرين هو بعث العقيدة الدينية في نفوس الشباب ، فالدين يعطي
الانسان هدفا وغاية ويبعث في النفس الشجاعة لمواجهة الحياة بدلا
من الهروب من المشاكل بالمخدرات والمسكرات .

هل يشهد المؤمن مجلس الخمر ؟ :

لا يجوز للمسلم المؤمن أن يحضر مجلس الخمر الا اذا أراد
بحضوره الاصلاح والتوجيه .

اما أن يجلس معهم من باب الرفقة والتسلية أو من باب
المجاملة ولو لم يشرب فهذا حرام . . . فالله تعالى يقول في وصفه
للمؤمنين : « **والذين لا يشهدون الزور** » وكلمة الزور هنا لا تقتصر
على المعنى الدارج وهو شهادة الزور فهذه من أقصى درجات الباطل .
ولكن القصد منها أن المؤمن الحق لا يحضر مجلسا فيه زور أى باطل
أو أمر حرمه الله ولو كان في حضوره متفرجا ورسول الله يقول :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار
فيها خمر » (رواه البزار عن ابن عمر - الترغيب ج ٤ ص ٣٠١) .

والا فان المؤمن مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا
جلس في مجلس خمر أو باطل فعليه أن لا يكون سلبيا يتفرج على
الآخرين . بل عليه تقديم النصيح والارشاد بالحسنى ولو اقتضى

الأمر منه حضور مجلسهم لهذا الغرض وليس للمجاملة فهذا أمر
لا بأس به بل هو جهاد في سبيل الله يجرى عليه .

والمؤمن الحق المتمسك بدينه تكون له همة وحياء في نفوس
الناس فلا يقدمون على عمل الباطل في حضوره .

أما إذا خاف المسلم من نفسه ضعفاً خيال الخبر أو يثس من
اصلاح الجماعة فعليه أن يعتزلهم ويتجنب مجالسهم

المخدرات ٠٠ فى العلم والطب والدين

« كل شيء أسكر فهو حرام وكل مفيية حرام »

(حديث شريف)

مشكلة المخدرات هى احدى القضايا الهامة والخطيرة فى عالمنا العربى والاسلامى بحيث يجب أن يعلم المسلم كل شيء عن أخطارها ومساوئها وعواقبها كما يجب على كل داعية الى الاسلام أن يدرس كل شيء عنها ٠٠

فيعرف أنواعها ومصادرها وتاريخها ٠٠ وتأثيرها على عقل الانسان وجسمه ٠٠ ويعرف أهم من ذلك طرق علاجها والوقاية منها ٠٠ فبغير هذه المعلومات الحيوية لن يكون للداعية الاسلامى تأثيره المقنع وحجته القوية حين يكتفى بالقول أن المخدرات حرام ٠٠ ولن تكفى النصيحة والوعظ وحدهما لانقاذ المدمن الذى يطلب المعونة والتوبة من هذه الآفة طالما لم يصاحب ذلك فهم جيد بأسلوب العلاج ووسائل الوقاية ٠٠

ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن هذه المخدرات لم تكن معروفة على عهد الرسول وانها لم تصل الى المسلمين الا فى وقت لاحق ٠٠ ولذلك لم ينزل فيها تحرير قاطع يتناولها بالاسم كما هو الحال فى الخمر مما جعل بعض أعداء الاسلام ودعاة الفساد يذهبون الى ابحاثها

أو التشكيك في تحريمها ٠٠ بل إن بعض الجهلة من العوام يحرم
شرب الخمر ويقبل على تعاطي المخدر فيهرب بذلك من شر إلى أشر
منه ومن حرام إلى ما هو أكثر حرمة منه ٠٠

وتكفي نظرة على تاريخ المخدرات ودخولها لأول مرة إلى العالم
الإسلامي لكي تدرك على أن من جاءوا بها إلى بلادنا وديارنا كانوا
يقصدون فعلاً إلى محاربة الإسلام وتحطيم الأمة المسلمة .

المخدرات في تاريخ العرب والمسلمين :

لم يعرف العرب المخدرات في الجاهلية ٠٠ ولم تدخل زراعتها
الجزيرة العربية ٠٠ وكانت أول مرة تدخل فيها المخدرات على يد
ملاحدة الفرس . فقد جاء في كتاب (الخطط) للمؤرخ العربي
« المقرئ » :

(وجاء إلى القاهرة أشخاص من ملاحدة العجم صنعوا الحشيشة
وخلطوها بالعسل وبعده أجزاء مجففة كعرق اللقاح وسموها العقدة
وباعوها خفية فشاع أكلها بين كثير من العوام . ثم زاد التجاهر
بها فظهر أمرها واشتهر أكلها وارتفع الاحتشام عن الكلام بها حتى
كادت تكون من تعف المترفين ولهذا غنيت السفالة على الأخلاق
وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من
القول وتفاخروا بالمعائب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة واتصفوا
بكل ذميمة من الأخلاق ووذيلة) .

ويروي الطبيب العربي ابن البيطار في كتابه (المفردات) :

(ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندي وهو يزرع به مصر
ويقال له الحشيشة وهو يسكر جداً إذا تناول الإنسان منه قدر
درهمين ٠٠ يخرج به إلى حسد الرعونة . وقد استعمله قوم فاختلفت
عقولهم وأدى بهم الحال إلى الجنون وربما قتلهم) .

ثم يقول : (ولم تكن الحشيشة معروفة فى الشام الى أن قدمها سلطان بغداد فارا من تيمورلنك فتظاهر أصحابه بآكلها فتعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها) .

وهكذا نجد أن أول من نشر المخدرات بين المسلمين هم الملاحدة العجم ثم سلطان فاضل مخلوع عاشر التتار .

وفى سنة ١٠٢٤ م ظهرت طائفة الاسماعيلية التى كونها « حسن الصباح » . وهو فارسى ملحد . . وكانوا يسمون (طائفة الحشاشين) لأنهم كانوا يؤمنون بأن اغتيال خصومهم واجب دينى . وكانوا يعطون أتباعهم الحشيش فى حفل دينى أشبه بطقوس المجوس ثم يطلقونهم فى حالة من فقدان الوعي والارادة لكى ينفذوا أوامر زعمائهم بالقتل والاغتيال . . وقد قتلوا الكثير من أئمة المسلمين وحاولوا قتل صلاح الدين أكثر من مرة .

وبعد هؤلاء يأتى دور الاستعمار البريطانى فى نشر تجارة المخدرات فى العالم فعندما احتلت بريطانيا الهند ابتدأت (شركة الهند التجارية الشرقية) وهى أول شركة استعمرت الهند . . ابتدأت تزرع الشاي والأفيون فى مزارعها وتصدرها الى أنحاء العالم وخصوصا الصين . . وعندما انتشر الأفيون فى الصين بفضل المهربين البريطانيين والبرتغاليين ونكب شعب تلك البلاد منه صحيا وماليا وتسربت أمواله الى بنوك بريطانيا . . عند ذلك أصدر الامبراطور (لن تسي) ١٨٣٨ مرسوما بتحريم تجارة الأفيون أو دخوله الى البلاد فقامت بذلك حرب الأفيون بين بريطانيا والصين التى استمرت عامين واثنت بهزيمة الصين واضطراها الى عقد معاهدة مع بريطانيا تسمح لتجار الأفيون الانجليز ببيعه فى بلادها ولا تعرض لهم .

وكانت المخدرات قد اختفت من مصر والعالم العربي بعد أن حاربها صلاح الدين وغيره من السلاطين . فقد جاء فى كتاب المقرئى :

(ثم جاء الأمير سودون الشيخوخى - رحمه الله - فقتب الموضع الذى يعرف بالجنينة من أرض الطباله بباب اللوق وعسكر ببولاى فأنتلف ما هناك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يبتلعها من أطراف الناس ورذائلهم وعاقب على فعلها بقلع الأضراس فقلع أضراس كثير من العامة) .

وهكذا تخلصت مصر قلب العالم الاسلامى النابض من شرور هذه المخدرات قرونا طويلة الى أن جاء الاستعمار البريطانى .

وكان من سياسة الاستعمار البريطانى المرسومة اضعاف الشعوب العربية والاسلامية وافقارها عن طريق نشر المخدرات ، فكانت بريطانيا تزرع الحشيش والأفيون فى فلسطين ، والهند ، وتصدره الى العالم العربى ومصر . ولم تستطع أى حكومة محلية عربية أن تمنع دخول المخدرات الى بلادها بطريقة حاسمة بسبب تدخل المندوب السامى البريطانى . . . وعندما كونت مصر فرقة خاصة من حرس الحدود (الهجانة) لمكافحة المخدرات أصرت بريطانيا أن يكون رئيسها ضابطا بريطانيا فكان فى الواقع ينظم ويسهل وصول المخدرات الى طالبها وتجارها تحت اسم مكافحة المخدرات .

ثم جاءت حكومة الثورة فى مصر سنة ١٩٥٢ م فأصدرت أول قانون حاسم يقضى بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على من يتجر بالمخدرات .

وكان المأمول أن يقضى هذا القانون على تلك التجارة المخربة . . . ولكن كانت اسرائيل قد حلت مكان بريطانيا فى فلسطين وأخذت

تتفنن وتتوسع في زرع المخدرات وتصديرها الى البلاد العربية بشتى طرق التحايل سواء بالرأى بالبحر أم بالجو ٠٠ وكان لها من ذلك ثلاثة أهداف :

١ - تحطيم الأمة العربية صحيا ومعنويا باغراق أسواقها بمخدرات رخيصة .

٢ - تحطيم الاقتصاد العربى اذ ذكرت بعض الاحصاءات الدولية أن دخل اسرائيل من تهريب المخدرات الى البلاد العربية يبلغ سنويا ٤٦ مليونا من الجنيهات .

٣ - تمويل عمليات التجسس داخل العالم العربى من دخل المخدرات ٠٠ فكانت تدفع لجواسيسها بدلا من المال شحنات من المخدرات .

ومن كل هذا التاريخ الأسود للمخدرات نرى مدى خطرها على الاسلام والمسلمين وأهمية مكافحتها عن طريق الدين والتوعية فى المساجد واقناع الناس بمدى ما فيها من اثم وحرمة ٠٠

المخدرات من الناحية العلمية :

اصطلحت الهيئات العلمية على اعتبار المخدر هو أى مادة تحتوى على عناصر تحدث تأثيرا فى عقل الانسان وعواطفه سواء كان هذا التأثير منها أو مسكنا .

فمن المخدرات المنبهة : الكوكايين والبنزدرين .

ومن المخدرات المسكنة :

(أ) مشتقات الأفيون كالморفين والهروين والكوايين .

(ب) مخدرات غير أفيونية : مثل الحشيش والكحول .

وهناك تقسيم آخر للمخدرات الى :

(أ) مخدرات طبيعية : وهي عبارة عن نباتات وأعشاب
مثل : القات - والأفيون - والحشيش .

(ب) مخدرات كيميائية : وهي عبارة عن مستخلصات تحضر
بطريقة كيميائية ومنها : الكحول - الكوكايين والمورفين والهرويين
والميرجوانا .

وهكذا نجد ان التقسيم العلمى يجعل الخمر كواحد من
المخدرات وتنطبق عليه جميع قوانين المواد المخدرة . . . ولهذه الحقيقة
العلمية أهمية كبيرة وحيوية عندما نتحدث عن رأى ادين فى
المخدرات .

مواطن زراعة واستهلاك المخدرات فى العالم العربى والاسلامى :

يزرع الأفيون بكثرة فى ايران وتركيا . ويزرع القات فى
اليمن .

وأكثر مستهلك للمخدرات فى العالم العربى هو اليمن ويليه
مصر وشمال أفريقيا والسودان ثم سوريا ولبنان . . . وقد جاء فى
تقرير لهيئة الصحة العالمية أن ٨٠ ٪ من سكان احدى البلاد العربية
يتعاطون المخدرات (القات) رجالا ونساء وفى بلاد أخرى تبلغ النسبة
٢٥ ٪ بين الرجال وهذه الاحصائيات تبين لنا جسامه المشكلة
وأهمية دراستها وعلاجها .

أسباب انتشار المخدر فى العالم العربى :

- ١ - الجنس : اذ يعتقد العوام أنها مغيبة ومقوية للجنس .
- ٢ - عادة ختان البنات : اذ أنها تؤدي الى البرود الجنسى
عند المرأة .

- ٣ - المشاكل العائلية والفقر والحزن .
- ٤ - الكبت الجنسي وعدم وجود الحياة الاجتماعية والتأخر في الزواج .
- ٥ - عدم وجود المسليات البريئة كالنواى الرياضية والاجتماعية .
- ٦ - ضعف الوازع الدينى والتربوى .
- ٧ - تهاون الحكومات المحلية فى التوعية والعلاج والاكتفاء بالاجراءات البوليسية .

التأثير الأخلاقى والصحى للمخدرات :

المخدرات تؤدى الى تحطيم شخصية المدمن وهو ما يسميه علماء النفس بتفكك الشخصية . ومن مظاهر هذا التفكك الفشل فى العمل والحياة فتجد المدمن ينتقل من عمل الى آخر ومن وظيفة الى أخرى الى أن يخسر كل فرص العمل والرزق ويستسلم للبطالة .

والمدمن متقرب العواطف . . يكره بسرعة ويحب بسرعة . . عديم التحكم فى غرائزه وعواطفه . . لا يحترم مشاعر غيره من الناس . سبىء المعاملة لأهله ووالديه وقد يضرب أمه وأقرب الناس اليه .

وأكثر المدمنين مصاب بمركب النقص أو مركب العظمة . وكثير منهم يميل الى الشذوذ الجنسى . فمنهم الماسوشى ، أى الذى يتلفذ بأن يضرب ويعذب ويهان . . وهذا النوع ينقلب عند الكبر الى السادية ، أى يتلفذ بتعذيب غيره واهائه .

وهذا النوع الأخير اذا أصبح رئيسا في عمل أو مسئولا عن غيره من الناس يجد السعادة في تنقيص حياتهم وجرح مشاعرهم وانزال أقصى العقاب عليهم ..

وقد يقول قائل ان هذه الصفات التي يطلق عليها تفكك الشخصية قد توجد بدرجات متفاوتة في أناس عاديين. لا يتعاطون المخدرات .. ولكن القاعدة العلمية أن كل شخص من هذا النوع يكون لديه استعداد طبيعي للإدمان .. وأنه أسهل من صاحب الشخصية السليمة وقوعا في أسر المخدرات فاذا أدمن برزت هذه الصفات جميعا بصورة ملحوظة وخطيرة .

وأخيرا .. فان مدمن المخدرات اذا اشتد به الإدمان يبدأ في الانحراف فيكذب ويغش ثم يسرق ويقتل في سبيل الوصول الى يغيته .. والى جانب هذا من الملاحظ أن لكل نوع من المخدر تأثيرا مستقلا على الأخلاق فتعاطي القات يؤدي الى فقدان الإرادة والتفكير بحيث يمكن الإيحاء الى المدمن بعمل أي شيء ولو كان ضد رغبته فاذا رأى أحدا يبكي بكى معه واذا رأى أحدا يضرب نفسه ضرب نفسه مثله .

ومن أهم آثار الكوكايين اضطراب العقل وشعور المريض بالحشرات تزحف تحت جلده فتراه يخلع ملابسه في الطريق العام لكي يبيث عن الحشرات فيها !!

الآثار الطبية للمخدرات :

يختلف الأثر الأول للمخدر من نوع الى آخر . فالمخدرات المنبهة كالأفيون تحدث نشاطا في الجسم وشعورا بزوال التعب . أما المخدرات المسكنة كالحشيش والخمر فانها تزيل الآلام والتعب

عن طريق التسكين ليحل مكانه الانبساط والمرح وانطلاق
اللسان .

ولكن ما أن يتعود الجهاز العصبي للانسان على هذه الجرعة الصغيرة حتى لا تعود تحدث فيه هذا التأثير الأولى . فيضطر الشخص الى تناول جرعة أكبر كل مرة حتى يحصل على الأثر السابق . . فينتهي به الأمر الى الادمان مع جميع مضاعفاته . . وتؤثر المخدرات على الجهاز الهضمي فتفقد الشهية للأكل فينحل الجسم وتقل مقاومته للأمراض وتظهر البقع والقروح على الجلد . . وتحدث المخدرات ارتخاء عضلات الوجه والجفون فيبدو الانسان كالنائم أو التائه وتحمر العيون ويصبح التنفس صعبا وبطيئا ويقل الأوكسجين الواصل الى الدم وأخيرا ينتهي المطاف بالمدمنين الى الجنون أو الموت المبكر أو السجن المؤبد بسبب جريمة يرتكبها وهو في غير وعيه .

المخدرات والجنس :

من أهم دوافع الناس على تعاطي المخدرات الاعتقاد السائد أنها تقوى الجنس ، كما ذكرنا في حديثنا عن الخمر أن هذه المخدرات قد تفعل ذلك في أول أمرها فقط . . والتعليل العلمي لذلك يرجع الى أنها تخدر العقل الواعي فتزيل الخوف . ولكن مع تكرار استعمالها تبدأ في التأثير على الجهاز العصبي فتسبب الفتور والضعف الجنسي المزمّن وأكثر المدمنين تنهار حياتهم الزوجية والعائلية لأنهم عندما يدخلون في مرحلة الارتخاء والهبوط الجنسي يبدؤون بالتنقيص على زوجاتهم والتشكيك في سلوكهن لكي يغطوا عجزهم .

وأخيرا فانهم ينحرفون جنسيا . . وأكثر هؤلاء المدمنين يتلذذ

بتعذيب نفسه وبتعذيب زوجته واضطهادها وكثير جدا من حالات الفلأق فى المحاكم يرجع الى المخدرات سواء كانت الحمر أم الحشيش .

وقد قامت بعض الهيئات العلمية والطبية بأبحاث حول أسباب انتشار الحشيش فى بعض البلاد العربية فوجدت أن لهذا علاقة بعادة ختان البنات لأن هذه العادة تصيب البنت بالبرود الجنسى مما يضطر الزوج الى اللجوء الى المخدرات أملا فى أن يساعده ذلك على الإطالة الجنسية .

الوقاية من المخدرات :

١ - خير علاج للمخدرات هو الوقاية أولا . . فكما أسلفنا أن أخطر مرحلة فى المخدرات هى الخطوة الأولى التى يحاول الإنسان فيها تجربة شئ جديد من باب التغيير أو الملل . . وغالبا يتصور أنه سيجرب مرة واحدة ثم يمتنع ولكنه بعد قليل يعود الى التجربة مرة ثانية وثالثة الى أن يصبح مدمنا . . وهنا تبرز أهمية التثقيف الصحى والتوعية الدينية منجتمعين . . ويأتى دور رجل الدين فى التوعية أعظم من دور الطبيب والمشرف الاجتماعى وكافة أجهزة الاعلام لأن الناس فى العالم الإسلامى يتأثرون بأوامر الدين ونواهيه أكثر من تأثرهم بغيره . . ولهذا نقول ان من واجب رجل الدين أن يعلم ويدرس كل شئ عن هذه المخدرات وأضرارها وأن يكون ملما بطرق الوقاية وطرق علاج المدمن حتى يقدم المساعدة الفعالة الى من يلجأ اليه طالبا العون والتصيحة .

٢ - ويجب الاكثار من مصحات علاج المدمنين وعدم تركهم يبنشرون هذه الرذيلة فى الخفاء كما يجب عدم اللجوء الى الطرق البوليسية الا بعد استفاد كل وسائل الاقتناع والعلاج الطبى والنفسى

والتربوى والاجتماعى فهذه الوسائل البوليسية وحدها لاتزيد على أن تنقل الادمان من العلن الى السر .

٣ - ويجب ابطال عادة ختان البنات الا فى حدود ما علمنا الاسلام كما أسلفنا وهى سنة من سنن الفطرة ويبقى الآن دور التوعية الدينية لفهام الناس ما فيها من خطأ .

٤ - نشر وسائل الترفيه وخصوصا فى الأرياف بتشجيع النوادى الرياضية والاجتماعية وحفلات السمر البرى .. ونشر الهوايات بين الشباب .

علاج المدمن :

إن المدمن لا يستطيع التوقف عن المخدر من نفسه ودون علاج حاسم وصبر طويل لأنه اذا حرم من المخدر فجأة شعر بالآلام نفسية وجسدية لا طاقة له بها .. وتبدأ هذه الأعراض بعد الحرمان باثنتى عشرة ساعة فقط .. وقد ينقلب بسبب هذه الآلام الى وحش كاسر أو قاتل أو سارق وبعضهم يضطر الى بيع دمه ليحصل بئس منه على المخدر .. والعلاج الوحيد أن يدخل مصحاً خاصاً حيث يعطى جرعات من نفس المخدر تقل بالتدريج حتى يزول الادمان ويعطى فى نفس الوقت مواد مضادة لهذا المخدر الى جانب العناية بصحته العامة .. ويجب أن يلحق بكل من هذه المصحات رجل دين يكون دارساً لعلم النفس وعلم الاجتماع أيضاً كما هو حادث فى المصحات الأوروبية .. فقد وجد أن من أهم الوسائل لانجاح العلاج رفع معنويات المريض وتقوية عزيمته على الاقلاع عن الادمان .

رأى الدين في المخدرات :

ذكرنا أن من أهم أسباب انتشار المخدرات في العالم العربي اعتقاد العوام أن القرآن لم يحرمها كما حرم الخمر .. وهذا خطأ جسيم قد دفع المسلمون ثمنه غاليا .. وعندما نزل في القرآن أمره القاطع بتحريم الخمر .. جاء الناس من أنحاء الجزيرة العربية يسألون رسول الله عن المقصود بالخمر فمنهم من يسأل عن شيء يصنعونه من (الشعير) وكان رسول الله يسألهم (أمسكر هو ؟) فيقولون : نعم . فيقول الرسول : (كل شيء أسكر فهو حرام) . « رواه البخاري » .

وكان يعرف الخمر بقوله : (الخمر ما خامر العقل) « رواه الشيخان » .. أى أن كل شيء يؤثر على العقل يدخل في حكم الخمر أى أن كل مخدر خمر وأن المخدرات تشمل الخمور وغيرها .
وقد سبق أن بينا في التعريف العلمى للمخدرات أنها تشمل الخمر وتنطبق عليه كل أحكامها وعقوباتها ونواهيها .

وهكذا نجد أن حكم الشرع ينطبق مع حكم العلم فى أن كل مخدر يدخل فى حكم الخمر وكل خمر تدخل فى حكم المخدر .
ويلخص رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة بقوله : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) . « رواه أحمد » .

وفى هذا يقول الامام ابن تيمية عن المخدرات

(وحديثها بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم والأئمة لا يمنع من دخولها فى عموم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسكر فقد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى وكلها داخله فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة) .

ويقول ابن تيمية أيضا في كتابه : (السياسة الشرعية) :

(ان الحشيشة حرام • يجد متناولها كما يجد شارب الخمر من وجهة أنها تفسد العقل والمزاج وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظا ومعنى) •

وفى مذهب الحنفية ، أن من قال بحل الحشيشة زنديق مبتدع) •

ويقول الامام الحافظ بن حجر :

(ان من قال : ان الحشيشة لا تسكر - وانما هى مخدر - مكابر فانها تحدث ما تحدثه الخمر) • ويقول الامام ابن القيم :

(ان الخمر يدخل فيها كل مسكر : مائعا كان أو جامدا ، عصيرا أو مطبوخا فتدخل فيه لقمة الفسق والفجور - أى الحشيشة - لأن هذا كله خمر بنص قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر) • « رواه مسلم وغيره » •

وقد استفتى الامام ابن تيمية فى المخدرات فقال :

(هذه الحشيشة هى وأكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة لعقوبة الله • ففيها من المفسد ما ليس فى الخمر فهى بالتحريم أولى وقد أجمع المسلمون على أن السكر منها حرام • ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فانه يستتاب فان ناب والا قتل مرتدا لا يصل عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين • وإن القليل منها حرام أيضا بالنصوص الدالة على تحريم الخمر) •

وما ينطبق على تحريم أكل الحشيشة والمخدرات ينطبق أيضا

على تحريم الاتجار بها ونقلها وزرعها وتجارتها لقول الرسول : (ان الله حرم الخمر وثمنها) . . الحديث رواه أبو داود . . وقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيتها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتري له) . . رواه ابن ماجة والترمذى . .

أما عن القول بأن المخدرات أكثر تحريما من الخمر فذلك لأن الخمر تذهب العقل فقط ، أما المخدرات فانها تذهب العقل وتذهب المال وتذهب النفس ففيها ثلاثة آثام مجتمعة :

– أنها تذهب العقل لانها لا تؤدي فقط الى السكر ولكن أيضا الى الجنون فهي حرام .

– وأنها تذهب المال لأنها تؤدي الى البطالة أولا ولأنها أكثر كلفة من الخمر فهي لهذا حرام .

– وأنها تذهب النفس لأنها تؤدي بالمدمن الى الوفاة مبكرا في شبابه فهي لهذا أيضا حرام .

فهذه ثلاثة أسباب تجعل المخدرات أشد تحريما من الخمر .

والله الموفق . .

لحم الخنزير

الأسباب العلمية لتعظيمه في الاسلام

كثيرا جدا ما يتعرض أى فرد مسلم وخصوصا اذا كان يزور بلدا أجنبيا فى أوروبا أو أمريكا أو حتى فى آسيا الى سؤال هام حول الحكمة فى أن الاسلام قد حرم لحم الخنزير .

وبعض المسلمين قد يرد بأن هذا أمر جاء به الدين ونحن كمسلمين ومؤمنين بديننا علينا بالطاعة دون جدل ولا نقاش .

والبعض الآخر يقول ان الخنزير حيوان غير نظيف . . فهو يحب أكل الرمم والزبالة والبراز ولهذا حرم على المسلم أكله .

ولكن بهذا لو كان هذا الرد مدعما بالحقائق العلمية والبحث المعلى بدلا من الاكتفاء بالآراء النظرية فمن المعروف حتى الآن أن هناك خمسة أسباب طبية وعلمية تدعو الى تحريم لحم الخنزير :

السبب الأول : يرجع الى كثرة اصابة الخنزير بأنواع خطيرة من الديدان وأهمها دودة الثنينا *Taenia* ودودة التريكيننا *Trichinosis*

(أ) (الاصابة بدودة الخنزير الشريطية : **Pigtape-Worm**)

وقد يقول قائل ان البقر أيضا قد يتعرض لنوع مختلف من الدودة الشريطية وليس الخنزير وحده . وهنا وبالبحث العلمى تبرز لنا حكمة الله .

فهناك فارق كبير من ناحية الخطر على صحة الانسان وحياته
بين دودة الخنزير ودودة الحيوانات الأخرى .

لدودة الخنزير اسمها العلمي ساليوم *Taenia Solium* وذلك
لتمييزها عن دودة البقرة والمسماة ساجيناتا *Taenia Saginata*

وهناك فوارق ميكروسكوبية وعلمية بين الودودتين ولكن الفارق
الذى يهمنا هو مدى ضررها بالانسان . لدودة البقرة عندما تصل
الى أمعاء المصاب تصيبه بأعراض طفيفة ويمكن القضاء عليها بأدوية
بسيطة تعطى بالفم .

أما دودة الخنزير فانها لا تكتفى بالحياة فى الأمعاء فكثيرا
ما تكمل دورة حياتها فى جسم نفس الشخص المريض أو فى جسم
أى انسان آخر اذ تخرج الأجنة (اليرقات) من البيض وتخرق
جدار الأمعاء الى الدورة الدموية وتتوزع على الأجهزة الحيوية للجسم
حيث تتحوصل اليرقة فى غلاف سميك الجدار وقد تصل الى حجم
حبة الفول (٢ سم تقريبا) ومما يزيد خطرها أنها تفضل التحوصل
فى الجهاز العصبى (١) وتسمى الحوصلة *Cysticercus Cellulosa*

- فاذا كانت الحوصلة فى المنخ أصابت الانسان بالجنون أو
الشلل أو التشنجات العصبية .

- واذا كانت فى العين أصابتها بالعمى

- واذا كانت فى جدار القلب أصابته بالهبوط أو الذبحة
القلبية .

- وقد أثبتت الفحوصات المخبرية أن بين (٢) كل ١٠٠

Clinical Parasitology by "Faust and Russel". (١)

Clinical Parasitology by "Faust and Russel". (٢)

(مائة) ورم بالمخ أزيل بالجراحة وفحص ميكروبسكوبيا وجد أن ٢٥ منهم من دودة الخنزير أى بمعدل الربع .

ومعروف أن هذه الحوصلة فى مثل هذه الحالات لا تتأثر بالأدوية العادية التى تعطى بالفم لأنها تكون مغطاة بجدار سميك عازل وفى كثير من الأحيان تترسب مادة الكالسيوم فى الجدار .

وحتى اليوم لا يعرف العلم أسباب اتخاذ دودة الخنزير دون سائر الديدان لهذا المسار الغريب الذى يتنافى مع مبدأ المحافظة على النوع . وذلك لأن انتقالها من أمعاء الانسان الى التحوصل فى عضلات جسمه سوف يؤدى الى توقف دورة حياتها برغم أن المراجع العلمية تذكر أن اليرقة تعيش فى هذه الحوصلة الى مدة قد تزيد على ٢٣ عاما (٣) .

والتعليل الوحيد هو أن الخنزير ربما كان فى العهود السابقة للتاريخ يأكل لحم الانسان الميت وبذلك وحده تنتقل الدودة من الانسان الى الخنزير مرة أخرى وتكمل دورة حياتها .

وحتى عصرنا هذا لم يكتشف الطب الحديث أى دواء أو علاج لاصابة الانسان بحوصلة دودة الخنزير . العلاج الوحيد حتى يومنا هذا هو ازلتها بالجراحة . . اذا أمكن الوصول الى مكانها .

(ب) الدودة الشائبة التى تصيب الانسان عن طريق الخنزير هى
التريكيننا : Trichinosis — Trichinella Spiralis

وقد جاء فى إحدى الإحصاءات العالمية (٤) أن بين كل ٦ خنازير

(٧) Control of Communicable Diseases in Man by «John Gordan».

(٤) Control of Communicable Diseases in Man by «John Gordan».

فى امريكا يوجد واحد مصابا بهذا المرض • وبديهي أن هذه النسبة تزيد جدا فى البلاد المتخلفة وقد بلغ عدد المصابين من البشر فى العالم بهذا المرض سنة ١٩٠٧ (١) ٢٦ مليون إصابة •

ويذكر الدكتور جـ - جوردون أن كل طرق الوقاية عن طريق فحص لحم الخنزير أثبتت (٢) عدم فعاليتها علاوة على تكاليفها الباهظة كما أنها تعطى الانسان شعورا كاذبا بالسلامة من الإصابة بالمرض •

وأعراض الإصابة بالتريكينا فى الانسان تشمل ارتفاع الحرارة وتورم الوجه ونزلة معوية حادة وقد تؤدي الى هبوط القلب • وفى كثير من الأحيان يصعب تشخيص المرض ويعالج على أنه حمى عادية وخاصة أنه من الصعب اكتشاف الدودة عن طريق تحليل البراز •

ومن المهم أن نعرف أن الطب الحديث لم يكتشف حتى يومنا هذا أى علاج للإصابة بالتريكينا فى الانسان •

ومعنى ذلك أنه لا يوجد أى علاج طبى لهذين النوعين من ديدان الخنزير •

طهو اللحم لقتل الديدان :

من المعروف أن الطهو الجيد للحوم فى درجة لا تقل عن ٧٠°م ولمدة كافية قد تصل الى ٣ ساعات يمكنه أن يقتل جميع الديدان فى الغنم والبقر •• ولكن الخنزير يختلف عن لحم البقر فى سرعة

Parasitology for Medical Students, Dr. Adham A. Ragab, (١)

Control of Communicable Diseases in Man, by "John Gordan", (٢)

طهوه واستوائه أى أنه يستوى فى درجة حرارة أقل وفى مدة أقصر من غيره من اللحوم وأتذكر أننى عندما كنت أدخل أى مطعم للشوى فى أوروبا Grill كنت أطلب لحم بقر ويطلب زملائى الأوروبيون لحم خنزير ، فكان لحم الخنزير يأتىهم بعد عشر دقائق على النار فى حين أن مثيلتها من لحم البقر وعلى نفس النار كانت لا تأتىنى قبل نصف ساعة وربما أكثر .

ومن هنا تذكر المراجع العلمية (٧) أن لحم الخنزير يستوى على النار ويكون صالحا للأكل قبل أن تموت الديدان فيه وخاصة التى بالداخل .

وجدير بالذكر أن الوقاية الوحيدة المضمونة التى يراها الأطباء الوقائيون من الإصابة بهذه اللودة هى فى عدم (٨) أكل لحم الخنزير فى المناطق الموبوءة بهذا المرض وهذا هو نفس الحل الذى توصل اليه الاسلام منذ ١٤ قرنا من الزمان .

وأخيرا قد يقول قائل : ان العلم الحديث قد جعل الناس فى أوروبا يهتمون بنظافة الخنزير ويضعونه فى حظائر حديثة لا يأكل فيها الا الأعشاب والبطاطس والخضروات ولكن الملاحظ برغم ذلك أن ديدان الخنزير مازالت منتشرة فى أكثر أنحاء العالم وخاصة فى آسيا كلها وشرق أوروبا وجميع بلدان أمريكا اللاتينية وإذا كان مجموع المصابين بديدان الخنزير فى العالم حستب آخر احصائية سنة ١٩٤٧ كانوا ٢٩ (٩) مليونا من البشر فلا بد أن هذا العدد قد تزايد الآن .

Clinical Parasitology by «Faust and Russel». (٧)

Clinical Parasitology by «Faust and Russel». (٨)

Parasitology for Medical Students, Dr. Adham A. Ragab. (٩)

السبب الثانى : أن لحم الخنزير أكثر قابلية لنقل جميع الأمراض الميكروبية المعدية من كل اللحوم الأخرى .

فقد جاء فى نشرة هيئة الصحة العالمية سنة ١٩٥٣ أن مخبراتها فى الدانمارك التى تقوم (١٠) بفحص أنواع الدوم الحيوانية قد وجدت أن لحم الخنزير هو أكثر قابلية للتلوث ونقل الميكروبات . وقد وجد أن ٦٠ ٪ فقط من لحوم الخنازير فى الدانمارك خالية من الميكروبات Sterile والباقي ٤٠ ٪ يحمل أنواعا مختلفة من الميكروبات المعدية وغير المعدية . كما جاء فى النشرة أن الميكروبات الشديدة العدوى فى لحوم الغنم لا تزيد عن ٣ ٪ فى حين أن هذه النسبة فى لحم الخنزير ١٤ ٪ أى أكثر من أربعة أضعاف . وجاء فى تحليل ذلك أن نسبة التعادل القلوى PH فى لحم الخنزير PH Above 65 تكون عالية مما يساعد على سرعة نمو الميكروبات فى عضلاته وسهولة معيشتها فيها سواء كان حيا أم بعد ذبحه . فإذا كانت هذه النسب فى خنازير الدانمارك أنظف بلد فى العالم فما بالك بغيرها من البلدان . ومن هذه الحقيقة نرى أن لحم الخنزير هو أسرع اللحوم الى التلوث وخاصة فى المناطق الحارة .

السبب الثالث : آكلات اللحوم محرمة على الانسان :

ولكى نفهم هذا السبب علينا أن نسأل أنفسنا أولا . . لماذا لا يأكل الانسان القطط والكلاب والذئب والثعلب ؟ بل لماذا لا يأكل لحم أخيه الانسان وربما كان لحمها ألذ من غيره وأكثر فائدة لجسمه ؟ وما هو شعور أى فرد منا لو قيل له وهو يهتم بأكل لحم أن هذا ليس لحم أرنب ولكنه لحم قط أو كلب أو قيل له ان هذا ليس لحم بقر ولكنه لحم انسان ؟ .

لا شك أننا نصاب بالغثيان والقيء ..

ويرجع ذلك الى حقيقة علمية هامة ..

فمن المعروف أن الحيوانات تنقسم من الناحية العلمية الى نوعين :

(أ) قسم يسمى آكلات العشب Herbivora مثل الغزال والجمال والبقر والغنم والأرنب .

(ب) وقسم يسمى آكلات اللحوم Carnivora مثل الأسد والذئب والثعلب والكلب وتعرف آكلات اللحوم علميا بأنها ذات الناب لأن لها أربعة أنياب كبيرة في الفك العلوى والسفلى . ويعتبر الخنزير حسب هذا التقسيم العلمى من آكلات اللحوم لان له أنيابا كبيرة لا يوجد مثلها في الغنم والبقر .

وهذا التقسيم العلمى لا يقتصر على الحيوانات وحدها بل يشمل الطيور أيضا اذ تنقسم الى آكلات عشب ونبات كالدجاج والحمام .

والى آكلات لحوم كالصقور والنسور والغراب والحداة والتميز العلمى بينهما أن الطائر آكل اللحوم له مخلب حاد يقتل فريسته ويمزقها ولا يوجد مثل هذا المخلب فى الطيور المستأنسة والداجنة .

ومنذ عرف الانسان الحضارة حتى يومنا هذا لم يحاول أكل لحم الحيوانات أو الطيور آكلة اللحوم الا فيما ندر وفى الظروف القاهرة أو فى بعض القبائل المتخلفة جدا .

ومن الحقائق المذهلة أن الاسلام قد حدد هذا التقسيم العلمى ونبه اليه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان . اذ يقول رسول الله :

« حرم على أمتي كل ذى مخلب من الطير وكل ذى ناب من السباع » .

والسؤال الآن هو : لماذا يحرم أكل هذه الحيوانات ؟ • ونقول ردا على ذلك :

١ - لأن هذه اللحوم تصيب أكلها بالضراوة والميل الى العنف
للاسباب الآتية :

(١) من المعروف فى علم التغذية أن الاكثار من أكل اللحوم عامة وبصرف النظر عن نوعية هذه اللحوم يؤدى الى ارتفاع الضغط وسرعة الانفعال وهياج الأعصاب (١١) • وقد نبه الاسلام الى هذه الحقيقة قبل أن يقررها علماء التغذية فى عصرنا الحديث • فرغم أن الاسلام قد نهى عن المذاهب النباتية وحث على أكل اللحوم الا أنه قد نهى عن الاكثار منها اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اياكم والاكثار من اللحم فان اللحم ضراوة مثل ضراوة الخمر » ويقول أيضا : « لا بارك الله فى أهل بيت لحمين » ولكنى تقدر مدى هذه الضراوة عليك أن تقارن بين حيوانين أحدهما كل أكله لحم كالذئب والثعلب وبين آخر كل أكله العشب كالغزال والغنم • وحتى بين الحيوانات المستأنسة قارن بين القط فى شقاوته ومكره وبين الأرنب فى مسامحته ووداعته •

وقد لاحظت أثناء زيارتى للمكسيك والبلاد التى تهوى المراهنة على قتال الديوك أنهم يلجأون الى اطعام هذه الديوك المقاتلة باللحوم بدلا من الحبوب لكى تزداد ضراوة وحيا فى القتال والقنال مما يجعل هذه الطيور لا تكتفى بانهاء القتال قبل أن يقتل أحدها وهو أمر مخالف لطبيعتها فى الحياة العادية •

Nutrition in Health Disease, «Cooer and Banber». (١١)

(ب) من المعروف أيضا أن نوعية اللحم الذى تأكله الشعوب المختلفة يؤثر على طبائع هذه الشعوب بسبب احتواء هذه اللحوم على سميات ومفرزات داخلية ناتجة عن عملية (١٢) التمثيل الغذائى التى كانت تجرى فى جسم ذلك الحيوان وهذه المفرزات والهرمونات تحول فى دم الحيوان وفى عضلاته وتنقل الى معدة البشر فتؤثر فى أخلاقهم وطبائعهم • ولا يقتصر هذا التأثير على اللحم وحده بل على كل المنتجات الحيوانية وأولها اللبن • فلبن الحمير مثلا له تأثير على طبيعة الطفل الرضيع يختلف عن لبن الغنم •

والحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسته تفرز فى جسمه هرمونات ومواد تساعده على غريزة القتال واقتناص الفريسة ويقول الدكتور (س ليبج) المرجع فى علم التغذية أن هذه الافرازات تخرج فى جسم (١٣) الحيوان حتى وهو حبيس فى القفص عندما تقدم له قطعة لحم لكى يأكلها • ويعلل لنظريته هذه بقوله : « ما عليك الا أن تزور حديقة الحيوانات مرة وتلقى نظرة على النمر فى حركاته العصبية أثناء تقطيعه قطعة اللحم ومضعها فترى صورة الغضب والاكفهار مرسومة على وجهه • ثم أرجع بصرك الى الفيل وراقب حالته الودعية عندما يأكل العشب والحب وهو يلعب مع الأطفال ويحيى الزائرين » •

من هذه المعلومات نخرج بحقيقتين هامتين يمكن تطبيقهما على الخنزير :

الأولى : أن الخنزير بحكم انتمائه الى عائلة آكلات اللحوم أكثر عنفا وشراسة من الغنم والأبقار آكلات العشب • • ورغم أن

(١٢) الموسوعة الغذائية « على محمود عويضة » •

(١٣) نفس المرجع رقم ١٢ •

الخنزير الذى يباع فى الأسواق حاليا هو فصيلة من الخنازير الوحشية تم للانسان استئناسها منذ آلاف السنين الا أن هذا الخنزير المستأنس لاتزال فيه ضراوة أجداده . ومن المعروف عن أنثى الخنزير أنها كثيرا ما تصاب بحالات عصبية بعد الولادة كما يحدث للحيوانات المفترسة فتقتل أولادها كلهم أو بعضهم ثم تأكلهم . وقد تهاجم من يقترب منها من البشر بضراوة . . وعادة يضطر رعاة الخنزير الى خلع أنيابه وهو صغير حتى لا يصبح خطرا عندما ينكب . والملاحظ أن علماء العرب الأقدمين أمثال ابن سينا كانوا يقولون عن الخنزير هذه العبارة : « الخنزير منه الأليف والوحشى فهو وحشى » .

الحقيقة الثانية : أن أكل لحم الخنزير بصفة رئيسية فى طعام الانسان لابد بالتالى وبالبدئية أن يصيب أكله بشئ من الضراوة والعنف ولعل لحم الخنزير هو أحد أسباب ظاهرة العنف المستشرة فى المجتمع الأوروبى والأمريكى والتى ما زالوا فى حيرة من تعليل أسبابها .

٢ - تأثير هذه اللحوم على ترابط الأسرة والعفة الجنسية :

جاء فى بعض كتب الفقه (ومنها الموسوعة الفقهية باب الأطعمة ص ٤٧) أن لحم الخنزير قد يكون له تأثير سيئ على العفة والغيرة الجنسية . وهذه ظاهرة جديرة بالاهتمام والتحليل العلمى . لقد ذكرنا ان طبائع الانسان وأخلاقه تتأثر بنوع اللحوم التى يأكلها وبطبيعة هذه الحيوانات فى حياتها الخاصة . . ومن المعروف فى طبيعة الحيوانات آكلة اللحوم انها لا ترتبط بنظام الأسرة الواحدة . . وغالبا يكون للذكر أكثر من أنثى كما أن الأنثى لا ترتبط بذكر واحد . . وكثيرا ما يتعدى الذكر على اناث غيره ويقتله ليستولى على اناثه . . وقد لوحظت هذه الحالة فى معظم القبائل البشرية البدائية

التي تعيش على آكلات اللحوم ، حيث يقل الارتباط الأسرى ويعيشون حياة أقرب الى حيوانات الغابة . وربما كان لحم الخنزير هو أحد أسباب ضعف العفة الجنسية وظهور الكثير من الظواهر الشاذة مثل تبادل الزوجات والزواج الجماعي بين الكثيرين من شعوب العالم الغربى .

٣ - آكلات اللحوم أذكى من آكلات العشب :

لوحظ أن آكلات اللحوم أكثر وعياً وإدراكاً بما حولها . . فالكلب أذكى من الخروف والقط أذكى من الأرنب والأسد أذكى من الحصان وهكذا . . وهذا الذكاء يجعلها أكثر إدراكاً وفهماً لمعنى الذبح والقتل من آكلات العشب فأنت لا تستطيع أن تأكل كلبك لأنه يحس ويدرك ويتألم ويخاف مثلك ، وله مشاعر كمشاعرك . وربما كان من باب الانسانية والرحمة عدم ذبح مثل هذا الحيوان الذى يفهم ويخاف . ولهذا السبب تعتبر عملية ذبح الخنزير عملية شاقة وعندما يرى خنزير آخر يذبح فانه يصرخ ويحاول الهرب .

الخنزير له صفات آكلات اللحوم :

بعض الناس قد يعترض بأن الخنزير قد أصبح مستأنساً فى أوروبا فى حظائر ومزارع نظيفة يعيش فيها على أكل البقول والنباتات فلم تعد تنطبق عليه اليوم صفات آكلات اللحوم ونرد على ذلك بالنقاط الآتية :

١ - حسب التقسيم العلمى فان كل حيوان له ناب كبير لى يقطع به اللحم يعتبر من آكلات اللحوم والخنزير له أربعة أنياب كبيرة فى فكاه لا يوجد مثلها فى الغنم والبقر .

٢ - أن العبرة هنا ليست بنوعية الاكل وحدها ولكن بنوعية

الحيوان وطبيعته التي يتوارثها في دمه عن أجداده الأولين ٠٠ ومهما استؤنس الحيوان وحاولنا تغيير طعامه وطباعه فستظل فيه بعض صفاته الأولى المتوارثة وسيظل الثعلب ثعلبا والخنزير خنزيرا ولو تربيا في البيوت أو الأقفاص آلاف السنين .

٣ - ومعظم المراجع العلمية تضع الخنزير في فصيلة تسمى أومنيفارا Omnivara (١٤) وهي التي تأكل اللحوم والنباتات معا ومنها الكلب والقط والانسبان والخنزير وهي فصيلة وسط بين آكلات اللحوم وآكلات العشب .

٤ - وبرغم أن معيشة الخنزير في الحضائر النظيفة في أوروبا فما أن يخرج الى النصابة أو الحقل مع الرعاة حتى يقبل على التهام الفئران الميتة والرّم وإذا دهست سيارة عابرة أحد الخنازير فان القطيع يتجمع حول جثته ليأكله ويجد في ذلك لذة أكثر من البقول التي تقدم اليه .

٥ - وتذكر المراجع العلمية أن محاولة اطعام الخنزير على النباتات والخضراوات وحدها قد فشلت في أوروبا وأمريكا اذ وجد أنه لا ينمو النمو الكافي كغيره من الخنازير الطليقة وذلك لان أمعاءه ليست طويلة الطول الكافي للحياة النباتية مثل الغنم وقد وجدوا (١٥) ان الطعام المثالي له هو الذي يشمل وجبات من اللحم الى جانب النبات وغالبا يطعمونه لحم خنزير أو غنم أو خيل فهو لا يختلف في هذه الحالة عن الذئب أو الكلب .

من هذه الحقائق نجد أن كل ما ينطبق على آكلات اللحوم ينطبق على الخنزير مهما كان مستأنسا ويعيش على الأعشاب .

السبب الرابع : دهن الخنزير يسبب عسر الهضم ويزيد احتمال الإصابة بالذبحة القلبية وتصلب الشرايين .

من المعروف طبيا أن اللحوم المختلفة التي يأكلها الإنسان تتوقف سهولة هضمها في المعدة على كمية الدهون التي تحويها وعلى نوع هذه الدهون . فكلما زادت كمية الدهون كان اللحم أصعب في الهضم ومن هذه الناحية يحتوى لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن بين جميع اللحوم ثم يليه الغنم وأقلهم لحم البقر .

وقد جاء في الموسوعة (١٦) العلمية الأمريكية أن كل ١٠٠ رطل من لحم الخنزير تحتوى على ٥٠ رطلا من الدهن أى بنسبة ٥٠٪ فى حين أن الدهن فى الضأن يمثل ١٧٪ فقط وفى العجول ٥٪ .

وليست هذه هى المشكلة الوحيدة . ولكن نوع الدهن أيضا يختلف إذ ثبت بالتحليل أن دهن الخنزير يحتوى على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة (١٧) Complicated Fats منها تريجلسريدز Triglycerides وتبلغ نسبة الكوليسترول فى دهن الخنزير الى الضأن الى العجول ٩ ، ٧ ، ٦ ومعنى ذلك بحسبة بسيطة أن الكوليسترول فى لحم الخنزير ١٥ خمسة عشر ضعفا لما فى البقر . ولهذا الحقيقة أهمية خطيرة .

لأن هذه الدهون تزيد مادة الكوليسترول فى دم الإنسان Cholesterol وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعى تترسب فى الشرايين وخصوصا شرايين القلب وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط وهى السبب الرئيسى فى معظم حالات الذبحة القلبية والتي تسمى : القاتل رقم ١ فى أوروبا .

Science Encyclopedia, «McGraw-Hill», (١٦)

Clinical Parasitology by «Faust and Russel»; (١٧)

وقد ظهر من الاحصاءات التى نشرت عن مرض الذبحة القلبية وتصلب الشرايين أن نسبة الاصابة بهذين المرضين فى أوروبا أضعاف النسبة فى العالم العربى .

ونحن لا نريد أن ننكر أو نتجاهل أن التوتر العصبى الذى تخلقه الحضارة الحديثة فى المجتمعات الصناعية مثل أوروبا وأمريكا من أهم أسباب مرض الذبحة القلبية . وأن هذا التوتر أقل بكثير فى المجتمعات المتخلفة أو الزراعية ولكن العلم لا ينكر أيضا الدور الخطير الذى يلعبه الكوليسترول فى الذبحة وتصلب الشرايين وهكذا يجتمع العاملان معا فى المجتمع الأوروبى .

خامسا - الانفلونزا الخنزيرية القاتلة Swine Influenza

لقد اكتشف العلم الحديث أخيرا أن الخنزير يقوم بدور حامل الميكروب أو خزان للميكروب فى حالة وباء الانفلونزا الذى يعتبر فى العصر الحديث أشد الأوبئة فتكا فى العالم .

ولهذا السبب سميت الانفلونزا الخنزيرية لأن نوبات الوباء تظهر أولا بين المزارعين المشرفين على الخنازير .

هذه فيما أعلم بعض الأمراض والأضرار التى تنجم عن أكل لحم الخنزير وما زال الباب مفتوحا أمام أطباء وعلماء المسلمين الى مزيد من البحث لعلهم يكتشفون لنا أسبابا جديدة تبين حكمة الاسلام فى منع لحم الخنزير .

التدخين

فى التاريخ والعلم والطب والدين

لقد أصبحت السجائر والتدخين من العادات الملائمة لحياة الانسان فى عصرنا الحديث .. وقد أصبح الناس فى وقتنا هذا فى حيرة شديدة بين نوعين من الاعلان كل منهما ضد الآخر ويناقضه تمام المناقضة ..

فشركات التبغ والصحافة والسينما تقدم له اعلانات مغرية عن السجائر تقول له : (انها لذينة ومنعشة ومهدئة للأعصاب) الى غير ذلك من الاعلانات التجارية المنمقة ..

وفى نفس الوقت يجد الانسان اعلانات من الهيئات الصحية والأطباء والمجلات العلمية تقول فيه : (ان التدخين عادة قاتلة وضارة بالصحة وتجلب السرطان) ..

وقد أصبح المواطن العادى فى حيرة من أمره بين هؤلاء وهؤلاء ..

فما هى القصة الحقيقية للتدخين فى العالم ؟ .. ما هو رأى الأطباء وعلماء الاجتماع وعلماء النفس فيه ؟ وما هو رأى الدين ؟

لمحة تاريخية :

١ - كان أول من اكتشف الدخان (كريستوفر كولمبوس) مع اكتشاف أمريكا . فقد وجد الهنود الحمر يزرعونه ويدخنونه بكثرة .

٢ - وأول مرة عرفت أوروبا التدخين فى سنة ١٥٥٩ عندما

استورد البحار الفرنسي (نيكوت) الدخان الى فرنسا وقد سمي
النيكوتين على اسمه .

٣ - وهكذا لم يعرف العرب الدخان سواء في الجاهلية أم في
الاسلام ولكنه انتقل اليهم في العصور المتأخرة وإن كانت عادة
التدخين لم تنتشر في البلاد العربية والاسلامية الا مع دخول
الاستعمار في أوائل القرن العشرين .

٤ - وفي كثير من بلاد العالم وخصوصا في الشرق الاقصى
والصين كان التدخين مرتبطا بالمخدرات كالأفيون .

٥ - وفي بداية ظهور الدخان في أوروبا لم يستعمله أول الأمر
الا الرقاء والنساء الساقطات اذ كان المعتقد أن له علاقة بالجنس .

٦ - ثم انتشرت العادة الى الطبقات الراقية من الرجال أولا
ثم تلتهم النساء في الاقبال على التدخين ، وأخيرا بدأ الأطفال
والأولاد المراهقون في أوروبا وأمريكا بالتدخين علنا حتى أصبحت
العادة وباء منتشرا .

٧ - وفي سنة ١٩٤٨ اكتشفت الجمعية الطبية لمكافحة
السرطان في أمريكا علاقة سرطان الرئة بالتدخين . ولكنها لم تستطع
نشر تقريرها الا في سنة ١٩٥٢ بسبب تدخل شركات الدخان
وتهديدها .

٨ - ومنذ هذا الوقت ابتداء الصراع العلني بين الهيئات
الصحية في العالم كله وعلى رأسها جمعيات مكافحة السرطان وبين
شركات التبغ الفنية القوية النفوذ .

وتبلغ حاصلات تلك الشركات في أمريكا وحدها خمسة آلاف
مليون دولار في السنة الواحدة وهي ميزانية تكفي لتفسيخ القارة

الطب الوقائي س ٣٠٥

الافريقية كلها ٠٠ كما أن الحكومات تحصل على ضريبة مجزية من انتاج التبغ واستيراده وقد انضم الى شركات التبغ ومحصل الضرائب المستفيد الثالث وهم اصحاب الصحف في أمريكا اذ يبلغ دخلهم من اعلانات السجائر سنويا ٧٠ مليون دولار .

السيجارة ذات الفلتر والمحسنة :

ومنذ نشرت هذه التقارير الطبية نشطت شركات الدخان لمواجهة الحملة ، فأدخلت في سنة ١٩٥٣ السيجارة الكبيرة ذات الفلتر ، كما توصلت الى معالجة بعض أنواع التبغ كيميائيا للاقلال من النيكوتين بحيث أصبح نصف الكمية العادية . وهنا عكفت معامل البحث الطبى على دراسة هذه التغيرات وفوائدها ثم خرجت بالتقرير التالى :

١ - ان مادة النيكوتين فى السيجارة هى التى تسبب المتعة و (الكيف) لدى المدخن ٠٠ وان السيجارة تفقد طعمها عند الاقلال من النيكوتين بالفلتر أو بالتفاعل الكيميائى وهذا بدوره يضطر المدخن الى الاكثار من السجائر حتى يأخذ نفس الكمية من النيكوتين .

٢ - ان شركات التدخين لكى تحتفظ بالنكهة والطعم اضطرت الى التعويض باستعمال التبغ الخشن والاقوى مما زاد كمية النيكوتين .

٣ - ان المصفاة أو الفلتر تستطيع تنقية أو حجز ذرات القطران والدخان الكبيرة فقط ، أما الصغيرة وهى الأكثر ضررا فانها تنفذ الى الرئة عن طريق الفلتر .

وهكذا خرجت التقارير الطبية تكذب جميع ادعاءات شركات الدخان بأن التحسينات التى أدخلوها قد قللت أضرار السجائر .

المواد الضارة في الدخان :

أثبتت معامل التحليل الطبي أن دخان السجائر يشتمل على اثنتى عشرة مادة ضارة بالصحة فمنها :

١ - أول اكسيد الكربون : وهو غاز سام عديم الرائحة واللون .

٢ - ثانى اكسيد الكربون .

وهذان الغازان يعرمان الرئة والدم من كمية الأوكسجين اللازمة . . وقد أثبت العالم الأمريكى (دواين ماك فام لاند) الأستاذ بجامعة واشنطن أن التدخين يقلل الأوكسجين الواصل الى المخ بنسبة ١٥٪ وأن هذا يجعل المدخن أبطأ تفكيراً من غيره .

٣ - غاز كبريتيد الهيدروجين بكمية قليلة .

٤ - النشادر .

٥ - السيانييد وهو مادة سامة .

٦ - حامض الكربوليك .

٧ - بعض الحوامض الطيارة مثل الخليك والنمليك والنيترليك وهذه كلها يضيفها أصحاب المعامل للاحتفاظ بالدخان وطيباً .

٨ - نتروبيرين وهى مادة مسببة للسرطان .

٩ - القطران وهو يسبب سرطان الرئة ويعطى دخان السيجارة لونه الأسمر الداكن .

١٠ - الزرنيخ من المبيدات الحشرية التى يرش بها التبغ .

١١ - رماد ورق السيجارة .

١٢ - مادة النيكوتين التى تؤثر على الدورة الدموية .

وهكذا نجد أن أخطر هذه المواد جميعا هو : النيكوتين لتأثيره على القلب والقطران المسبب للسرطان .

النيكوتين :

ويرجع خطر النيكوتين الى وجوده بكمية كبيرة فى التبغ .
وقد وجد الباحثون أن كل عشرين سيجارة يحتوى دخانها الداخلى الى الرئة على ٦٠ مجم من النيكوتين . ومن المعروف طبيا أن هذه الكمية (٦٠ مجم) من النيكوتين اذا حقنت فى العضل مرة واحدة تكفى لقتل الانسان

وهناك نوع من الناس يدخن السيجارة فى فمه فقط للاقلال من أضرارها .

والنوع الآخر يدخن السيجارة داخل الرئة فيمتص ٩٠٪ من مادة النيكوتين .

آثار النيكوتين الطبية :

١ - تؤثر مادة النيكوتين على الأعصاب المحركة للعضلات فتضعف مفعولها مما يضعف الاشارة العصبية وهذا يضعف حركة عضلات الصدر والحجاب الحاجز وعضلات الأطراف ولذلك كان معظم المدخنين يصابون باللهثة من أى مجهود جسمانى .

٢ - تكبر فتحة العين مما يسبب الزغللة فى النظر وهو المرض المسمى زغللة التوباكو ٠٠ Tobacco Amplyopia

٣ - تنقص افرازات اللعاب مما يسبب جفاف الحلق والتهاباته وتقلل افرازات المعدة مما يسبب نقص الشهية وسوء الهضم كما

تقلل حركة المعدة والأمعاء مما يصيب أكثر المدخنين بالامساك المزمن .

٤ - والنيكوتين يسبب سرعة نبضات القلب وزيادة الضغط ويمكن التأكد من ذلك بقياس نبض شخص حديث العهد بالتدخين فسوف يزيد نبضه بعد أول سيجارة ٢٠ نبضة في الدقيقة .

٥ - ويسبب التدخين انقباض الأوعية الدموية في الجسم كله .

(أ) فانقباض أوعية الجلد ينقص الحرارة في الوجه والأطراف .

(ب) وانقباض أوعية المخ يسبب الصداع وبطء التفكير .

(ج) وانقباض أوعية القلب يعرض للذبحة القلبية .

(د) وانقباض أوعية الأطراف يسبب الرعشة وعدم الدقة في إصابة الهدف وإذا اشتدت الحالة أدى إلى مرض (برجر) الذي تظهر فيه قرح على القدم ثم غرغرينا .

التدخين وأمراض القلب :

١ - يسبب التدخين : تسرعا في نبضات القلب .

٢ - ويزيد احتمال الاضطراب في النبض .

٣ - ويؤدي إلى انقباض الشريان التاجي مما يعرض للذبحة القلبية .

٤ - وقد أثبت الدكتور (داوين ماك فارلاند) أن للتدخين علاقة بزيادة نسبة (الكوليسترول) في الدم وهي مادة تترسب في

أوعية القلب وتزيد ضيقها ٠٠ وقد وجد الباحثون أن الوفيات بالقلب في سن ٤٥ هي ١٥ وفاة لكل ألف شخص غير مدخن و ٢٥ وفاة لكل ألف شخص مدخن ٠٠ ولذلك فإن أول نصيحة يوجهها الطبيب الى المريض بالذبحة القلبية هي الامتناع كليا عن التدخين والكحول .

التدخين والسرطان :

أثبتت البحوث العلمية على ١٥٠٠ حالة مصابة بسرطان الرئة أن جميعهم (ما عدا ثمانية) من المدخنين .

كما أن سرطان الرئة يكثر بين الرجال ويقل بين النساء .

وقد أجرى أحد الأطباء تجربة طريفة : فأخذ بعض الخلايا الحية من رئة سليمة ووضعت تحت الميكروسكوب . ثم راح يراقب أهداب الخلايا وهي تتحرك في نشاط . ثم أخذ ينفث دخان السجائر على بعض هذه الخلايا فقلت حركة الأهداب وماتت الخلايا بعد عشرين دقيقة ٠٠ في حين أن مثيلتها التي لم تتعرض للدخان ظلت أهدابها تتحرك بنشاط لمدة ساعة كاملة .

ولا يقتصر سرطان الدخان على الرئة وحدها ولكنه قد يصيب الشفة واللسان والحنجرة والبلعوم .

ضرر التدخين بالمرأة :

١ - يسبب التدخين في البنات اضطرابات العادة الشهرية بحيث تتقدم أو تتأخر عن موعدها وسبب ذلك تأثيره على الغدة الدرقية .

- ٢ - وأثناء الحمل تصل كل منتجات الدخان من دم الأم الى دم الطفل مما يسبب له سرعة النبض واضطرابه .
- ٣ - وأثناء الرضاعة تصل هذه المواد مع حليب الأم الى الطفل .
- ٤ - وقد أثبت البحث احتمال حدوث عاهات وتشوهات في الأجنة من التدخين .
- ٥ - ويحدث التدخين ضعفا في عضلات الأم مما يسبب عسر الولادة .

هل تريد برهانا أكثر من ذلك :

إذا أردت التأكد بنفسك من أضرار التدخين فهذه بعض التجارب العلمية التي تستطيع أن تجربها على نفسك :

١ - استنشق دخان سيجارة ودعه يدخل الرئة ثم أخرجه تجده رائقا غير ملون لأن القطران الذي يعطى الدخان لونه الأسمر يترسب في الرئة ، والآن أعد التجربة مع حفظ الدخان في الفم فقط ثم أخرجه ثانية تجده أسمر داكنا لأن القطران يخرج كما هو .

٢ - التجربة الثانية - احضر حلقة متصلة بجرس كهربائي وفي الطرف الآخر سلك بحيث إذا لامس السلك الحلقة دق الجرس . . . وابدأ التجربة بعد أن تدخن سيجارة واحدة وستجد ان عدد أخطائك قد تضاعف مما يؤكد أن التدخين يسبب رعشة في اليد ويقلل القدرة على التحكم في الأطراف .

٣ - إذا زرت متحفا طبيا ودققت النظر في رئة رجل لا يدخن وأخرى لرجل مدمن التدخين لوجدت أن رئة المدخن سوداء من

الداخل وكأنها مدخنة للفحم فى حين ان الرئة الطبيعية السليمة تكون وردية اللون .

هل للتدخين اضرار نفسية واخلاقية :

كثير من الناس يتصور ان التدخين يريح أعصابه وينسيه همومه ويساعده على التركيز الذهني . ويرد علماء النفس على ذلك بأن الانسان عندما يشعل السيجارة ويراقب دخانها فى الهواء انما يتسلى بهذه العادة عن بعض مشاكله ومشاغله . فهو تأثر نفسى لا علاقة له بالتأثير الكيميائى للدخان ومن الممكن الاستعاضة عنه بأى عادة أو هواية غير ضارة بالصحة مثل سماع الموسيقى أو لعب الشطرنج أو حتى استعمال المسحة .

والتدخين من العادات القوية جدا التى تصل فى أغلب الأحيان الى حد الادمان . وما لم يكن المدخن ذا ارادة صلبة وعزيمة قوية فانه يصعب عليه التوقف عن التدخين مهما أصابه من اضرار .

وكثير من الناس يؤثر التدخين على أخلاقهم وتصرفاتهم ويغير مجرى حياتهم دون أن يشعروا بذلك ودون أن يعترفوا أو يقرروا به . ومثلهم فى ذلك كالسكران الذى يتمايل سكرًا فى الهواء ثم يؤكد أنه لم يشرب الا قليلا وأنه مسيطر على نفسه .

— فالفتى المراهق عندما يبدأ فى التدخين فى سن مبكرة يضطر أن يفعل ذلك خفية عن والديه ويضطر بالتالى الى الكذب اذا سئل فى ذلك وفى كثير من الأحيان يضطر الأولاد الى سرقة الدخان أو سرقة المال لشراؤه . فتفسد السجائر أخلاقهم بعد أن تفسد صحتهم .

- وتؤثر عادة التدخين على الكبار أيضا نفسيا وأخلاقيا ٠٠
فكثير من الرجال يصبح قلقا عصبيا سريع الغضب اذا حرم من
السجائر لأى سبب أو اذا اضطر الى الامتناع عنها بسبب الصوم
أو بسبب أمر الطبيب ٠

- ومن الناس من لا يستطيع التركيز لقراءة كتاب أو أى عمل
ذهنى الا والسجارة فى يده ، ومنهم من لا يستطيع القيام من فراشه
لعمل الصباح أو الذهاب الى النوم الا بعد تدخين سيجارة ٠

- وقد برزت أخطار عادة التدخين ومدى سيطرتها على حياة
الناس فى ظروف الحرب العالمية الأولى والثانية ، فعندما كانت
السجائر تشح أو توزع بالبطاقات كان المدخنون يصابون بحالات
عصبية وكانت معنوياتهم بالتالى أقل من غيرهم واذا سمح لهم
بالتجول بعد الغارات الجوية الطويلة فانهم يتهافون أول أمرهم على
محلات بيع السجائر ولا يهمهم بعد ذلك أن يحصلوا على طعامهم !!

وقد قام أحد علماء الاجتماع ببحث طريف فى معتقلات الأسرى
فى الحرب وفى السجون فوجد أن بعض الضباط الأسرى كانت
لا تكفيهم كمية السجائر التى توزع عليهم يوميا وكان بعضهم
لا يتورع عن القيام بأى خدمات لزملائه الذين لا يدخنون لكي يحصل
على نصيبهم ولو اضطر الى مسح أحذيتهم أو غسيل ملابسهم ٠

ويروى طبيب أمريكى أن شخصا أصيب بمرض (برجر)
وهو حالة تصيب القدم بقرح كبير قد تؤدى الى (الفغرغرينا)
ويرجع سببه الرئيسى الى تأثير مادة النيكوتين فى الدم ٠٠ أخذ
الطبيب يشرح لمريضه أن علاجه الوحيد يتوقف على اقلاعه عن
التدخين ٠٠ وذات يوم دخل الطبيب حجرة المريض فجأة فوجده
يدخن فقال له غاضبا : (اما أن تقلع عن التدخين واما أن نضطر

الى قطع رجلك فاختر بينهما) فآخذ المريض يفكر ثم قال : (أتقطعها
فوق الركبة أو تحت الركبة) ١١٩٩

ومن الطرائف التي تروى أيضا أن أستاذًا في كلية الطب
وقف يحاضر طلبته عن أضرار التدخين .. وعقب خروجه من
المحاضرة أشعل سيجارة .. فقال له أحد الطلبة : هل الامتناع عن
التدخين صعب الى هذا الحد . فقال الأستاذ : كلا يابني .. انه أمر
سهل جدا . والدليل على ذلك أنني قد امتنعت عنه أكثر من
ألف مرة) .

التدخين في الدين :

لم يكن التدخين معروفا على عهد الرسول .. ولم يأت ذكره في
أى دين من الأديان .. كما أنه لم يأت ذكره في القرآن أو أحاديث
الرسول .. ولكن هناك قواعد عامة معروفة ومحددة .

القاعدة الأولى :

هى قول الرسول (الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام
ما حرم الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا لكم) « رواه
الترمذى وابن ماجه » . وقوله « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها
وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن
أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » (رواه أحمد وغيره) .

من هذه القاعدة نجد أن كلمة الحرام والحلال هى من حق
الله وحده وهى كلمة خطيرة لا يمكن إطلاقها على أى شئ لمجرد
الاجتهاد ، ومن الخطأ وضع السجائر فى باب الحرام أو الحلال .

القاعدة الثانية :

ان الأشياء التي قد تضر بالصحة ولكنها ليست مغيبة للوعي أو مسكرة ولم يأت تحريمها في الكتاب أو في السنة تعتبر مكروهة في الدين . . وقد كان فقهاء الاسلام اذا سئلوا في أمر كهذا قالوا : (هذا مكروه وهذا لا بأس به . أما أن نقول هذا حلال وهذا حرام فما أعظم هذا) .

وعلى ذلك فان التدخين مكروه شرعا لثلاثة أسباب :

- لضرره بالصحة .
- لاتلافه المال دون فائدة .
- لأنه يربى الانسان مما قد يعوق عن الصلوات أو العبادات .

متى يصبح التدخين حراما ؟ :

الاسلام يحرم أى عمل ضار بالانسان وسواء كان هذا الضرر خطرا على حياته وصحته أو كان خطرا على رزقه ورزق أولاده . فهنا يكون الإقدام على هذا العمل محرما لان الله تعالى يقول : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » والرسول يقول : « لا ضرر ولا ضرار » وعلى هذا فهناك حالات يكون فيها التدخين حراما . ومن يقدم عليه وهو يعلم بضرره يرتكب اثما كمن يقتل نفسه أو يضر بغيره ومن هذه الحالات :

(أ) المرض الذى يصبح معه مواصلة التدخين انتحارا وأوله مرض الذبحة القلبية .

ومرض موت الأطراف (الفرغرينا) الناجمة عن تصلب الشرايين فى القدمين ويسمى (مرض برجر) . مرض سرطان الرئة والتهاب الرئة المزمن .

- (ب) كما يحرم التدخين على غير البالغين لأنه يؤدي في هذه السن الى الانحراف الخلقي الى جانب اضراره الصحية .
- (ج) كما يحرم على من لا يقدر عليه ماديا بحيث يضطر الى حرمان نفسه من الطعام الضروري أو حرمان أولاده من نعم الحياة .
- (د) ويحرم على الأم المرضع والحامل .

كيف تمتنع عن التدخين ؟ :

- ـ ان الوسيلة الاولى لابطال أى عادة سيئة هي المعرفة . .
- أى دراسة مدى اضرارها وخطرهما على الصحة والاقتناع بعواقب الاستمرار فيها . . ومن الأشياء التي تزيد اقتناعك أن تزور أحد المتاحف الطبية لترى اللون الفحمرى الأسود لثرثة المدخنين وترى بنفسك بعض أنواع سرطان الرئة والحلق واللسان .
- ـ وبعد المعرفة فى التأثير تأتى العزيمة والارادة .

ويرى علماء النفس أن مما يقوى عزيمة الإنسان وإرادته أن يعلن الى جميع أصدقائه وأهله عن موبد محدد لترك التدخين أو أن يقسم قسما أمام الله . ويفضل الأطباء طريقة ترك التدخين فجأة بعكس من يرون الامتناع التدريجى . ونحن نرى أن خير فرصة لابطال عادة التدخين هي شهر رمضان المبارك . ففي أثناء الصيام تقل مادة النيكوتين فى الدم الى حد أدنى ويسهل على الصائم ان يتخلص من عادة الادمان التي تسببها هذه المادة . . ومن المعروف أن الأسبوع الأول يكون دائما أصعب فترة على المدخن فاذا اجتاز هذه المرحلة سهل عليه الاستمرار والصمود .

ـ وهناك عدد من الأدوية والعقاقير التي تساعد على الاقلاع عن التدخين فى الصيدليات . منها أقراص سكرية تعوض عن

السيجارة ومنها مضمضة أو غسول قابض للفم ومنها أقراص (لوييلين) ويباع تحت اسم (لوبيدان) ويؤخذ منه قرص ثلاث مرات فى اليوم بعد كل وجبة لمدة أسبوع • وهو يجعل الانسان يكره الدخان (ولا يستعمل الا تحت اشراف طبي) •

— ولا ريب أن المدخن عندما ينتصر على نفسه ويحس بالراحة وزوال السعال الذى كان يلزمه وانفتاح شهيته للأكل واقباله على الرياضة والحركة بنشاط الى جانب زوال الصداع والبلغم فسوف يكون ذلك خير مشجع على الصمود والاستمرار •

عسل النحل

فى العسل ١٩ مادة مفيدة للجسم

العسل فى التاريخ والأديان :

لم يحدث أن اهتم الانسان بغذاء معين قدر اهتمامه بعسل النحل •• وقد وجد عسل النحل مخزوناً فى مقابر الفراعنة منذ أكثر من خمسة آلاف سنة اعتقاداً منهم أن الانسان اذا قام يوم البعث سوف يأكل العسل فيسترد بذلك عافيته وقوته والغريب أن هذا العسل قد احتفظ بطعمه وخصائصه فى الآنية التى وضع فيها ولم يتغير فيه سوى لونه الذى أصبح يميل الى السواد •

وورد ذكر العسل فى أشعار قدماء الهنود وفى أناشيدهم المقدسة كغذاء ودواء • ولقد ورد ذكر العسل فى التوراة أيام النبي يعقوب عليه السلام حين سافر أولاده الى مصر اذ نصحتهم بتقديم قدر من العسل الى فرعون مصر كهديّة •

وقد اهتم الاسلام بالعسل .. فقال الله تعالى عنه :

- « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس »
- ويؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث نبوى على أهمية العسل وعلى قيمته الغذائية والعلاجية .. فيقول صلى الله عليه وسلم :
- « نعم الشراب العسل .. يرفعى القلب ويذهب برد الصدر »
- ويقول : « العسل شفاء من كل داء »

وعندما أوفد رسول الله رسوله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام أخذ المقوقس يسأل حاطب بن أبى بلعنة حامل رسالة الرسول عن طباع الرسول وعاداته وأحب الطعام اليه .. فلما علم أن الرسول يحب العسل أرسل اليه عسلا من مدينة بنها فقال الرسول عنه : « بارك الله فى بنها العسل »

كيف تصنع النحلة العسل :

العسل هو الرحيق الذى تمتصه النحلة من مختلف الأزهار ثم تخزنه فى الخلايا السداسية للأقراص الشمعية .. وقد حرص الله النحلة بقدرة فائقة على التمييز بين الأزهار النافعة وبين الأزهار الضارة أو السامة أو عديمة النفع . وقد أجريت هذه التجارب على النحل عدة مرات فى معامل البحث ووضع أمام النحل أزهار بعض النباتات والأعشاب ذات الخصائص الطبية النافعة .. وفى جانبها أزهار نباتات عديمة النفع ثم أخرى ضارة أو سامة .. فكان النحل كله يحط على النوع الأول وحده مهما تغير مكانه أو لونه أو نوعه .

وبعد أن تمتص النحلة (١) الرحيق تخرج لسانها أثناء عودتها لكي تعرضه لأشعة الشمس المفيدة وللمساعدة على تبخر الماء منه وتركيزه . . . وعندها تصل النحلة الى الخلية تبدأ عملية تركيب العسل فتفرز عليه خمائر من لعابها تحوله من سكر القصب المسمى (سكاروز) الى سكر الفواكه المسمى (ليفيلوز) والى (دكستروز) وهكذا توفر النحلة على الانسان عملية هضم هذه المواد السكرية . وقد لا تكون لذلك أهمية كبيرة للأصحاء الذين يستطيعون هضم السكر ولكنه هام جدا للمرضى والضعفاء والناقضين اذ أنه أسهل هضما وأسرع امتصاصا في جسمهم .

والى جانب هذه العملية تقوم النحلة بعملية أخرى أكثر أهمية وهي تثبيت الفيتامينات في العسل ومنعها من التحلل والفساد .

والنحلة الواحدة تغطي يوميا حوالى (١٠) عشرة جرامات من العسل ويقتضيها ذلك الطيران ستين (٦٠) مرة ذهابا وإيابا ويحتاج صنع كيلو جرام واحد من العسل الى (٣٠٠) نحلة تقوم بـ (٤٠) رحلة طيران .

تركيب العسل :

يتكون العسل من (١٩) مادة حيوية ومفيدة لجسم الانسان . . منها البروتين الذى يعطى الطاقة الحرارية ويساعد فى نمو العضلات . . والكربوهيدرات على شكل السكر الذى يسهل هضمه وامتصاصه فيغذى المرضى والناقضين وفيتامين ب١ المفيد فى حالات شلل الأعصاب وتنميل الأطراف . وفيتامين ب٢ الذى يدخل فى علاج الأمراض الجلدية وقرحة الفم وتشقق الشفاه والتهابات العين واحمرارها .

(١) الموسوعة الغذائية .

وفيتامين ب٦ الذى يستعمل فى علاج تشنجات الأطفال وبعض الأمراض الجلدية وحامض النيكوتينيك الذى يؤدى نقصه فى جسم الانسان الى ظهور مرض البلاجرا وفيتامين E الذى يؤدى نقصه الى العقم فى النساء والرجال ٠٠ ويشتمل العسل أيضا على أملاح الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والمنجنيز والحديد والنحاس والفسفور والكبريت والكلورين ٠٠ وبعض هذه المعادن تكون فى صورة أملاح تساعد على تهدئة الأعصاب فى حالات الاضطراب النفسى والعصبى وبعضها كأملاح الكالسيوم يساعد الأطفال على المشى وظهور الأسنان وبعضها كأملاح الحديد تقوى الدم وخصوصا فى الأطفال والناقهين وتزيد نسبة الهيموجلوبين فى كرات الدم ٠

وحتى عهد قريب جدا لم يكن أخصائيو التغذية والأطباء المعالجون يعلقون أهمية كبيرة على هذه المعادن فى عسل النحل ولكن اتضح أخيرا أن هذه المعادن رغم ضآلة كميتها موجودة فى العسل بنسب متوازنة تجعل الجسم البشرى يستفيد منها بسرعة أعظم وبصورة أكمل من الكميات المركزة ٠

وقد أجرى فريق من الباحثين بكلية كلورادو الزراعية عدة تجارب على عسل النحل برياسة الدكتور (ف. ج. ساكيت) لكى يعرفوا أثر العسل فى القضاء على الجراثيم فوضعوا فى العسل ميكروبات التيفوس والتيفود والبارتقود وميكروب الالتهاب الرئوى والبلورى وميكروبات الدمامل الى المكورات العنقودية والعقدية (وميكروب الدوسنتاريا فوجدوا أن العسل يقضى عليها جميعا فى مدد تتراوح بين ١٠ ساعات و ٢٤ ساعة فى حين أن هذه الميكروبات تستطيع أن تعيش على أنواع السكريات الأخرى مدة سنين طويلة وتتكاثر وتتمو وتزداد عددا ٠

عسل النحل فى علاج الأمراض

« فيه شفاء للناس »

لقد عاد العلاج الطبيعى فى عصرنا الحاضر ليحتل مكانته العالية كفروع من أهم فروع الطب الحديث . . ويقوم هذا النوع من العلاج على مبدأ الاستفادة من جميع الموارد الطبيعية الموجودة حولنا مثل : الغذاء والماء والهواء وأشعة الشمس ومعادن الأرض والرياضة .

ومن أهم الأغذية التى يعتمد عليها هذا العلم فى علاج الأمراض عسل النحل وقد وجد أن عسل النحل يشكل علاجاً ناجحاً لعدد كبير من الأمراض فمن ذلك :

١ - فقر الدم والكساح عند الأطفال الرضع :

فالطفل الرضيع الحديث الولادة يحتوى دمه على كمية من الحديد والكالسيوم تكفيه ثلاثة أشهر فقط . . فإذا كان لبن الأم فيه نقص فى الحديد بدأت تظهر على الطفل أعراض فقر الدم وإذا كان لبنها فيه نقص كالسيوم تأخر نمو عظامه وأسنانه عن موعدها . . ولهذا ينصح الأطباء بإعطاء الطفل ملعقة عسل نحل يومياً ابتداءً من الشهر الرابع ويمكن خلط العسل بالحليب بنسبة ملعقة صغيرة لكل ١٠٠ سم .

٢ - علاج التبول فى الفراش :

فى الظروف الطبيعية يبدأ الطفل السيطرة على مثانته (كيس البول) بعد سن الثانية من عمره بحيث يستطيع قبل سن الثالثة أن يحتفظ بالبول أثناء الليل . فإذا تأخر عن هذه السن فإن هذه حالة مرضية تستدعى العلاج . وما لم يكن هناك مرض عضوى فى

جسم الطفل فان السبب غالبا يكون حالة عصبية أو نفسية .
والعلاج الاول هو تعويد الطفل على التبول قبل النوم مباشرة
وايقاظه مرة أثناء الليل لكي يتبول وعدم اعطائه سوائل قبل نومه
والعلاج الثانى هو اعطاء الطفل ملعقة صغيرة من العسل قبل النوم
مباشرة . والعسل له تأثيران فى هذه الحالة :

١ - انه يعمل كمسكن ومهدئ للجهاز العصبى للطفل
مما يساعد المثانة على الارتخاء والتمدد أثناء نومه .

٢ - ان كمية السكر المركزة فى العسل تمتص الماء من جسم
الطفل ويحتفظ به مدة طويلة وبهذا لا تضطر الكلى الى افرازه فى
الليل .

٣ - علاج الجروح المتقيحة والحروق :

يستعمل الأطباء الروس والصينيون مرهما مركبا من العسل
وزيت كبد الحوت بنسبة ٤ : ١ ويضاف اليه بعض المواد المطهرة
مثل (زيروفورم) وهذا المرهم له خواص سريعة فى تخفيف آلام
الجرح وفى منع التقيح وفى سرعة التئام الجرح وهو مفيد جدا فى
الحروق اذ يحول دون ظهور الفقايع ويعمل على تلطيف الألم كما
انه مفيد فى حالات الصمات فى الأطفال .

٤ - العسل فى علاج قرحة المعدة والاثنى عشر :

العسل مادة قلوية وهو بذلك يقلل حموضة المعدة ويزيل آلام
القرحة ويقلل حالات القيء والمغص الناجمة عن القرحة . ولكي
يكون العلاج ناجحا يؤخذ العسل قبل الأكل بساعة أو ساعتين
ويمكن أن تؤخذ الجرعة فى ماء دافئ .

٥ - العسل كعلاج لحالات البرد والزكام والتهاب الحلق :

يستعمل العسل فى هذه الحالة بالاستنشاق بعد عمل محلول مكون من ١٠٪ من العسل فى الماء ويرش المحلول برشاش خاص أو يستنشق فى الحلق والأنف والرئتين لمدة ٥ دقائق ٠٠ وبذلك يزول الزكام والتهاب الحلق والكحة ومن الأفضل أن يتبع ذلك مضغ قطعة من الشمع الطبيعى لأقراص العسل ٠ ويساعد هذا العلاج أيضا على شفاء الجيوب الأنفية وإزالة الحساسية فى الأنف ٠

ويوصى الدكتور هيرتويج أخصائى العلاج بالتغذية باستعمال ١٠٠ جم من العسل ممزوجة مع نصف ليمونة كعلاج للزكام والرشح ٠

وهكذا : كما أصدق قول رسول الله عن العسل أنه يزيل برد الصدر ٠

٦ - والعسل علاج لحالات التهاب الكبد المزمن :

اذ أنه يزيد من مخزون الكبد من مادة الجليكوجين عن طريق زيادة الجلوكوز فى الدم وبذلك يساعد وظيفة الكبد ٠

٧ - والعسل يشفى التهابات العيون :

وذلك بعمل مرهم منه مع خلطه بنسبة ٣ ٪ سلفا ٠

٨ - والعسل مهدىء للأعصاب وعلاج للآرق :

وذلك بسبب احتوائه على بعض العناصر المهدئة والمقومة بنسبة مقبولة مثل أملاح البوتاسيوم والصوديوم والاديودين واذا أخذت

من العسل ملعقة كبيرة قبل النوم فسوف تنام نوما هادئا لا تتخلله أحلام مزعجة أو قلق .

٩ - والعسل علاج للتسمم الكحولى :

وهو من الاغذية الرئيسية فى مستشفيات ومصحات مدمنى الخمر فى أوروبا وذلك لأنه ينقى الكبد من التسمم الكحولى كما أن سكر الفركتوز ومجموعة فيتامين ب فى العسل تؤكسد بقايا الكحول الموجودة فى الجسم .

١٠ - العسل علاج للسعال :

ضع ليمونة بقشرتها فى ماء مغلى وبعد أن يلين جلدها اعصر نصفها ثم أضف اليه ملعقة كبيرة من الجلسرين ثم اكمل الكوب بعسل النحل . وقلب المزيج جيذا وخذ منه ملعقة كبيرة ٥ مرات فى اليوم وسوف تلاحظ أنه أفضل من كل أنواع الأدوية الجاهزة للسعال وخصوصا للأطفال .

١١ - العسل فى مستحضرات تجميل البشرة :

يعتبر المخلوط المكون من العسل والليمون والجلسرين من أفضل الوصفات الطبية القديمة فى علاج تشقق الجلد وخشونته وجروح الشفة والتهابات وعلاج ضربة الشمس والبقع الجلدية وتوجد الكثير من المراهم والكريمات لعلاج البشرة يدخل العسل كعنصر أساسى فى تركيبها .

١٢ - العسل كعلاج لتشنجات العضلات :

يعالج العسل تشنجات العضلات الناجمة عن أى مجهود رياضى أو التقلصات فى عضلات الوجه والجفون وهى تزول مع أكل ملعقة كبيرة من العسل بعد كل وجبة لمدة ٣ أيام .

خاتمة

الاسلام أول نظام عرفته الانسانية أمر بمبدأ التعقيم وسماها الطهارة وحارب التلوث وحدد المواد الوسيطة لحمل الميكروب الى الانسان وسماها النجاسة . وهو أول من أشار الى الميكروب وعبر عنه بالخبث أو الخطايا وأول من أشار الى أن غسيل الأعضاء بالماء الطاهر (أى المعقم يزيل الميكروب) .

والاسلام أول نظام عرفته الانسانية يشير الى أن النزلات المعوية تنتقل الى الانسان السليم عن طريق الطعام أو الشراب الملوث بالميكروب ويأمر بتغطية آنية الطعام والشراب واحكام قفلها .

والاسلام أول دين سماوى يحرر العلم والطب من نفوذ رجال الدين وينفى عنهم الحق المقدس فى علاج الأمراض بالطقوس والصلاة وهو أول دين يعترف بالأطباء ويقر مبدأ استعمال العقاقير والجراحة للشفاء .

والاسلام أول دين سماوى ينظم مهنة الطب العلاجى ويحدد مسئولية الطبيب وعدم السماح بمزاولة المهنة الا بعد (اجازة طبية) (ومن تطب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن) « حديث شريف » .

والاسلام أول مبدأ عرفته الدنيا يقرر أن جميع الأمراض لها علاج ولا يأس أبدا من شفاء المرض وما علينا الا البحث والاجتهاد

يجاد الدواء المناسب « ان الله تعالى لم ينزل داء الا أنزل له دواء فاذا أصاب دواء الداء برىء باذن الله » .

والاسلام أول مبدأ عرفته الانسانية يأمر بالتخصص الدقيق للأطباء في مهنتهم فكان الرسول اذا رأى أكثر من طبيب يعالجون مريضاً قال لهم « أيكم أطب بهذا » أى أيكم أكثر تخصصاً فى هذا المرض .

والاسلام أول نظام عرفته الانسانية جاء بالأسلوب العقائدى فى الوقاية من الأمراض وهو أسلوب يربط التعاليم الطبية والصحية بالعقيدة نفسها حتى يجعل الاهتمام بالنظافة والصحة جزءاً من طاعة العقيدة ومن أصول العبادة .

هذه هى بعض الحقائق التى يكشفها لك هذا الكتاب ويثبت كل واحدة منها بآيات من كتاب الله . . وأحاديث الرسول وتعاليم الشريعة السمحاء . . ثم يبين لنا كيف طبقت هذه التعاليم فى عهد الاسلام المزدهرة فجعلت المجتمع الاسلامى الصحى المثالى الذى لم يصل الى مستواه كثير من الدول الراقية فى عصرنا الحاضر .

فهو كتاب لا غنى عنه فى كل بيت وأسرة . . ولكل مهتم بالاسلام من أطباء ورجال دين وعلم وفقه وقد سبق ترجمة بعض فقراته الى عدد من اللغات منها الانجليزية والفرنسية والأردية النايلاندية بعد نشرها فى مجلة الوعى الاسلامى ومجلة العربى .

المراجع

(أ) المراجع الدينية :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأحاديث النبوية الشريفة من المصادر المعتمدة :
- ١ - البخارى .
- ٢ - مسلم .
- ٣ - أبو داود .
- ٤ - الترمذى .
- ٥ - النسائى .
- ٦ - ابن ماجه .
- ٧ - أحمد بن حنبل .
- ٣ - الفقه على المذاهب الأربعة . دار الارشاد للتأليف والطبع .
- ٤ - فقه السنة للشيخ سيد سابق . مكتبة الآداب - مصر .

(ب) دراسات عامة :

- ١ - الحلال والحرام فى الاسلام . يوسف القرضاوى .
- ٢ - قوانين الأسرة . سالم بهنساوى - دار القلم - الكويت .

- ٣ - خطبة النساء د. عبد الناصر توفيق العطار - جامعة الأزهر .
- ٤ - تحرير المرأة : قاسم أمين - المركز العربى للبحث والنشر .
- ٥ - المرأة العربية فى ظلال الاسلام عبد الله عفيفى دار الكتاب العربى .
- ٦ - المرأة بين البيت والمجتمع . البهى الخولى .
- ٧ - المرأة فى التصور الاسلامى . عبد العال محمد الجبرى - مكتبة وهبة .
- ٨ - أخبار النساء . ابن القيم الجوزية - دار مكتبة الحياة - بيروت .
- ٩ - الاسلام والمرأة فى رأى الامام محمد عبده . تحقيق محمد عمارة - القاهرة - الثقافة العربية .
- ١٠ - المرأة فى الاسلام . د. على عبد الواحد وافي .
- ١١ - من هنا نبدأ . خالد محمد خالد - مؤسسة الخانجى - القاهرة .

« ج » بين الطب والدين :

- ١ - الطب الوقائى فى الاسلام . دكتور أحمد شوقى الفنجري - الهيئة العامة للكتاب .
- ٢ - خلق الانسان بين الطب والقرآن . د. محمد على الباز - الدار السعودية للنشر والتوزيع .
- ٣ - الاسلام والطب . د. حامد القوابى .
- ٤ - الاسلام والطب الحديث . د. عبد العزيز اسماعيل .

- ٥ - القرآن والطب • د. محمد وصفي •
- ٦ - صوم رمضان • عبد الرزاق نوفل •
- ٧ - الاجهاض بين الفقه والطب والقانون • د. سيف الدين السباعي •
- ٨ - القرآن والتوراة والانجيل والعلم • د. مورييس بوكاي •
- ٩ - لمحات من الطب الاسلامي • د. حسان حتحات •
(بالانجليزية)
- ١٠ - الطب الاسلامي • مانفريد أولمان
- ١١ - حيرة الأطباء (المقدمة) لبرنارد شو •
The doctors dilemma
- ١٢ - الموسوعة الغذائية

(د) مراجع طبية وعلمية اجنية :

1. Arabian Medecine.
2. Medecine Digest, «Febr. 1975».
3. Encyclopedia of Islam, «Gibb and Krammens».
4. Encyclopedia of Science and Technology, «The McGraw Hill».
5. Medecine Digest, «China Today».
6. Journey Adolescence, «Doris Adlam».
7. Nutrition in Health andDisease, «Cooper and Barber».
8. L'Islam et La Culture Medicale Dr. Amal El-Alami.

(هـ) المراجع الطبية والعلمية الخاصة :

ذكرت المراجع والبحوث الخاصة والجديدة مع كل موضوع •

كتب للمؤلف :

- ١ - إسرائيل كما عرفتها ..
(عن ذكريات المؤلف عندما كان أسيرا في معتقل
عتليت بإسرائيل سنة ١٩٥٦) يطلب من المؤلف :
الكويت ص ب ٣٦٣٤ .
- ٢ - الحرية السياسية أولا - الناشر دار القلم .
- ٣ - الحرية السياسية في الاسلام - الناشر دار القلم .
- ٤ - الاسلام والحياة الجنسية - الناشر دار القلم .
- ٥ - العلوم الاسلامية - ٣ أجزاء - الناشر مؤسسة الكويت
للتقدم العلمي ص ب ٢٥٢٦٣ - الصفاة - الكويت .
- ٦ - الاسلام والحياة العصرية .

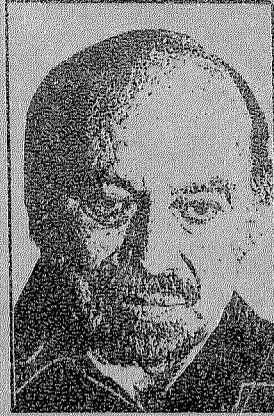
سلسلة التمهيلات الاسلامية :

- دار القلم - الكويت ص ب ٢٠١٤٦
الشركة المتحدة للتوزيع - بيروت ص ب ٧٤٦٠
- ١ - « خولة بنت الأزور » فarsة الاسلام .
 - ٢ - « سراقه بن مالك » الصحابي المتوج .
 - ٣ - « رقيده » الممرضة الأولى في الاسلام .
 - ٤ - السابقون الى الاسلام .
 - ٥ - شروقي الاسلام في مصر .
 - ٦ - عمر بن عبد العزيز .

فهرس

٣	مقدمة الكتاب
٨	مقدمة
١١	ما هو الطب الوقائي
١٧	أولاً : صحة البيئة فى الاسلام
٣٤	ثانياً : علم مكافحة الأوبئة
٤٠	ثالثاً : علم التغذية فى الاسلام
٥٩	الصوم فى ضوء التكنولوجيا الحديثة
٧١	رابعاً : الاسلام والتربية البدنية
٧٧	خامساً : الصحة النفسية فى الاسلام
١٠٧	سادساً : الصحة الجنسية فى الاسلام
١٠٨	نجاح الأسرة
١٠٩	العلاقة بين الدين والجنس
١١٥	أسلوب الثقافة الجنسية فى الاسلام
١٣٣	القرآن والتزاوج وعلم الأجنة
١٤٣	الزواج فى نظر الاسلام والديانات الأخرى
١٥١	الاسلام وعاطفة الحب

١٥٧	• • • • •	الاختلاط أو فرص التعارف بين الجنسين
١٦٣	• • • • •	الخطوبة واختيار الزوجة في الاسلام
١٧٥	• • • • •	النكاح الصحى في الاسلام
١٨٧	• • • • •	البرود الجنسى عند المرأة المسلمة
		ختان المرأة عادة خطيرة على المجتمع الإسلامى والاسلام
١٩٦	• • • • •	برىء منها
١٩٩	• • • • •	النظافة الجنسية في الاسلام
٢٠٧	• • •	الحكمة الطبية في تشريع الطلاق وتعدد الزوجات
٢١٣	• • • • •	الاسلام وتحديد النسل
٢٢١	• • • • •	الاجهاض ورأى الشرع فيه
٢٢٥	• • • • •	الاسلام وطفل الانابيب
٢٣١	• • • • •	سابعا : الاسلام وتنظيم مهنة الطب العلاجى
		ثامنا : الاسلام أول من جاء بالأسلوب العقائدى لخلق المجتمع
٢٣٩	• • • • •	الصحي
٢٥٧	• • • • •	ثاسعا : حكمة التحريم والاباحة في الاسلام
٢٧٤	• • • • •	المخدرات •• في العلم والطب والدين
٢٨٨	• • • • •	لحم الخنزير •• الأسباب العلمية لتحريمه في الاسلام
٣٠٢	• • • • •	التدخين في التاريخ والعلم والطب والدين
٣١٩	• • • • •	عسل النحل فى علاج الأمراض
٣٢٣	• • • • •	خاتمة



د. أحمد شوقي الفنجري

يشهد التاريخ لأمتنا الإسلامية انها احتضنت حضارة عريقة
خلال حقبة من الزمن : هي عشرة قرون ويزيد ، وغدتها
بالكثير من العلوم والنظريات والفلسفات ، فرسمت بذلك
للعالم أجمع شططا كبيرا للعلم والمعرفة في شتى المجالات .

ويضم هذا الكتاب كثيرا من المعلومات الجديدة القيمة عن
الطب الوقائي في الإسلام ، واستخلاص ما في الإسلام كدين
وتشريع ، من تعاليم طبية ووضعها في الأسلوب والتنسيق
العلمي الحديث كما يركز الكتاب على أن الإسلام قد جاء
بتعاليم عن آداب المهنة الطبية وفي تنظيمها ، وعلاقة الأطباء
بالمريض وعلاقتهم ببعضهم ، وجعل هذه التعاليم جزءا
لا يتجزأ من العبادات .